نـزار قباني

دراسة وتقديم وتعليق

دكتور : إسماعيل العقباوي

جزيرة الورد للنشر والتوزيع



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : نزار قباني

المـــــؤلف : دكتور : إسماعيل العقباوي

رقم الإيداع :

حقوق الطبع محفوظة

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

4 ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي ـ شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا

الطبعة الأولى 2010

إهـداء

كلما أشرقتِ فى سماء عيوني

أحسستُ بأنكِ تعزفين على أوتار أعصابي

أحلى أغنية للبراءة !!

فيا من تجلسين على موانئ أفكاري..

وتنامين بين قلبي وردائي.. !

إليكِ.. وأنتِ ..

عصفورتي.. وقصيدتي.. وملاكي..

إليكِ.. وأنتِ

وحيدتي..

وابنتي الحبيبة (بسنت)..

إسماعيل العقباوي

تتميز هذه الطبعة بتصنيف شعر نزار على أربعة اتجاهات :

(العاطفي والسياسي والنقدي والفلسفي)

وليس اتجاهين كما هو معتاد.. ونقدم لكل قسم من هذه الاتجاهات الأربعة بدراسة تحليلية تمهيدية لكل منها.

تمهيد

أيتها اللغة الفقيدة.. أتصور أنه – يوماً ما – قد انطلقت أغاريد الفرح فى سماء الوجود تبارك زفافك إلى اللسان العربى.. فتوافدت جموع الأديان والحضارات والتاريخ.. لتشهد على العقد.

ولكن ذلك اللسان العربى افتض بكارتك وأسلم عينيه لنعاس طويل فوق صدر النسيان تاركاً عروسه – ليلة زفافها – حبيسة النحو والصرف والإعراب وراء قضبان التشدق والتقعر طوال قرون مديدة حتى تكشكشت ملامحك وتهرّأت دوائر أنوثتك ومنحنياتها.. وتغضّن جلدك.. واستحالت رقتك كالتمثال النحاسى القديم.. الملقى فى متحف مهجور وقد غابت كل ملامحه تحت ركام من التراب..!!

ثم انشقّ المدى عن فارسك القادم من بعيد يحمل سيفاً يلمع كالنجمة الزرقاء فى ليلة مظلمة.. يشهره فى وجوه الذين تآمروا عليك فى غرف الليل الموصودة على سحب الدخان الأزرق.. وحاولوا إعدامك رمياً برصاص التزحلق والفذلكة [1].. فسقط عليهم سقوطاً (سوبرمانيا).. ونسف الجدران والقضبان وحملك وراء ظهره منطلقاً بك نحو النور من جديد.. لتصبحى أنت الوحيدة التى حرِّم عليها الموت.. !!

فهنيئاً لكِ بفارسك النبيل نزار قبانى.. فارسك النبيل الذى أتصور أنه أخذ القصيدة من يديها.. وتمشيَّا معاً تحت ضوء القمر.. ودون أن يعبأ بالعابرين لفَّ ذراعه حول خصرها.. وراح يلقى على مسامعها كلماته المسحورة.. بينما ازدحم الفضاء برجع ضحكاتها التى ترددت داخل قلبيهما فى آنٍ واحد.. !

(1) الفذلكة : كلمة عربية أصيلة تعنى الإجمال بعد التفصيل .

وبينما الأمر على ذلك إذ سقطت – فجأة – كل النجوم والكواكب والمدارات.. والأفلاك فوق رأسه عندما أفاق من حلمه البريء على دوى القنابل وهى تنفجر فى جسد قصيدته وحبيبته (بلقيس).. وعلى صرخات تنعى ولده الذى دهسه قطار الموت.. وعويل ينزُّ الفجيعة فى أخته التى صرعها نفس القطار.. ونحيب يقطر دماً على فقد أمه.. ونشيج يحاصر جنازة أبيه.. !!

وكان الموت قد صار عادة يومية فى حياة شاعرنا نزار قبانى.. !

ومما اعتاده الشاعر – أيضاً – انقضاض خصومه عليه هنا وهناك.. فطالب بعضهم بطرده من عمله إلى أن فصلوه بينما منع آخرون قصائده أن تذاع فى أية وسيلة إعلامية.. والبعض الآخر دبروا لمنعه من دخول مصر.. وتتوالى المحن ترشق جسده بأسهم الغدر والضغينة حتى شُطب ما تقرر على الدارسين من أشعاره.. وحاربه الإعلام المصري.. لرفضه ما فعله السادات بتوقيعه اتفاقية كامب ديفيد.. فضلاً عن المعارك الأدبية الشرسة التي خاضها ذلك الشاعر هنا.. وهناك.. والوقوف أمام القضاء ضد دور النشر التي تطاولت عليه.

كل هذا أخذ يصب فوق رأس رجل واحد في لحظة كان جسده يرتجف فيها لما لاقاه العرب في نكسة 1967 واحتراق فلسطين.. واحتلال جنوب لبنان.. ولِما أصيبوا به من فجيعة قومية في رحيل أبيهم الأكبر عبد الناصر.. !

ولكن جوقة من أصحاب الخناجر المطلية بماء الجهل يطلون علينا من شرفات الفقر الثقافى.. ويرمون فارس القصيدة العربية بأنه فقط شاعر المرأة والجنس.. حيث الأثداء.. والسيقان.. والشفاه.. مبعثرة فوق أوراق إبداعاته.. !

وحقيقة الأمر كما تراءى لنا أن جهلهم بنزار كجهل ذبابة حطّت على كتاب الأمير لميكافللي في يوم مشمس وهى لا تعي شيئاً لا عن السياسة.. ولا عن غيرها.. !!

وهذا لا يعنى الهجوم على شعراء الغزل ولا ينفى عن نزار براعته بل وانفراده في شعر الهوى.. وإنما – فقط – نريد أن يتنبه القارئ العربي إلى أن نزار قباني كما حمل على عاتقه أحزان المرأة العربية فإنه – قبل ذلك – قد طمع في تحمل مسؤولية الدفاع عن العربي والعروبة إلا أن هناك من يصرون على حبسه فى شعر المرأة.. مما دفع نزار نفسه للرد على أولئك الأغبياء قائلاً :

إني دخلت إلى مقاصير النساء..

وما خرجت..

ويطالبون بنصب مشنقتي..

لأني عن شؤون حبيبتي شعراً كتبت

أنا لم أتاجر – مثل غيري – بالحشيش..

ولا سرقت..

ولا قتلت..

لكنني أحببت في وضح النهار..

فهل تراني قد كفرت ؟!

فلا شك – كما يرى – أن الذين يتاجرون بالحشيش متاجرين بأعمارنا والذين يسرقون ناسفين أحلامنا.. والذين يقتلون معدمين أحلامنا هم الذين يستحقون أن يعلّقوا من أجفانهم في الطرقات.. !!

ونزار قباني هو العاشق الذي قال :

عيناك آخر فرصتين متاحتين

لمن يفكر بالهروب..

وأنا أفكر بالهروب

عيناك آخر ما تبقى من عصافير الجنوب

عيناك آخر ما تبقى من نجوم الصيف .

عيناك آخر ما تبقى من حشيش البحر

آخر ما تبقى من التبغ

آخر ما تبقى من دموع الأقحوان

عيناك آخر زفّة شعبية تجري

وآخر مهرجان.. !!

هذا الشاعر هو نفسه نزار الثائر الذي نزف قلبه قبل عينيه ألماً على العروبة وحسرة على أبنائها.. فقال:

نموت مصادفة ككلاب الطريق

ونجهل أسماء من يصنعون القرار..

نموت ولسنا نناقش كيف نموت ؟

وأين نموت ؟

فيوماً نموت بسيف اليمين..

ويوماً نموت بسيف اليسار

نموت من القهر حربا وسلما

ولا نتذكّر أسماء من شيّعونا..

ولا نتذكر أوجه من قتلونا..

فلا فرق – في لحظة الموت –

بين المجوس وبين التتار.. !!

فشاعرنا حينما يحب فهو العاشق الذي يقوى على أن يختصر تاريخ العشق في عيني حبيبته.. ويولّيها أميرة على نساء التاريخ كله.. وحينما يثور ويطلق العنان للرجل الوطني القابع بأعماقه فهو الثائر الذي يجترئ – في موضوعية شديدة – على عصر بأكمله.

والقارئ الواقف على الإبداعات النزارية يمكنه – أيضاً – أن يلمح – علاوة على البعدين العاطفي والسياسي في شعره – بعداً ثالثاً.. وهو مجموعة الرؤى الاجتماعية التى تتناثر فوق أرض الشاعر فينفذ ببصيرته المجتمعية إلى الإشكاليات التي يعانيها المجتمع العربي معلناً أنه مهموم بالقضايا الاجتماعية همه بقضايا العشق والعروبة والفلسفة.. فيقول نزار محاولاً أن يميط اللثام عن تلك الازدواجية الاجتماعية التي سادت بقعة كبيرة من مساحة التفكير العربي الاجتماعي.. حيث نرى – مثلاً – الرجل العاشق دونجوان عصره.. بينما نرى المرأة العاشقة عاهرة عصرها على الرغم من أن كليهما ارتكب الخطيئة نفسها !!

يقول نزار معبراً عن هذا المرض الفكري الاجتماعي على لسان إحدى المقهورات بمنطق التقاليد الاجتماعية العقيمة:

يعود أخي من الماخور

عند الفجر سكرانا..

يعود كأنه السلطان

من سمَّاه سلطانا ؟!

ويبقى في عيون الأهل..

أجملنا.. وأغلانا.. !!

ويبقى في ثياب العهر..

أطهرنا.. وأنقانا.. !!

يعود أخي من الماخور

مثل الديك نشوانا..

فسبحان الذي سوّاه من ضوء

ومن فحم رخيص نحن سوّانا.. !!

وسبحان الذي يمحو خطاياه..

ولا يمحو خطايانا.. !!

ولا تنحصر الأبعاد الأيديولوجية.. أو التوجهات الفكرية في إبداعات نزار قباني في هذه الأبعاد الثلاثة (العاطفي – السياسي –الاجتماعي).. إذ أن الرائي يمكنه – أيضاً – أن يلمح على خريطة الشعر النزاري ملمحاً رابعاً.. وهو نزار الشاعر الفيلسوف الذي يمكنه في أسطر قليلة أن ينقل لك فكراً بعرض البحر.. وهو – على ذلك – يسوق لك فلسفته تلك وفكره ذلك في أبسط الصور والتراكيب وأيسر المعاني والمفردات.. فيقول في إحدى قصائده الفلسفية :

ولقد شُنقت على جدار قصائدي

ووصيتي كانت..

بأن لا أدفنا.. !!

وتشابهت كل البلاد..

فلا أرى نفسي هناك

ولا أرى نفسي هنا.. !!

وتشابهت كل النساء..

فجسم مريم في الظلام.. كما منى

ما كان شعرى لعبةً عبثية

أو نزهة قمرية

إني أقول الشعر – سيدتي –

لأعرف من أنا ؟!!

فما أجمل أن يكون للشاعر قدرة تدفع الكلمات لأن تتبعه حيثما أراد كما يتبع الطفل الصغير أباه ويتعلق بإحدى يديه عند عبور الشارع..!!

وليس غريباً على نزار قباني أن تجتمع أشعاره بكل هذه الملامح العاطفية.. والسياسية.. والاجتماعية.. والفلسفية معاً فهو العاشق الذي ولد في عيد الربيع 21 من مارس 1923 وتشرب الفن والإبداع منذ نعومة أظافره لنشأته في بيت أسرةٍ جمعت كل تلك الخصال .. وتوارثتها أباً عن جد .. حيث كان جدُ شاعرنا لأبيه ويدعى أبا خليل القباني هو أحد رواد المسرح العربي الأُول.. وكان أيضاً شاعراً.. ومؤلفاً.. وملحناً.. وكان أيضاً والد نزار من عشاق الشعر بالرغم من طبيعة عمله البعيدة تماماً عن ذلك حيث كان يمتهن صناعة الحلوى.. لكنه كان ثوريًّا حول بيته لمعقلٍ للثورة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاده.

ودرس نزار الحقوق.. وبعد تخرجه عَمِلَ بالسلك الدبلوماسي.. وعُين سكرتيراً عامًّا لسفارة سوريا بالصين.

وبعد تفرغه للشعر ترحّل بين بلاد العالم.. وتعرّف الناس وتأمّل أحوالهم.. وطرق أبواب المجتمعات المختلفة.. ووقف على أعرافها.. وتقاليدها ممحصاً.. ومدققاً.. فتشكل لديه أبعاد شخصيته الشعرية في أوج نضجها لتخرج لنا روائعه الفلسفية.. الاجتماعية.. الممهورة بدماء وطنيته.. وعروبته.



مقدمة

على الرغم من توالى المحن فوق رأس شاعرنا بالشكل الذى أشرنا إليه قبلا.. إلا أنه صمم على أن يستكمل رحلته مع الشعر.. وأن يمرق من بين الصواعق المشتعلة ليستقر على صدر القصيدة !!

فأقام الدنيا من حوله وأبقاها واقفة دون قعود.. وتعددت الدراسات الأدبية حول أشعاره.. وبقى رمزاً للشعر العربي في العصر الحديث يتجاوز بشعره الرقيق.. والعميق قمم السحاب.. على الرغم ممن حاولوا شنقه بحبال قصائده وحاولوا دفنه تحت أرض أشعاره.. !!

وبدراسة شعر نزار قباني يمكننا أن نتعرف مدى قدرته على تطويع اللغة.. ومدى براعته في أن يسوق للقارئ شعراً لا يشبهه شعر.. وكلاماً منفرداً وتراكيب في أقصى حالات اليسر. والعمق في آنٍ واحد !!

فلو دقّقنا – مثلاً – في هذه القصيدة التي يقول فيها :

دخلت اليوم للمقهى

وقد صممت أن أنسى علاقتنا

وأدفن كل أحزاني ..

وحين طلبت فنجاناً..

من القهوة..

خرجتِ كوردة بيضاء

من أعماق فنجاني.. !!

فأية تلقائيةٍ تلك ؟ وأية انسيابية تلك ؟

فضلاً عن أن القصيدة – على قلة أبياتها – تحكي لنا معاناةً طويلة ممتدة قد يعبر عنها شاعرٌ آخر في عدة مقاطع.. علاوة على قدرته على أن يجعل القارئ يعيش معه موقفه.. فيحدد الزمان (اليوم) والمكان (المقهى) والحدث (صممت.. أدفن.. طلبت) والنتيجة (خرجتِ.. من أعماق فنجاني).. علاوة على التناسق الذي نلمحه بين (المقهى) و(القهوة) (فنجانا).. والتلاؤم بين(صعوبة النسيان) وقوله: (صممت).. إلى جانب براعة التصوير (خرجتِ كوردة بيضاء من أعماق فنجاني) الذي ينبئ عن استحالة نسيانه الذي كان قد صمم عليه في السطر الثاني.

والذي يدرس شعر نزار قباني يمكنه – أيضاً – أن يدرك النتائج التالية :

أولاً: أن أشعاره تتكئ على منظومة فكرية متميزة إلى حد التفرد مما يدفع القارئ لمعرفة دوافع ذلك التميز من خلال رصد مظاهره التي تتمثل في تلقائيته اللانهائية وكان الرجل يتنفس شعراً.. !!

ثانياً: أنه لا يعبأ بالأسطرة [2] أو التوظيف الميثيولوجي المعقد بتناول الأساطير القديمة.. وتوظيفها كغيره من الشعراء أمثال البياتي وأدونيس.. وغيرهما.

ثالثاً: أنه – برغم ثورته – على المجتمع ونواقصه وعيوبه فقد استطاع أن يكون له قاموسه اللغوي الخاص من حيث المفردات التي منها ما هو عربي أصيل.. ومنها ما هو أعجمي وما هو مُعرب.. بل وما هو شائع على ألسنة العوام .

ألف حاء باء كاف   من قد سمع الخبر و(شاف)

رابعاً: أن نزار لم يؤثر – كغيره – الاعتماد على الترميز في بناء قصيدته فهو لا يخشى أحداً.. فيعلن على الجميع ما يخشى غيره أن يعلنه على نفسه ولو كان وحيداً.. وفي هذا يقول نزار عن نفسه:

---

(2) من الأسطورة.

أنا رجل لا يريح.. ولا يستريح

فلا تصحبيني على الطرق المعتمة

فشعري مدان

ونثري مدان

ودربي الطبيعي بين القصيدة والمحكمة.. !!

يشرّفني أنني ما قبلت وساماً..

فأنا الذي أمنح الأوسمة

ولم أكُ بوقاً لأي نظام

فشعري فوق الممالك والأنظمة.. !!

خامساً: اعتماد بناء القصيدة النزارية على المجاز.. والحذف.. والتكثيف خاصة في قصائده التي تنحو نحواً فلسفيًّا أو اجتماعيًّا.. وعلى تعدد الأصوات داخل القصيدة الواحدة خاصة في إبداعاته السياسية والغزلية.

سادساً: أن القصيدة النزارية لا تحتاج كبعض القصائد الأخرى إلى التتبع الميتافيزيقي للعمل الفني.. فتجاربه لا تتطلب تأويلاً.. فهو كما قال عن نفسه:

«عندما أتحدث عن المرأة فإنني أعني المرأة .. وعندما أتحدث عن الوطن فلا أعني سواه» .

سابعاً: بنيته الشعرية تعتمد – في غالب الأمر – على البعد الأحادي أو الرؤية الواحدة فلا تداخُل بين مجموعة من الرؤى في عمل واحد.. وكأنه يعمد إلى ذلك.. ليفسح الطريق إلي ذهن القارئ حتى يصل إلى مأربه في يسر وسهولة تعيناته على الاستمتاع بالقيم الجمالية داخل قصيدته.

ويقول نزار في إحدى قصائده التي تبرهن على ذلك :

هناك بلاد..

يشيد السلاطين فيها..

ألوف الجوامع..

ولا يقطعون فروض الصلاة

ولكنهم يقطعون الرقاب

ويقتلعون الأصابع.. !!

هناك بلاد..

يخاف الخليفة فيها على نفسه

من حوار المقاهي..

ومن قهقهات التلاميذ..

إذ يعبرون الشوارع.. !!

ثامناً: أن دراما الإبداع النزاري كثيراً ما تتكئ على الصراع الذي يمنح قصيدته القدرة على توصيف الحدث المرجو من وراء إبداعه توصيفاً واضحاً.. وشائعاً.. فيقول نزار في إحدى قصائده التي يتضح فيها ذلك :

سأبقى أغني

سأبقى أغني

إلى أن أحطم من يعبدون الفروج

ومن يشترون بشيكاتهم..

بنات الهوى..

ورجال العَلَمْ..

سأبقى أغني..

برغم عويل الرياح..

وعصف المطر..

وهم يركضون وراء القصيدة

مثل كلاب الأثر.. !!

تاسعاً: المستويات التركيبية في أشعار نزار بوجه عام مستويات متعددة ومتباينة من مجازي إلى حقيقي.. أو إنشائي.. أو خبري.. ومن تقديم وتأخير.. وحذف.. وتواز.. وازدواج.. وغيرها من المستويات التركيبية.. فمن الأبنية الإنشائية قوله في قصيدته الرائعة (الكتابة بالحبر السري):

من هؤلاء

الخائفون على طراوة جلدهم

وعلى تناسق خصرهم

وعلى أنوثة صوتهم؟

من هؤلاء المترفون ؟

هل هؤلاء طليعة ثورية

أم باعة متجولون ؟!

ومن الأبنية التي تعتمد على الخبر في القصيدة ذاتها قوله :

هم يكتبون كأنهم لا يكتبون

ويعاصرون سقوط تاريخ

وهم مثل الدجاج مجلّدون

ويسافرون..

بغير أقدام على أوراقهم..

ويضاجعون نساءهم ليلاً..

وهم متنكرون.. !!

وبعدُ ..

فإن هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو كتاب يضم بعض كنوز الأشعار النزارية بجمالها.. ونزيفها.. وروعتها.. وحسرتها وثورتها.. ورقتها.

وقد جاء هذا الكتاب في أربعة أقسام :

الجزء الأول: (نزار عاشقاً):

ويضم أروع ما كتب نزار في شعر الغزل والحب.

الجزء الثاني: (نزار ثائراً):

ويحتوي على أشد قصائده السياسية ثورة وانفعالاً.

الجزء الثالث: (نزار ناقداً اجتماعياً)

ويسوق هذا الجزء للقارئ جانباً مهماً من ملامح شخصية نزار الشاعر الذي كان مهموماً بقضايا مجتمعه العربي.

الجزء الرابع: (نزار فيلسوفاً):

ويتضمن هذا الجزء مجموعة من القصائد التي تكشف عن الرؤى الفلسفية لشاعرنا المختار.. نزار قباني.

والآن هيا بنا ندخل عالم كنوز نزار الشعرية..

والله أسال التوفيق

د.إسماعيل العقباوي



نزار عاشقاً



يوماً ما شرفت بأحدهم يزورني في مكتبي المتواضع وكان كتابي الأول عن نزار [3] ضمن الكتب التي أمامي.. وبمجرد أن وقعت عيناه عليه عاجلني بسؤال مشيراً إلى صورة الشاعر على غلاف كتابي – وقال لي :

- هو ده بقى نزار قباني.. ؟

فقلت له :

- ده استفسار ولا استهتار ؟

وراح صاحبنا يجادلني حول مكانته وشعره على الرغم من كونه – كما اتضح لى فيما بعد – لم يكن يعرف شيئاً عن ملامحه الشكلية.

ثم طاب لي أن أحتال عليه.. فطلبت منه أن نفرغ من الحديث عن نزار قباني ذاك.. لأنني أريد سماع رأيه في آخر قصيدة لي.. فلما أبدى لي رغبة حقيقية في سماعي فما كان مني إلا أن أسمعته الجزء التالي من إحدى قصائد نزار قباني.. القصيدة كانت بعنوان (أحلى خبر).. ويقول فيها شاعرنا :

كتبت (أحبك) فوق جدار القمر

أحبك جدًّا..

كما لا أحبك يوماً بشر

ألم تقرأيها بخط يدي

فوق سور القمر

وفوق كراسي الحديقة

فوق جذوع الشجر

(3) الكتاب معنون باسم « شعر نزار السياسي / دراسة لغوية ».

وفق السنابل

فوق الجداول

فوق الثمر

وفوق الكواكب تمسح عنها

غبار السفر.. !!

وبعد أن تسمَّع صاحبي هذه الكلمات أحسست بأن ملامحه قد صارت أجمل.. وكأن مواسم الفرح قد انتشرت على سواحل عينيه.. وراح يلتمس مني أن أعيد ما قلته عليه وكأنه يساومني.. فأعدت قول نزار.. ثم سألته:

- ما رأيك في قصيدتي تلك؟

فبادرني بالرد في تلقائية شديدة قائلاً :

- أول مرة أتمنى أكون واحدة ست**!!**

فإذا كان هذا هو أثر الشعر الغزلي في نفس رجل هو لا يتمنى بالفعل أن ينقلب أنثى بقدر ما أراد أن يعبر عن شدة إعجابه بكلماتي (أقصد كلمات نزار) فكيف يكون أثره في نفس امرأة أعارت القصيدة أذنيها.. بل كيف يكون أثره في نفس مَنْ كُتبت فيها القصيدة ؟**!**

إن نزار – عندما يكتب قصيدة غزلية – لديه القدرة ليقنعك أن حبيبته مخلوقة لتوها الآن.. فهي بكامل براءتها وأنوثتها وروعتها وجمالها ورقتها ونعومتها.. فلا يشك القارئ لحظة أنها أميرة النساء.. وأنها اختصرت كل جمال النساء في إحدى نظراتها.. وخبَّأت كل فواكه الأرض تحت ابتسامتها.. وزلزلت الكرة الأرضية بإحدى خطواتها.. فلا تخطو خطوة إلا وتتفجر الأرض من تحتها ينابيع وورودًا.. **!!**

أما إذا أراد نزار أن يسحق الأنثى فنجده بكل شراسة التتار قد سحلها تحت حوافر قلمه.. فيقول :

بدراهمي

لا بالحديث الناعم

حطمت عزتك المنيعة كلها بدراهمي

وبما حملت من النفائس والحرير الحالم

فأطعتيني

وتبعتيني

كالقطة العمياء مؤمنة بكل مزاعمي

فإذا بصدرك ذلك المغرور ضمن غنائمي

أين اعتدادك ؟

أنت أطوع في يدي من خاتمي.. !!

قد كان ثغرك مرةً ربي..

فأصبح خادمي.. !!

وكأن الشاعر يبشّر بويل الأنثى من ثورة شاعر عليها وكأنه يقول: كما أستطيع أن أرفع كأساً لأقصى مدى في الهواء فأنا – أيضاً – الذي أستطيع أن ألقي به على أسفلت الشارع ليتكسَّر. شظايا منثورة تدهسها الأقدام والعربات.. !!

وهكذا يكون الشاعر الحق الذي يمكنه أن يصنع من حبيبته ملاكاً وأن يطرز فستانها بالنجوم والكواكب ويعلق الشمس عقداً في صدرها ويلبسها القمر سواراً في معصمها.. ويعب النهر بين يديها.. ويحجز لها غرفة فوق السحاب لتستريح فيها ما دامت تستحق ذلك.. وهو – أيضاً – الشاعر نفسه الذي يمكنه أن يعلّقها من أجفانها في طرقات المدينة.. ويشوى لحمها بنيران الكلمات ويفجّر البراكين في وجهها إذا استحقت ذلك.

فالرجل لا يسيل لعابه – كبعضهم – على المرأة والسلام.. وإنما يدرك جيداً متى يتوِّجها ملكة على إمارة العشق.. ومتى ينصّبها رئيسةً على نزيلات السجن الحربي !!

ولا ينصب شعر المرأة عند نزار على الأنثى والحبيبة فحسب فهو – أيضاً – الولد الصغير الذي يغفو على حجر أمه ويخبئ في صدرها خطاياه.. ولا يرضى بغير عينيها بيتاً.. وبغير حضنها ملاذاً ومستقرًّا.. فيقول في قصيدته (خمس رسائل إلى أمي) :

صباح الخير يا حلوة

صباح الخير يا قديستي الحلوة

مضي عامان يا أمي

على الولد الذي أبحر

برحلته الخرافية

وخبا في حقائبه

صباح البلاد الأخضر

وأنجمها وأنهرها وكل شقيقها[1] الأحمر

(1) الشقيق : نوع من الأزهار الحمراء اشتهر النعمان بن المنذر أحد ملوك العرب باقتنائه.

وخَّبا في ملابسه طرابينًا

من النعناع والزعتر

وليلكة[2] دمشقية

أنا وحدي

دخان سجائري يضجر

ومني مقعدي يضجر

وأحزاني عصافير تفتش بعد عن بيدر..

كما أن نزار قباني العاشق لم يحبس أشعاره الغزلية في زنزانة (الحب) فحسب فهو – أيضاً – يكتب للمرأة الطامعة التي لا ترى في الرجل سوى جيبه.. فالرجل بالنسبة لها ما هو إلا مصرف خاص لا فرق بينه وبين التاكسي- الذي يوصلها حيثما تريد.. فيقول في قصيدته اللاذعة (تريدين) :

تريدين مثل جميع النساء

كنوز سليمان..

مثل جميع النساء

وأحواض عطر

وأمشاط عاج

(2) نوع من الشجر الملتف حول بعضه.

وسرب إماء

تريدين مولى

يسبح باسمك كالببغاء

يقول أحبك عند الصباح

يقول أحبك عند المساء

ويغسل بالخمر رجليك

يا شهرزاد النساء

تريدين مثل جميع النساء

مراوح ريش

وكحلاً وعطرًا

تريدين عبداً شديد الغباء

ليقرأ عند سريرك شعرًا

تريدين في لحظتين اثنتين

بلاط الرشيد وإيوان كسرى

وقافلة من عبيد وأسرى

تجر ذيولك يا كليوبترا.. !!

ومن النماذج النسائية التي حاول نزار قباني أن يعالج ما تعانيه من تحجُّر وجمود واستعلاء تلك المرأة الروّاغة التي توزّع بعينيها الوعود على الرجال في الطرقات.. ولا يعنيها إلا أن يزيد رصيدها في بنك المعجبين.. فيقول في قصيدته المؤثرة (طوق الياسمين) :

شكراً لطوق الياسمين

وضحكتِ لي.. وظننت أنك تعرفين

معنى الياسمين

يأتي به رجل إليك

ظننت أنكِ تدركين

هذا المساء

بحانة صغرى رأيتك ترقصين..

تتكسرين على زنود المعجبين

تتكسرين

وتدمدمين

في أذن فارسك الأمين

لحناً فرنسي الرنين

لحناً كأيامي حزين

ولمحت طوق الياسمين

في الأرض مكتوم الأنين

كالجنة البيضاء

تدفعه جموع الراقصين

ويهم فارسك الجميل بأخذه

فتمانعين

وتقهقهين :

« لا شيء يستدعي انحناءك..

ذاك طوق الياسمين ».. !!

وكما تناول الشعر النزاري المرأة الحبيبة.. والمرأة الأجيرة.. والمرأة الطامحة.. الطامعة.. والمرأة الوعَّادة [1] تناول أيضاً المرأة الخائنة فيقول في رائعته (ديك الجن الدمشقي[2]):

إني قتلتك واسترحت

يا أرخص امرأة عرفت

أغمدت في نهديك سكيني

وفي دمك اغتسلت

وأكلت من شفه الجراح

ومن سُلافتها شربت

وطعنت حبك في الوريد

طعنته حتى شبعت

في كل زاوية أراكِ

(1) الوعّادة : المرأة التى تمنح وعودها للجميع !!

(2) ديك الجن : رجل من دمشق قتل حبيبته من شدة حبه لها ..!!

وكل فاصلة كتبت

في الطيب في غيم السجائر

في الشراب إذا شربت

أنت القتيلة.. أم أنا ؟

حتى بموتك.. ما استرحت.. !!

حسناء لم أقتلك أنت

وإنما نفسي قتلت.. !!

وعن المرأة المفتونة بمن تحب.. والشديدة الإعجاب به يقول نزار على لسانها في قصيدة له بعنوان (معجبة) :

تقول: أغانيك عندي

تعيش بصدري كعقدي

وشِعرك هذا الطليق الأنيق

لصيق.. بكبدي

فمنه أكحّل عيني

ومنه أعطرُ نهدي

فبيت بلون عيوني

وبيت بحمرة خدي.. !!

وشِعرك هذا الطليق الأنيق

لصيق.. بكبدى

فمنه أكحل عينى

ومنه أعطر نهدى

ومن صور المرأة التي جاء شعر نزار العاطفي مفعماً بها تلك المرأة المدعية الكاذبة التي تتفاخر بين مثيلاتها بما لم يحدث إلا في خيالها هي وحدها.. فيقول نزار قباني في قصيدة له بعنوان (تكذيب رسمي لسيدة ثرثارة) :

لماذا تغشّين في ورق الحب ؟

تحترفين الفضيحة

تحترفين الإشاعة

تحترفين التجني

لماذا تقولين :

أن بقايا الأظافر فوق ذراعيك مني

وأن النزيف الخفيف بزاوية الثغر مني[1]

لماذا تقولين هذه الحماقات

في حين لا أتذكر أني رأيتك

لا أتذكر أني لمستك

لا أتذكر أني..

(١) الثغر : الفم.

فهل تفعلين الذي تفعلين

تُرى من قبيل التمني ؟

وحتى المرأة الساذجة المعدومة الخبرات لم تفلت من شرك نزار الشعري.. حيث تناول نزار ذلك النموذج في شعره.. فقال في قصيدة له بعنوان (إلى ساذجة) :

لا شك أنك طيبة

بسيطة وطيبة

بساطة الأطفال حين يلعبون

وأن عينيك هما بحيرتا السكون

لكنني

أبحث يا كبيرة العيون

أبحث يا فارغة العيون

عن الصلات المتعِبة

عن الشفاه المخطئة

وأنتِ يا صديقتي

نقية كاللؤلؤ

وأنتِ يا سيدتي

من بعد هذا كله لست امرأة

هل تسمعين يا سيدتي

لستِ امرأة.. !!

بل أن المرأة العجوز هي الأخرى لم تنجُ من الشباك النزارية.. حيث تناولها قلم نزار في إحدى قصائده القاسية.. وهي قصيدة (إلى عجوز) التي قال فيها :

مهما كتمتِ.. ففي عيونك رغبة

تدعو.. وفي شفتيك تحترق امرأة

شفتاك عنقودا دم وحرارة

شفة أقبِّل ؟.. أم أقبل مدفأة ؟

على أننا لا نقول أن هذه النماذج النسائية التي تناولها نزار في شعره العاطفي تمثل كل ما ورد عن نزار العاشق من أشعار.. فما زالت هناك نماذج أخرى ومتعددة كحديثه عن المرأة المكابرة وعن المرأة المحرومة.. وعن البغي.. وعن اللئيمة.. وعن ميتة الإحساس.. وعن القديسة.. وعن المراهقة.. وغيرهن من الصور المختلفة للمرأة التي تحتاج إلى كتاب مستقل للحديث عنها تفصيلاً.. إلا أنني آثرت الحديث عن النساء اللائى أخذن المساحة الأكبر من شعر نزار قباني.

ولكن كل هذه النماذج مجتمعة لا تمثل الشعر العاطفي لدى شاعرنا حيث يبقى حديثه عن الحب ذاته حديثاً مجرداً يعكس للقارئ مدى اتساع الخبرات النزارية بعوالم العشق ودُنا[1] الحب والغرام.. فيقول في قصيدته الرائعة التي أسماها (البرتقالة) :

(1) دُنا : جمع دنيا .

يقشّرني الحب كالبرتقالة

يفتح في الليل صدري

ويترك فيه

نبيذاً وقمحاً.. وقنديل زيت

ولا أتذكر أني انذبحت

ولا أتذكر أني نزفت

ولا أتذكر أني رأيت

يبعثرني الحب مثل السحابة

يلغي مكان الولادة

يلغي سنين الدراسة

يلغي الإقامة

يلغي الزواج.. الطلاق.. الشهود.. المحاكم..

يسحب منى جواز السفر

ويغسل كل غبار القبيلة نحوي

ويجعلني من رعايا القمر.. !!

وقد احتل شعر الوصف (وصف الحب ذاته) مساحةً لا يُستهانُ بها في بقاع الأشعار النزارية.. مما يدفعنا لأن نسوق مثالاً آخر رائعاً يصف فيه نزار غلبة الحب وقوته وجبروته وسيطرته على العاشق الذي أحب بكل كيانه.. فيقول في رائعته (وصفة عربية لمداواة العشق):

تصوّرت حبك..

طفحاً خفيفاً على سطح جلدي

أداويه بالماء.. أو بالكحول

وبررته باختلاف المناخ

وعللته بانقلاب الفصول

وكنت إذا سألوني.. أقول :

هواجس نفس

وضربة شمس

وخدش صغير على الوجه سوف يزول

تصورت حبك.. نهراً صغيراً

سيحمي المراعي.. ويروي الحقول

ولكنه اجتاح بر حياتي

فأغرق كل القرى..

وأتلف كل السهول

وجرَّ سريري

وجدران بيتي

وخلَّفني فوق أرض الذهول .!!

على أن نزار قباني العاشق لم يحصر. شعر الوصف في توصيفه للحب ذاته فهو كثيراً ما يصف الحبيبة نفسها تاركاً الغزل العفيف ومنتقلاً إلى الغزل الصريح.. فيقول في وصف عيني حبيبته وصفاً من أروع ما قيل في العيون :

عيناك آخر مركبين يسافران

فهل هنالك من مكان ؟

إني تعبت من التسكع في محطات الجنون

وما وصلت إلى مكان..

عيناك آخر فرصتين متاحتين

لمن يفكر بالهروب

وأنا أفكر بالهروب

عيناك آخر ما تبقى من عصافير الجنوب

عيناك آخر ما تبقى من نجوم الصيف

آخر ما تبقى من حشيش البحر

آخر ما تبقى من دموع الأقحوان

عيناك آخر زفة شعبية تجري..

وآخر مهرجان.. !!

ولكن للعيون في قصائد نزار الغزلية نصيباً كبيراً كعادة الشعراء العرب الذين تخصصت لهم كتب مستقلة عما قيل في عيون الحبيبات.. فيقول نزار قباني في رائعة أخرى من روائع العيون النزارية بقصيدته الرقيقة للغاية (نهر الأحزان) :

عيناك كنهري أحزان

نهري موسيقى.. حملاني

لوراء وراء الأزمان

نهري موسيقى قد ضاعا

سيدتي ثم أضاعاني..

أنا ألف أحبك فابتعدي

عني .. عن ناري ودخاني

فأنا لا أملك في الدنيا

إلا عينيك.. وأحزاني.. !!

ومن العينين إلى وصف ثغر الحبيبة (فمها).. حيث يقول نزار في قصيدة له بعنوان (فم) :

في وجهها يدور.. كالبرعم

بمثله الأحلام لم تحلم

كلوحة ناجحة.. لونها

أثار حتى حائط المرسم

كفكرة.. جناحها أحمر

كجملة قليلة ولم تُفهم.. !!

ومما ورد وصفه – أيضاً – في شعر الغزل الصريح لنزار قباني وصفه يد حبيبته برقتها ونعومتها وملاستها.. فيقول في قصيدة له بعنوان (يد) :

يدك التي حطت على كتفي

كحمامة.. نزلت لكي تشرب

عندي تساوي ألف مملكة

يا ليتها تبقى ولا تذهب

تلك السبيكة كيف أرفضها ؟

من يرفض السكنى على كوكب ؟!

لهث الخيال على ملاستها

وأنهار عند سوارها المذهب

الشمس نائمة على كتفي

قبّلتها ألفاً ولم أتعب.. !!

ولم يتوقف الغزل الصريح عند نزار قباني عند توصيف عيون الحبيبة وثغرها ويدها.. فمن قصيدة (خصر) إلى (ساق) إلى (حلمة) .. إلى (نهدين مغرورين) و(شفة) وغيرها من القصائد التي تناول فيها نزار جسد المرأة بالتوصيف الدقيق المثير.

أما عن وصف نزار متعلّقات المرأة فإن له فيها قصائد متعددة.. مثل قصائده (ستيان) وقصيدة (المنيكور) وقصيدة (حقيبتها) وقصيدة (فستان) وقصيدة (أحمر الشفاه).. وقصيدته (المايوه الأزرق) التى يقول فيها:

مرحباً.. ماردة البحر..

على الأشواقِ طُوفي

غمِّسى فى الماء ساقين..

كتسبيح السيوف..

وانبضى.. حرفاً من النار

وعلى الرغم من حديثنا عن أبعاد كثيرة في شعر نزار عاشقاً من وصف الحب.. ووصف الحبيبة.. جسدها.. ومتعلَّقاتها.. فإن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أننا قمنا بعرض كل شعر المرأة عند نزار.. ذلك أن مفهوم الأنثى لدى شاعرنا مفهوم ممتد على المستويات العاطفية.. والسياسية.. والاجتماعية.. والفلسفية.. تلك المستويات التي مررنا – في هذا الجزء – مروراً عابراً على أحدها (المرأة على المستوى العاطفى).. لتتبقى لنا المستويات الأخرى التي منح فيها نزار المرأة مساحة واضحة كما سيتضح من أقسام الكتاب التالية.. والتي عمدنا أن ننتقيها آملين أن تمثل هذه النماذج من الشعر العاطفي لنزار أروع قصائده عند القارئ.



أحلى خبر

كتبت (أحبك) فوق جدار القمر

(أحبك جدًّا)

كما لا أحبك يوماً بشر

ألم تقرأيها؟ بخط يدي

فوق سور القمر

وفوق كراسي الحديقة..

فوق جذوع الشجر

وفوق السنابل

فوق الجداول

فوق الثمر..

وفوق الكواكب تمسح عنها

غبار السفر..

حفرت(أحبك) فوق عقيق السحر[1]

(1) العقيق : الياقوت الأحمر.. أو حجر كريم لونه أحمر وهو أيضاً الخرز الأحمر .. وكل هذه الحمرة.. لا تتلاءم مع سواد (السَّحَر) فالسحَر هو آخر الليل حيث فقدان الحمرة.. مما يضعف من قيمة هذا التصوير .

حفرت حدود السماء

حفرت القدر..

ألم تبصريها؟

على ورقات الزهر

على الجسر.. والنهر.. والمنحدر

على صدفات البحار

على قطرات المطر

ألم تلمحيها؟

على كل غصن

وكل حصاة.. وكل حجر

***

كتبت على دفتر الشمس

أحلى خبر..

(أحبك جدًّا)

فليتك كنت قرأتِ الخبر..



محاولاتٌ لقتل امرأة لا تُقْتَل

وعدتُكِ أن لا أحبكِ..

ثُم أمام القرار الكبيرِ.. جَبُنتْ

وعدتُكِ أن لا أعودَ..

وعدتْ..

وأن لا أموتَ اشتياقا

ومُتْ

وعدتُ مرارا .

وقررتُ أن أستقيل مرارا

ولا أتذكرُ أني استقَلتْ.. !!

وعدتُ بأشياء أكبر مني..

فماذا غداً ستقولُ الجرائدُ عني ؟

أكيدٌ.. ستكتبُ أني جُننتْ..

أكيدٌ.. ستكتبُ أني انتحرتْ

وعدتكِ..

أن لا أكون ضعيفاً.. وكنتْ..

وأن لا أقول بعينيكِ شعرا..

وقُلتْ..

وعدتُ بأن لا..

وأن لا..

وأنْ لا..

وحين اكتشفتُ غبائي.. ضَحِكتْ..

***

وعدتك..

أن لا أبالي بشَعرك حين يمرُّ أمامي

وحين تدفق كالليل فوق الرصيفِ..

صَرختْ..

وعدتك..

أن أتجاهَلَ عينينك.. مهما دعاني الحنين

وحينَ رأيتهما تُمطرانِ نجوما..

شهقتْ..

وعدتُكِ..

أن لا أوجِّهَ أي رسالة حبٍّ إليكِ..

ولكنني – رغم أنفي – كتبتْ !!

***

وعدتك..

أن لا أكون بأي مكانٍ تكونينَ فيهِ..

وحين عرفتُ بأنكِ مدعوةٌ للعشاءِ..

ذهبتْ..

وعدتُكِ أن لا أحبكِ..

كيفَ ؟

وأينَ ؟

وفي أي يومٍ تُراني وعدتْ؟

لقد كنتُ أكذِبُ من شدة الصدق..

والحمدُ لله أني كَذَبتْ.. !!

***

وعدتُ..

بكل برودٍ.. وكل غَباءِ

بإحراق كل الجسور ورائي

وقررتُ بالسر.. قتل جميع النساءِ

وأعلنتُ حربي عليكِ

وحين رفعتُ السلاحَ على ناهديكِ

انهزَمتْ..

وحين رأيت يديك المسالمتينِ..

اختجلتْ..

وعدتُ بأن لا.. وأنْ لا.. وأنْ لا..

وكانت جميعُ وعودي

دُخانا.. وبعثرتُه في الهواءِ .

***

وعدتك..

أن لا أُتَلفِنَ ليلاً إليكِ [1]

وأنْ لا أفكر فيكِ.. إذا تمرضينْ

وأنَّ لا أخافَ عليكْ

وأن لا أقدمَ وردا..

وأن لا أبُوسَ يديكْ..

وتلفنتُ ليلاً.. على الرغم مني..

وأرسلتُ ورداً.. على الرغم مني..

وبستُكِ من بين عينيكِ.. حتى شبعتْ

وعدتُ بأن لا.. وأنْ لا.. وأنْ لا..

وحين اكتشفتُ غبائي ضحكتْ.. !!

***

(1) أتلفن : أتصل تليفونياً.

وعدتُ..

بذبحك خمسينَ مرة..

وحين رأيت الدماءَ تُغطي ثيابي

تأكدت أني الذي قد ذُبحتْ..

فلا تأخذيني على محمَل الجد..

مهما غضبتُ.. ومهما انفعَلتْ..

ومهما اشتعلتُ.. ومهما انطفأتْ..

لقد كنتُ أكذبُ من شدة الصِدْقِ

والحمدُ لله أني كذبتْ.. !!

***

وعدتك.. أن أحسمَ الأمر فوراً ..

وحين رأيت الدموعَ تُهرهرُ من مقلتيكِ..

ارتبكتْ..

وحين رأيت الحقائبَ في الأرض..

أدركتُ أنك لا تُقتلينَ بهذي السهُولةْ

فأنت البلادُ.. وأنتِ القبيلةْ..

وأنتِ القصيدةُ قبلَ التكوُّنِ..

أنتِ الدفاتُر.. أنت المشاويرُ.. أنت الطفولةْ..

وأنتِ نشيدُ الأناشيد..

أنتِ المزاميرُ..

أنتِ المضيئةُ..

أنتِ الرسولةْ..

***

وعدتُ..

بإلغاء عينيك من دفتر الذكريات

ولم أكُ أعلمُ أني سألغي حياتي

ولم أكُ أعلمُ أنكِ..

- رغمَ الخلافِ الصغيرِ - أنا..

وأني أنتْ..

وعدتُك أن لا أحبكِ..

- يا للحماقةِ -

ماذا بنفسي فعلتْ؟

لقد كنتُ أكذبُ من شدة الصدقِ..

والحمدُ لله أني كذبتْ..

***

وعدتكِ..

أنْ لا أكون هنا بعد خمس دقائقْ..

ولكنْ.. إلى أين أذهبُ ؟

إن الشوارعَ مغسولةٌ بالمطرْ..

إلى أين أدخُلُ ؟

إن مقاهي المدينة مسكونةٌ بالضَجَرْ.. (١)

إلى أين أبحرُ وحدي ؟

وأنتِ البحارُ..

وأنتِ القلوعُ..

وأنتِ السفر..

فهل ممكنٌ..

أن أظلَّ لعشر دقائقَ أخرى

لحين انقطاع المطرْ ؟

أكيدٌ بأني سأرحلُ بعد رحيل الغيومِ

وبعد هدوء الرياحْ..

وإلا..

(١) الضجر: الملل والضيق.



سأنزلُ ضيفاً عليكِ

على أن يجيءَ الصباحْ..

وعدتك..

أن لا أحبكِ.. مثلَ المجانين.. في المرة الثانيةْ

وأن لا أهاجمَ مثلَ العصافير..

أشجار تُفاحكِ العاليةْ..

وأن لا أمشطَ شعرَك – حين تنامينَ –

يا قطتي الغاليةْ..

وعدتكِ.. أن لا أضيعَ بقيةَ عقلي

إذا ما سقطتِ على جسدي نجمةً حافيةْ

وعدتُ بكبْح جماح جُنوني [1]

ويُسعدني أنني لا أزالُ

شديدَ التطرفِ حين أحب..

تماماً.. كما كنتُ في المرة الماضيةْ..

وعدتكِ..

(1) كبح جماح جنونى : حبس ثورة حبى .

أن لا أطارحكِ الحبَّ.. طيلةَ عامْ

وأنْ لا أخبئَ وجهي..

بغابات شعركِ طيلة عامْ..

وأن لا أصيد المحارَ بشُطآن عينيكِ طيلةَ عامْ..

فكيف أقول كلاماً سخيفاً كهذا الكلامْ؟

وعيناكِ داري.. ودارُ السلامْ .

وكيف سمحتُ لنفسي بجرح شعور الرخامْ ؟

وبيني وبينكِ..

خبز.. وملحٌ..

وسكبُ نبيذٍ.. وشدوُ حَمامْ..

وأنتِ البدايةُ في كل شيءٍ..

ومِسكُ الختامْ..

وعدتك..

أن لا أعود.. وعدتْ..

وأن لا أموتَ اشتياقا..

ومتْ..

وعدتُ بأشياء أكبر مني

فماذا بنفسي فعلتْ؟

لقد كنتُ أكذب من شدة الصدقِ..

والحمدُ للهِ أني كذبتْ.. !!



شكرًا..

شكراً لحُبكِ..

فهْو معجزتي الأخيرةُ..

بعدما ولَّى زمانُ المعجزاتِ

شكراً لحُبكِ..

فهو علَّمني القراءةَ.. والكتابةَ..

وهوْ زوَّدني بأروع مُفرداتي..

وهْو الذي شَطَبَ النساءَ جميعهن.. بلحظةٍ

واغتالَ أجمل ذكرياتي..

شكراً من الأعماق..

يا مَنْ جئتِ من كُتُب العبادة والصلاةِ

شكراً لخصرك..

كيفَ جاءَ بحجم أحلامي.. وحجم تصوّراتي

ولوجهكِ المندسِّ كالعصفور.. [1]

بينَ دفاتري ومذكراتي..

شكراً لأنكِ تسكنينَ قصائدي..

شكراً..

لأنكِ تجلسين على جميع أصابعي

شكراً لأنك في حياتي..

شكراً لحُبكِ..

فهوَ أعطاني البشارةَ قبلَ كل المؤمنينْ

واختارني مَلكا..

وتوَّجني..

وعمَّدني بماء الياسمينْ.. [4]

شكراً لحُبكِ..

فهو أكرمني..

وأدبني..

وعلمني علومَ الأولينْ

واختصني.. بسعادة الفردوس.. دونَ العالمينْ

(1) المندسُّ : المختبئ.

(4) عمَّدني بماء الياسمين : المراد : غسلني بماء الياسمين.

شكراً ..

لأيام التسكُّع تحت أقواس الغمام..

وماء تشرينَ الحزينْ (5)

ولكل ساعات الضلال..

وكل ساعات اليقينْ

شكراً لعينيكِ المسافرتينِ وحدهَما..

إلى جُزر البنفسجِ.. والحنينْ..

شكراً ..

على كلِّ السنين الذاهباتِ..

فإنها أحلى السنينْ..

شكراً لُحبك..

فهوْ من أغلى وأوفى الأصدقاءْ

وهوْ الذي يبكي على صدري..

إذا بكتِ السماءْ

شكراً لحبكِ فهو مروحةٌ..

وطاووسٌ.. ونعناعٌ.. وماءْ

وغمامةٌ ورديةٌ مرتْ مصادفةً بخطّ الاستواء..

(5) التسكُّع : المشي في تعسُّف وضلال.

وهو المفاجأة التي قد حار فيها الأنبياء ..

شكراً لشعْركِ.. شاغلِ الدنيا..

وسارقِ كل غابات النخيلْ

شكراً لكل دقيقةٍ..

سمحتْ بها عيناكِ في العمر البخيلْ

شكراً لساعات التهوّر.. والتحدي..

واقتطافِ المستحيلْ..

شكراً على سنوات حبكِ كلها..

بخريفها.. وشتائها

وبغيمها.. وبصحوها..

وتناقضات سمائها..

شكراً على زَمَنِ البُكا.. ومواسمِ السهَر الطويلْ[1]

شكراً على الحزن الجميلْ..

شكراً على الحزن الجميلْ..



(1) المراد : (البكاء) بالهمز.. ولكنه أوردها هكذا : (البكا) ؛ لإقامة الوزن الشعري.

وصفة عربية لمداواة العشق

تصوَّرتُ حبكِ..

طفحاً خفيفاً على سطح جلدي..

أداويهِ بالماءِ.. أو بالكُحولْ

وبررتهُ باختلافِ المناخْ..

وعللتُه بانقلاب الفصُولْ..

وكنتُ إذا سألوني.. أقول :

هواجسُ نفسٍ..

وضربة شمسٍ..

وخدشٌ صغيرٌ على الوجهِ.. سوف يزولْ..

***

تصورت حبكِ.. نهراً صغيراً..

سيُحيي المراعي.. ويروي الحقولْ..

ولكنهُ اجتاحَ بر حياتي..

فأغرقَ كل القرى..

وأتلفَ كل السهُولْ..

وجرَّ سريري..

وجدرانَ بيتي..

وخلَّفني فوق أرض الذُهولْ.. !!

***

تصورت في البدءِ..

أن هواكِ يمرُّ مرورَ الغمامةْ

وأنك شطُّ الأمانْ

وبرُّ السلامةْ..

وقدرتُ أن القضية بيني وبينكِ..

سوفَ تهونُ ككُلِّ القضايا..

وأنكِ سوف تذوبينَ مثلَ الكتابة فوق المرايا..

وأن مرورَ الزمانْ..

سيقطعُ كل جُذور الحنانْ

ويغمُرُ بالثلج كل الزوايا

***

تصورت أن حماسي لعينيك كان انفعالا..

كأي انفعالْ..

وأن كلامي عن الحب..

كان كأي كلامٍ يُقالْ

وأكتشفُ الآن.. أني كنتُ قصيرَ الخيالْ

فما كان حُبكِ طفحاً يداوى بماء البنفسج واليانسُونْ..

ولا كان نوبةَ بردٍ..

سترحلُ عند رحيل رياح الشمالْ..

ولكنه كانَ سيفا ينامُ بلحمي..

وجيشَ احتلالْ..

وأول مرحلةٍ في طريق الجُنونْ..



ألا تجلسين قليلاً؟

ألا تجلسين قليلاً ؟.. ألا تجلسين ؟

فإن القضية أكبر منكِ.. وأكبر مني

كما تعلمين..

وما كان بيني وبينكِ..

لم يكن نقشاً على وجه ماء

ولكنه كان شيئاً كبيراً.. كبيرا

كهذهِ السماء

فكيف بلحظة ضعف

نريد اغتيال السماء؟

ألا تجلسين لخمس دقائق أخرى ؟

ففي القلب شيء كثير..

وحزن كثير..

وليس من السهل قتل العواطف في لحظات

وإلقاء حبك في سلة المهملات

فإن تراثنا من الحب.. والشعر.. والحزن.. [1]

والخبز.. والملح.. والتبغ.. والذكريات

يحاصرنا من جميع الجهات

فليتكِ تفكرين قليلاً بما تفعلين

فإن القضية أكبر منك.. وأكبر مني

كما تعلمين..

أنا لا أحاول رد القضاء

ولكنني أشعر الآن ..

إن التشنُّج ليس علاجاً لما نحن فيه

وأن الحماقة ليست طريق اليقين

وأن الشؤون الصغيرة بيني وبينكِ

ليست تموت بتلك السهولة

وأن المشاعر لا تتبدل مثل الثياب الجميلة

أنا لا أحاول تغيير رأيكِ

(1) تراثنا :المراد : ما ورثناه ونشأنا عليه.

إن القرار قراركِ طبعا

ولكنني أشعر الآن..

أن جذوركِ تمتد في القلب

ذات الشمال.. وذات اليمين

فكيف نفك حصار العصافير.. والبحر

والصيف.. والياسمين..

وكيف نقصُّ بثانيتين..

شريطاً غزلناه في عشرات السنين؟!

سأسكبُ كأساً لنفسي

وأنتِ ؟

تذكرتُ أنك لا تشربين

أنا لستُ ضد رحيلكِ.. لكن

أكرر أن السماء ملبدة بالغيوم

وأخشى عليكِ سقوط المطر

فماذا يضيركِ لو تجلسين ؟

لحين انقطاع المطر

وماذا يضيركِ ؟

لو تضعين قليلاً من الكحل فوق جفونكِ

أنتِ بكيتِ كثيرا

وما زال وجهكِ رغم اختلاط دموعكِ بالكحل

مثل القمر.. !! [1]

أنا لست ضد رحيلكِ.. لكن

لدي اقتراح بأن نقرأ الآن شيئاً من الشعر

علَّ قليلاً من الشعر يكسر هذا الضجر

تقولين أنك لا تعجبين بشعري..

سأقبل هذا التحدي الجديد

بكل برود.. وكل صفاء

وأذكر كم كنتِ تحفلين بشعري

وتحتضنين حروفي صباح مساء

وأضحك..

من نزوات النساء..

(1) وجهك مثل القمر : تصوير قديم ومستهلك، ولكن إضافة الشاعر قوله: « رغم اختلاط دموعك بالكحل » جعله رائعاً ومبتكراً وحياً.

فليتكِ سيدتي تجلسين

فإن القضية أكبر منك.. وأكبر مني

كما تعلمين..

إذن سامحيني..

أما زلتِ غضبى ؟

فأنت حبيبة قلبي على أي حال

سأفرض أني تصرفتُ مثل جميع الرجال

ببعض الخشونة

وبعض الغرور

فهل ذاك يكفي لقطع جميع الجسور ؟

وإحراق كل الشجر..

أنا لا أحاول رد القضاء ورد القدر

ولكنني أشعر الآن..

أن اقتلاعك من عصب القلب صعب

وإعدام حبك صعب

وعشقكِ صعب..

وكرهكِ صعب..

وقتلكِ حلم بعيد المنال..

فلا تعلني الحرب..

إن الجميلات لا تحترفن القتال

ولا تطلقي النار ذات اليمين.. وذات الشمال

ففي آخر الأمر

لن تستطيعي اغتيال جميع الرجال.. !!



أحبك جدًّا

أحبك جدًّا..

وأعرف أني تورطت جدًّا

وأحرقت خلفي جميع المراكب..

وأعرف أني سأهزم جدًّا..

برغم ألوف النساء

ورغم ألوف التجارب..

أحبك جدًّا..

وأعرف أنى بغابات عينيك..

وحدي أحارب..

وأني.. ككل المجانين..

حاولت صيد الكواكب..

وأبقى أحبك.. رغم اقتناعي

بأن بقائي إلى الآن حيًّا

أُقاوم نهديك..

إحدى العجائب.. !!

أحبك جدًّا ..

وأعرف أني أقامر رأسي. .

وأن حصاني خاسر

وأن الطريق لبيت أبيك

محاصرة بألوف العساكر

وأبقى أحبك.. رغم يقيني

بأن التلفظ باسمك كفر

وأني أحارب.. فوق الدفاتر

أحبك جدًّا..

وأعرف أن هواك انتحار

وأني حين سأكمل دوري

سيُرخى علي الستار..

وألقى برأسي على ساعديك

وأعرف أن لن يجيء النهار

وأقنع نفسي بأن سقوطي..

قتيلاً على شفتيك.. انتصار.. !

***

أحبك جدًّا ..

وأعرف منذ البداية..

بأنى سأفشل

وأني خلال فصول الرواية

سأُقتل..

ويُحمل رأسي إليك

وأني سأبقى ثلاثين يوماً

مسجًّى كطفل على رُكبتيك

وأفرح جدًّا.. بروعة تلك النهاية.. !!



يوميات رجل مهزوم

لم يحدث أبداً أن أحببت بهذا العمق

لم يحدث.. لم يحدث أبداً..

أني سافرت مع امرأة..

لبلاد الشوق..

وضربت شواطئ نهديها

كالرعد الغاضب.. أو كالبرق

فأنا في الماضي لم أعشق

بل كنت أمثل دور العشق..

لم يحدث أبداً..

أن أوصلني حب امرأة حتى الشنق

لم أعرف قبلك واحدة

غلبتني.. أخذت أسلحتي..

هزمتني.. داخل مملكتي

نزعت عن وجهي أقنعتي..

لم يحدث أبداً سيدتي

أن ذقت النار.. وذقت الحرق.

***

كوني واثقةً.. سيدتي

سيحبك.. آلاف غيري

وستستلمين بريد الشوق

لكنك.. لن تجدي بعدي

رجلاً يهواك بهذا الصدق

لن تجدي أبداً..

لا في الغرب.. ولا في الشرق.. !



البرتقالة ..

يُقشرُني الحبُّ كالبُرتقالةِ..

يفتحُ في الليل صدري..

ويتركُ فيه:

نبيذاً.. وقمحاً.. وقنديلَ زيتْ

ولا أتذكرُ أني انذبحتُ

ولا أتذكرُ أني نزفتُ

ولا أتذكرُ أني رأيت..

يُبعثرني الحب مثلَ السحابةِ..

يُلغي مكانَ الولادةْ..

يُلغي سنينَ الدراسةِ..

يُلغي الإقامة.. يُلغي الديانةَ..

يُلغي الزواجَ..

الطلاقَ..

الشهودَ..

المحاكمَ..



يسحبُ مني جوازَ السفرْ..

ويغسلُ كل غُبار القبيلةِ عني.

ويجعلني..

من رعايا القمَرْ..

يغيرُ حبكِ طقس المدينةِ..

ليلَ المدينة..

تغدو الشوارعُ عيداً من الضوء تحت رذاذ المطرْ [6]

وتغدو الميادينُ أكثر سحراً

ويغدو حمامُ الكنائس يكتبُ شعْراً

ويغدو الهوى في مقاهي الرصيف

أشدَّ حماساً..

وأطولَ عمراً..

وتضحكُ أكشاكُ بيع الجرائدِ حين تراكِ..

تجيئينَ بالمعطفِ الشتوي إلى الموعد المنتظرْ..

فهل صدفةٌ أن يكونَ زمانُكِ

مرتبطا بزمانِ المطرْ ؟..

يُعلمني الحبُّ ما لستُ أعلمُ..

(6) الرذاذ: هو أول سقوط المطر.

يكشفُ لي الغيبَ..

يجترحُ المعجزاتْ

ويفتحُ بابي ويدخلُ..

مثلَ دخول القصيدةِ..

مثلَ دخول الصلاةْ..

وينثرني كعبير المانوليا بكل الجهاتْ[1]

ويشرحُ لي كيف تجري الجداولُ..

كيف تموجُ السنابلُ..

كيف تُغني البلابلُ والقُبرَّاتْ [2]

ويأخذُ مني الكلامَ القديمَ..

ويكتُبني بجميع اللغَاتْ..

يقاسمني الحبُّ نصفَ سريري..

---

(1) المانوليا : زهرة رائعة الجمال.. طيبة الرائحة .

(2) القبرات : جمع قُبرة.. القُبَّرُ والقُبَّرة والقُنبَرُ والقُنْبَرة والقُنْبَراء: وهو طائر يشبه الحُمَّرة. .. قال طَرَفَة وكان يصطاد هذا الطير في صباه:

يا لكِ مـــن قُبَّرةٍ بمَعْـــــمَرِ   خَلا لكِ الجَوُّ فبيضِي واصْفِرِي

ونَقِّرِي ما شِئْتِ أَن تُنَقِّرِي قد ذهبَ الصَّيَّادُ عنكِ فـ أَبْشِرِي

لا بُدَّ من أَخذِكِ يوماً فاصْبِرِي.

ونصفَ طعامي..

ونصفَ نبيذي..

ويسرق مني الموانئ والبحرَ..

يسرقُ مني السفينةْ

وينقُرُ كالديكِ وجهَ الشراشفِ..[3]

يصرخُ فوق قباب المساجدِ..

يصرخُ فوقَ سطوح الكنائسِ..

يوقظُ كلَّ نساءِ المدينةْ..

يعلمني الحبُّ كيف تكونُ القصائدُ مائيةَ اللونِ..

كيف تكون الكتابةُ بالياسمينْ..

وكيف تكونُ قراءةُ عينيكِ..

عزْفاً جميلاً على الماندولينْ

ويأخذني من يدي.. ويُريني بلاداً

نهودُ جميلاتها من نحاسٍ..

وأجسادُهنَّ مزارعُ بُنٍّ..

وأعيُنُهُنَّ غناءُ فلامنكو حزينْ

(3) الشراشف : الشرشف: كلمة فارسية الأصل ؛ من (جارجب)؛ بمعنى مُلاءة.. أو الرداء النسائي .

وحينَ أقول : تعبتُ

يمدُّ عباءتهُ تحت رأسي

ويقرأ لي ما تيسرَ من سورة الصابرينْ [8]

يفاجئني الحبُّ مثلَ النُبوءة حين أنامْ

ويرسمُ فوق جبيني

هلالاً مضيئاً.. وزوجَ حمامْ

يقولُ: تكلمْ !!

فتجري دموعي.. ولا أستطيعُ الكلامْ

يقولُ: تألمْ !!

أجيبُ: وهل ظل في الصدر غيرُ العظامْ

يقولُ: تعلمْ !!

أجاوبُ: يا سيدي وشفيعي

أنا منذ خمسين عامًا

أحاول تصريف فعل الغرام

ولكنني في دروسي جميعاً رسبت

فلا في الحروب ربحت

ولا في السلام.. !!



(8) ليست هناك سورة بهذا الاسم (الصابرين)، ولكن المراد هو: ما تمنحه النزعة الدينية من هدوء وراحة وصبر.

أحبكِ.. أحبكِ.. والبقية تأتي

أحبكِ.. أحبكِ.. والبقية تأتي

حديثُكِ سُجادةٌ فارسيةْ..

وعيناكِ عُصفورتانِ دمشقيتانِ..

تطيرانِ بين الجدار وبين الجدارْ..

وقلبي يسافرُ مثل الحمامة فوقَ مياه يديكِ..

ويأخذُ قيلولةً تحت ظلِّ السوارْ.. [1]

وإني أحبكِ..

لكنْ أخافُ التورطَ فيكِ..

أخافُ التوحدَ فيكِ..

أخافُ التقمصَ فيكِ..

فقد علمتني التجاربُ أن أتجنب عشقَ النساءِ..

(1) السوار : الحُلي حول معصم المرأة أو رقبتها أو قدمها. وليتنا نتأمل مدى جمال تشبيه قلبه بالحمامة التي تسافر فوق نهر يديها.. ولما أرادت أن تستريح نامت في ظل سوارها ...!!

وموجَ البحارْ..

أنا لا أناقش حبكِ.. فهو نهاري

ولستُ أناقشُ شمسَ النهارْ

أنا لا أناقش حبكِ..

فهو يقررُ في أي يوم سيأتي..

وفي أي يومٍ سيذهبُ.

وهو يحددُ وقتَ الحوارِ.. وشكلَ الحوارْ..

دعيني أصبُّ لكِ الشايَ..

أنتِ خرافيةُ الحسن هذا الصباحَ..

وصوتُكِ نقشٌ جميلٌ على ثوب مراكشيةْ

وعِقْدُكِ يلعبُ كالطفل تحت المرايا..

ويرتشفُ الماءَ من شفة المزهريةْ

دعيني أصب لكِ الشايَ..

هل قلتُ أني أحبكِ؟

هل قلتُ أني سعيدٌ لأنكِ جئتِ..

وأن حضورَكِ يُسعدُ مثلَ حضور القصيدَةْ

ومثلَ حضور المراكبِ..

والذكرياتِ البعيدَةْ..

دعيني أترجمُ بعضَ كلام المقاعدِ وهي تُرحبُ فيكِ..

دعيني أعبرُ عما يدورُ ببال الفناجينِ..

وهي تفكرُ في شفتيكِ..

وبالِ الملاعقِ.. والسكريةْ..

دعيني أضيفكِ حرفاً جديداً..

على أحرُف الأبجديةْ..

دعيني أناقضُ نفسي قليلاً

وأجمعُ في الحُب بين الحضارة والبربريةْ..

***

أأعجبكِ الشايُ؟

هل ترغبينَ ببعض الحليبِ ؟

وهل تكتفينَ – كما كنتِ دوماً – بقطعةِ سُكرْ ؟

وأما أنا فأفضلُ وجهكِ من غير سُكرْ..

***

أكررُ للمرة الألف أني أحبكِ..

كيف تريدينني أن أفسرَ ما لا يُفَسَّرْ ؟

وكيف تريدينني أن أقيسَ مساحةَ حزني ؟

وحزنيَ كالطفل..

يزدادُ في كل يوم جمالاً ويكبرْ..

دعيني أقول بكل اللغات التي تعرفينَ ولا تعرفينَ..

أحبكِ أنتِ..

دعيني أفتشُ عن مفرداتٍ..

تكون بحجم حنيني إليكِ..

وعن كلماتٍ.. تغطي مساحةَ نهديكِ..

بالماء.. والعُشْب.. والياسمينْ

دعيني أفكر عنكِ..

وأشتاقُ عنك..

وأبكي.. وأضحكُ عنك..

وألغي المسافةَ بين الخيال وبين اليقينْ..

دعيني أنادي عليكِ.. بكل حروف النداءِ..

لعلي إذا ما تغَرْغرتُ باسمكِ.. من شفتي تولدينْ[1]

(1) تغرغرت باسمك : المراد : أخذت أردِّد اسمك.

دعيني أؤسسُ دولةَ عشقٍ..

تكونينَ أنت المليكةَ فيها..

وأصبحُ فيها أنا أعظمَ العاشقينْ..

دعيني أقودُ انقلابا..

يوطدُ سلطةَ عينيكِ بين الشعوبِ..

دعيني.. أغيّرُ بالحبِّ وجهَ الحضارةِ..

أنتِ الحضارةُ..

أنت التراث الذي يتشكلُ في باطن الأرض منذ ألوف السنينْ..

أحبكِ..

كيفَ تريدينني أن أبرهنَ أن حضورَكِ في الكون..

مثل حضور المياهِ..

ومثل حضور الشجرْ

وأنكِ زهرةُ دوَّار شمسٍ..

وبستانُ نخلٍ..

وأغنيةٌ أبحرتْ من وَتَرْ..

دعيني أقولك بالصمتِ..

حين تضيقُ العبارةُ عما أعاني..

وحين يصيرُ الكلامُ مؤامرةً أتورط فيها..

وتغدو القصيدةُ آنيةً من حجرْ..

دعيني..

أقولكِ ما بين نفسي وبيني..

وما بينَ أهداب عيني.. وعيني..

دعيني..

أقولكِ بالرمزِ..

إن كنتِ لا تثقينَ بضوء القمرْ..

دعيني أقوَلكِ بالبَرقِ..

أو برذاذ المطرْ..

دعيني أقدّمُ للبحر عنوانَ عينيكِ..

أن تقبلي دعوتي للسفرْ..

لماذا أحبكِ ؟

أن السفينةَ في البحر.. لا تتذكرُ كيف أحاط بها الماءُ..

لا تتذكّرُ كيف اعتراها الدُّوارْ..

لماذا أحبكِ ؟

إن الرصاصةَ في اللحم لا تتساءلُ من أين جاءتْ..

وليست تُقدمُ أي اعتذارْ..

***

لماذا أحبكِ؟..

لا تسأليني..

فليسَ لديَّ الخيارُ..

وليس لديكِ الخيارْ..



تناقضات ن.ق. الرائعة

وما بين حبٍّ وحبٍّ..

أحبك أنتِ..

وما بين واحدةٍ ودّعتني..

وواحدةٍ سوف تأتي..

أفتشُ عنكِ هنا.. وهناكْ..

كان الزمانَ الوحيدَ زمانُكِ أنتِ..

كان جميعَ الوعود تصبُّ بعينيكِ أنتِ..

فكيف أفسرُ هذا الشعورَ الذي يعتريني

صباحَ مساءً..

وكيف تمرين بالبالِ..

مثلَ الحمامةِ..

حينَ أكون بحضرة أحلى النساءْ ؟

***

وما بين وعدين..

وامرأتينِ..

وبينَ قطارٍ يجيء وآخرَ يمضي .

هنالكَ خمسُ دقائقَ..

أدعوكِ فيها لفنجان شايٍ قُبيلَ السفرْ..

هنالكَ خمسُ دقائقً..

بها أطمئنُ عليكِ قليلا..

وأشكو إليكِ همومي قليلا..

وأشتمُّ فيها الزمانَ قليلا..

هنالكَ خمسُ دقائقْ..

بها تقلبينَ حياتي قليلا..

فماذا تسمّينَ هذا التشتّتَ..

هذا التمزقَ..

هذا العذابَ الطويل الطويلا..

وكيف تكونُ الخيانةُ حلا ؟

وكيف يكونُ النفاقُ جميلا ؟..

وبين كلام الهوى في جميع اللغاتْ

هناكَ كلامٌ يقالُ لأجلكِ أنتِ..

وشعرٌ.. سيربطه الدارسونَ بعصركِ أنتِ..

وما بين وقتِ النبيذ ووقتِ الكتابة.. يوجد وقتٌ

يكونُ به البحرُ ممتلئاً بالسنابلْ

وما بين نقطة حِبرٍ..

ونقطة حبرٍ..

هنالكَ وقتٌ..

ننامُ معاً فيه.. بين الفواصلْ..

وما بين فصل الخريف..

وفصل الشتاءْ

هنالكَ فصلُ أسمّيهِ فصلَ البكاءْ

تكون به النفسُ أقرب من أي وقتٍ مضى للسماءْ..

وفي اللحظات التي تتشابهُ فيها جميعُ النساءْ

كما تتشابهُ كل الحروف على الآلة الكاتبةْ

وتصبحُ فيها ممارسةُ الجنس..

ضرباً سريعاً على الآلة الكاتبةْ

وفي اللحظاتْ التي لا مواقفَ فيها..

ولا عشقَ..

لا كرهَ..

لا برقَ..

لا رعدَ.. لا شعرَ.. لا نثرَ

لا شيءَ فيها..

أسافرْ خلفكِ..

أدخلُ كل المطاراتِ.. أسألُ كل الفنادق

عنكِ.. فقد يتصادفُ أنك فيها..

وفي لحظاتِ القنوطِ.. الهبوطِ..

السقوطِ.. الفراغِ.. الخواءْ[9]

وفي لحظات انتحار الأماني.. وموتِ الرجاءْ

وفي لحظات التناقضِ..

(9) (القنوط) هو : اليأس .أما (الخواء) فهو : الفراغ .

حين تصير الحبيباتُ.. والحبُّ ضدي..

وتصبحُ فيها القصائدُ ضدي..

وتصبحُ – حتى النهودُ التي بايعتني على العرش – ضدي

وفي اللحظات التي أتسكّعُ فيها على طُرُق الحزن وحدي.

أفكر فيكِ لبضع ثوانٍ..

فتغدو حياتي حديقةَ وردِ..

وفي اللحظات القليلةِ..

حين يفاجئني الشعرُ دونَ انتظار

وتصبحُ فيها الدقائقُ حُبْلى بألفِ انفجار

وتصبحُ فيها الكتابةُ فعلَ خلاصٍ..

وفعلَ انتحار..

تطيرينَ مثلَ الفراشة بين الدفاتر والأَصْبَعَيْنْ

فكيف أقاتلُ خمسينَ عاماً على جبهتينْ ؟

وكيف أبعثر لحمي على قارتينْ ؟

وكيف أجاملُ غيركِ ؟..

كيف أجالسُ غيركِ ؟..

كيفَ أضاجعُ غيركِ ؟ كيفْ..

وأنتِ مسافرةٌ في عروق اليدينْ.. ؟!

***

وبين الجميلات من كل جنسٍ ولونِ..

وبين مئات الوجوه التي أقنعتني..

وما أقنعتني

وما بين جرحٍ أفتشُ عنهُ..

وجرحٍ يفتشُ عني..

أفكرُ في عصرِك الذهبيِّ..

وعصرِ المانوليا..

وعصرِ الشموع..

وعصرِ البخُور

وأحلم في عصركِ الكانَ أعظمَ كل العصور

فماذا تسمّينَ هذا الشعورْ ؟

وكيفَ أفسرُ هذا الحضورَ الغيابَ..

وهذا الغيابَ الحضور؟!

وكيفَ أكون هنا..

وأكونُ هناكْ ؟!

وكيف يريدونني أن أراهُمْ..

وليس على الأرض أنثى سواكِ

أحبك..

حين أكون حبيبَ سواكِ..

وأشربُ نخبكِ حين تصاحبني امرأة للعشاء

ويعثر دوما لساني.. [1]

فأهتُفُ باسمكِ حين أنادي عليها..

وأشغلُ نفسي خلال الطعامْ

بدرس التشابه بين خطوط يديكِ..

وبينَ خطوط يديها..

وأشعرُ أني أقومُ بدورْ المُهرِّجِ..

حين أركزُ شالَ الحرير على كتفيها..

وأشعرُ أني أخونُ الحقيقةَ..

حين أقارنُ بين حنيني إليكِ.. وبين حنيني إليها..

---

(1) يعثر لساني : يصعب عليه الكلام، ويخطأ فيه.

فماذا تسمّينَ هذا؟

ازدواجاً.. سقوطاً..

هروباً.. شذوذاً..

جنوناً..

وكيف أكون لديكِ

وأزعمُ أني لديها.. ؟!

إن الأنوثة من علم ربي..

يذوبُ الحنانُ بعينيك مثلَ دوائر ماء

يذوبُ الزمانُ.. المكانُ..

الحقولُ.. البيوتُ..

البحارُ.. المراكبُ..

يسقطُ وجهي على الأرض مثلَ الإناء

وأحملُ وجهي المكسّرَ بين يديَّ..

وأحلمُ بامرأةٍ تشتريهِ..

ولكن من يشترونَ الأواني القديمةَ.. قد أخبروني

بأن الوجوهَ الحزينةَ لا تشتريها النساء

***

وصلنا إلى نقطة الصِفْرِ..

ماذا أقول ؟ وماذا تقولينَ ؟

كلُّ المواضيع صارتْ سواءْ..

وصارَ الوراءُ أماماً..

وصار الأمامُ وراءْ..

وصلنا إلى ذروة اليأس..

حيث السماءُ رصاصٌ..

وحيثُ العناقُ قَصاصٌ.. [1]

وحيثُ ممارسةُ الجنس..

أقسى جزاءْ..

***

(1) العناق قصاص : أي : صار العناق جرماً يُعاقَب عليه صاحباه.!

تُحبين.. أو لا تُحبينَ..

إن القضيةَ تعنيكِ أنت على أي حالْ

فلستُ أجيدُ القراءةَ في شفتيكِ..

لكي أتنبأ في أي وقتٍ..

سينفجرُ الماءُ تحت الرمالْ

وفي أي شهرٍ تكونينَ أكثر عُشباً..

وأكثرَ خِصبا..

وفي أي يومٍ تكونينَ قابلةً للوصالْ

***

تُريدينَ.. أو لا تُريدينَ..

إن الأنوثةَ من علم ربي..

ولو كنتُ أملكُ خارطة الطقس..

كنت قرأتكِ سطراً.. فسطرا

وبرًّا.. وبحرًّا..

ونهدًا.. وخصرًا..

وكنتُ تأكدت من أي صوبٍ..

تهبُّ رياحُ الجنوبِ..

ومن أي صوبٍ.. تهبُّ رياحُ الشمالْ

وكنتُ أكتشفتُ طريقي

إلى جُزُر التبغ.. والشاي.. والبرتُقَالْ.. [1]

***

تُحبين.. أو لا تُحبينَ..

إن السنين.. الشهورَ.. الأسابيعَ..

تمرقُ كالرمل من راحَتَينَا.. [2]

أحاول تفسيرَ هذا التشابه في الحزنِ في نظرتينا..

---

(1) سبق أن أشرنا إلى أن الجمع الصحيح لكلمة (جزيرة) هو: الجزائر. وليس الجزر.

(2) تمرق: تمر سريعاً، وتخترق.

أحاول تفسيرَ هذا الخرابِ..

الذي يتراكمُ شيئاً.. فشيئاً على شَفَتينَا..

أحاول أن أتذكرَ عصرَ الكلام الجميلْ

وعصرَ المياهِ وعصرَ النخيلْ

أحاول ترميمَ حبكِ.. رغمَ اقتناعي

بأن التصاقَ الزُجاج المكسّرِ ضربٌ من المستحيل..

تُحبينَ.. أو لا تُحبينَ..

إن القضيةَ لا تستحقُّ الوقوفَ لديها طويلا..

ولا تستحقُّ الغَضَبْ..

لقد أصبح الماءُ مثلَ الخَشَبْ

لقد أصبح الماءُ مثلَ الخَشَبْ

وكلُّ النساء اللواتي دخلنَ حياتي

أتينَ.. ورُحْنَ.. بغير سَبَبْ !!



سأبدأ من أول السطر ..

سأبدأ من أول السطر..

إن كنتِ تعتقدينْ

بأني سقطتُ أمام التحدي الكبيرْ !!

سأبدأ من أول الخَصْر..

إن كنتِ تعتقدينْ

بأني تلعثمتُ.. مثلَ التلاميذ.. فوق السريرْ.. [1]

سأبدأ من قِمة الصدر.. إن كنتِ تعتقدينْ

بأني تصرفتُ كالأغبياءْ

أمام دموع المرايا.. وشكوى الحريرْ..

سأبدأ من شفتيكِ نزولاً..

إذا كنتِ تخشينَ من غربة الليل والزمهريرْ [2]

(1) تلعثمت فوق السرير : المراد : لم تكن لي خبرات بتجارب الفراش .

(2) الزمهرير : شدة البرودة.

سأبدأ من قَدَميكِ صعودًا..

إذا كان لا بد لي أن أموتَ..

لأربحَ هذا الرهانَ الكبيرْ!!!

الاستقالة

وحاولتُ بعد ثلاثينَ عاماً من العشق أن أستقيلا..

وأعلنتُ في صفحات الجرائدِ

أني اعتزلتُ قراءةَ ما في عيون النساءِ..

وما في رءوس النساءِ..

وما تحت جلد النساءِ..

وأغلقتُ بابي.. لعلي أنامُ قليلا..

وأغمدتُ سيفي.. وودعتُ جندي .

وودعتُ خيلي التي رافقتني زماناً طويلا..

وسَلمتُ مفتاحَ مكتبتي للصغارْ

وأوضحتُ كيفَ يُصرّفُ فعلُ الهوى

وكيف تصيرُ الحبيبةُ شمسًا..

وكيف تصيرُ يداها نخيلا..

وحاولتُ إقناعَ شَعركِ أن لا يطولَ كثيراً على كَتِفَيكِ..

وأنْ لا يكون جداراً من الحزن فوق حياتي..

ولكن شَعرَكِ خيّب كل الظنونِ..

وظلَّ طويلاً..

وأوصيتُ جسمكِ أن لا يثيرَ خيالَ المرايا..

ولكن جسمَكِ خالفَ كل الوصايا..

وظل جميلا..

وحاولتُ إقناعَ حُبكِ أنّ أجازةَ عامٍ..

على البحر..

أو في أعالي الجبالِ.. تُفيدُ كلينا

ولكن حبكِ ألقى الحقائبَ فوق الرصيفْ

وأخبَرني أنهُ لا يريدُ الرحيلا.. !

***

وحاولتُ إقناعَ نهديكِ.. باللين حينا.. وبالعُنف حينا..

بأني خسرتُ الرهانْ..

وأنّ الحصانَ الذي كان يحرثُ أرض الكواكبِ..

ملَّ الوثوبَ.. وملَّ الصهيلا..

ولكن صدرك ظل يقاتلُ شبراً فشبرًا..

وبرًّا وبحراً.. إلى أن رماني قتيلا..

***

وحاولتُ أن أستريحَ ككل الخيولِ التي أنهكتهَا الحروبْ

أليس له الحقُّ أن يستريحَ المحاربْ؟

وحاولتُ حذفَ مدينة بيروتَ من ذكرياتي

وإلغاءَ كل الشوارع فيها..

وكل المطاعمِ.. كل المسارح فيها..

وحاولتُ أن أتجنّبَ كل المقاهي التي عرفتنا كليْنا

وتشعُرُ بالشوق نحو كليْنا

وتحفظُ – رغمَ مرور الزمانِ – خطوطَ يديْنا

وحاولتُ نسيانَ كل الضواحي الجميلة ما بينَ صيدا وبين

جُبَيْلَ.. ونسيانَ رائحةِ البرتُقالِ.. وصوتِ الجنادبْ[1]

ولكن حُبكِ ما زال يرفضُ كل الحلولْ

ويقتحمُ النفسَ في آخر الليل.. مثلَ صفير المراكبْ.. !

***

كتبتُ خطاباً طويلاً لبيروتَ..

أعلمتُها فيه.. أني اتخذتُ قراري

وسلَّمتُ مفتاحَ بيتي إليها.. ومفتاحَ داري..

وأعطيتُ دوري لغيري..

وأعلنتُ أني استقلتُ من المسرحيةْ

وودّعتُ وجهَ حبيبي المصوّرَ فوق قماش الصواري[2]

وفوق الرمالِ.. وفوق المحار

---

(1) الجنادب : نوع من الطير ؛ ذي قرنين رفيعين ممتدين.

(2) الصواري : أماكن التجمُّع المصنوعة من القماش ؛ كالخيام والسرادقات.. أو الشوادر.

وقلتُ وداعاً:

أيا وردةَ الليل.. يا دفترَ الحُلم.. يا خاتمَ الشمسِ..

يا بحرُ.. يا شعرُ.. يا أبجديةْ

وداعاً لكل الحبيبات في رأس بيروتَ.. والأشرفيةْ..

شرحتُ لبيروتَ

أن ثلاثينَ عاماً من العشق تكفي..

ولكنها اعتذرت عن قبول اعتذاري..



افتتاحية ..

هذا كتابي الأربعُونَ.. ولم أزَلْ

أحبو كتلميذٍ صغيرٍ.. في هَواكِ [1]

هذا كتابي الأربعُونَ..

ورغمَ كل شطارتي.. ومَهارتي

لم يرضَ عني ناهداكِ..

كل اللغات قديمةٌ جدًّا..

وأضيقُ من رُؤايَ ومن رُؤاكِ..

لا بدَّ من لغةٍ أفصّلُها عليكِ.. حبيبتي..

لا بدَّ من لغةٍ تليقُ بمستواكِ..

حلّقتُ آلافَ السنين.. وما وصلتُ إلى ذُراكِ [2]

وجلبتُ تيجانَ الملوكِ..

وما حصلتُ على رضَاكِ..

---

(1) أحبو : أزحف كالطفل الصغير .

(2) ذُراكِ : قِمَمُكِ .والمفرد : ذروة .

وصعدتُ فوق الأبجدية كي أراكِ..

يا منْ تخيطُ قصائدي ثوباً لها..

هل ممكنٌ بين القصيدةِ.. والقصيدةْ..

أنْ أراك ؟؟..



القرار ...

إني عشقتُكِ.. واتخذت قراري

فلمَنْ أقدمُ – يا تُرى – أعذَاري ؟!

لا سلطةً في الحُب.. تعلو سُلطتي

فالرأيُ رأيي.. والخيارُ خياري

***

هذي أحاسيسي.. فلا تتدخلي

أرجوك.. بين البحرِ والبحَّارِ..

ظلّي على أرض الحياد.. فإنني

سأزيدُ إصراراً على إصرارِ

ماذا أخافُ ؟ أنا الشرائعُ كلها

وأنا المحيطُ..

وأنتِ من أنهاري

وأنا النساءُ.. جَعلتُهنَّ خواتماً

بأصابعي.. وكواكباً بمَداري

***

خلّيكِ صامتةً.. ولا تتكلمي

فأنا أديرُ مع النساءِ حِواري

وأنا الذي أُعطي مراسيمَ الهوى [1]

للواقفاتِ أمام باب مَزاري

وأنا أرتبُ دولتي.. وخرَائطي

وأنا الذي أختارُ لونَ بحاري

وأنا أقرر من سيدخلُ جنتي

وأنا أقرر من سيدخلُ ناري

أنا في الهوى متحكّمٌ.. متسلطٌ

في كل عشقٍ نكهةُ استعمارِ

فاستسلمي لإرادتي ومشيئتي

واستقبلي بطفولةٍ أمطاري..

إن كان عندي ما أقول .. فإنني

سأقولهُ للواحدِ القهارِ..

***

(1) مراسيم : قرارات.

عيناك وحدهما هُما شرعيتي

ومراكبي.. وصديقَتا أسفَاري

إن كانَ لي وطنٌ..

فوجهُكِ موطني

أو كانَ لي دارٌ.. فحُّبكِ داري

مَنْ ذا يحاسبُني عليكِ.. وأنتِ لي

هبةُ السماء.. ونعمةُ الأقدار ؟

من ذا يُحاسبنُي على ما في دمي

من لُؤلُؤٍ.. وزُمردٍ.. ومَحارِ ؟

أيُناقِشُونَ الديكَ في ألوانهِ ؟

وشقائقَ النُعمانِ في نَوار ؟

***

يا أنتِ.. يا سُلطانتى..

ومليكتي يا كوكبي البحري..

يا عَشْتاري [1] إني أحبكِ.. دونَ أي تحفّظٍ

وأعيشُ فيكِ ولادتي.. ودَماري

إني اقترفتك.. عامدًا متعمدًا

إن كنتِ عاراً.. يا لروعة عاري

ماذا أخافُ ؟ ومن أخافُ ؟ أنا الذي

نامَ الزمانُ على صدى أوتاري

***

وأنا مفاتيح القصيدةِ في يدي

من قبل بَشارٍ.. ومن مِهيَارِ

وأنا جعلتُ الشِعرَ خُبزاً ساخناً

وجعلتُهُ ثَمَراً على الأشجار

سافرتُ في بحر النساءِ.. ولم أزَلْ

من يومِهَا- مقطوعةً أخباري..

***

(1) اسم امرأة فى المثيولوجيا (الأسطورة) اليونانية ؛ يُرمز بها لصناعة الحب بين الرجل والمرأة.

يا غابةً تمشي على أقدامها

وترُشّني بقُرنفُلٍ وبَهَارِ

شفتاكِ تشتعلانِ مثلَ فضيحةٍ

والناهدان بحالة استنفارِ

وعلاقتي بهما تَظَلُّ حميمَةً

كعلاقةِ الثُّوارِ بالثُّوارِ..

فتشرَّفي بهوايَ كل دقيقةٍ

وتباركي بجداولي وبِذاري

أنا جيدٌ جدا.. إذا أحببتِني

فتعلَّمي أن تفهمي أطواري..

***

من ذا يُقاضيني ؟ وأنتِ قضيتي

ورفيفُ أحلامي.. وضوءُ نهاري [1]

من ذا يهددُني ؟ وأنتِ حضَارتي

وثقافتي.. وكتابتي.. ومَناري..

إني استقلتُ من القبائل كُلها

وتركتُ خلفي خَيمتي وغُبارى

هم يرفُضون طُفُولتي.. ونُبُوءَتي

وأنا رفضتُ مدائنَ الفُخارِ..

كلُّ القبائل لا تريدُ نساءَها

أن يكتشفنَ الحب في أشعاري.

كل السلاطين الذين عرفُتهمْ..

قطَعوا يدي.. وصَادَروا أشعاري

لكنني قاتلتهُمْ.. وقتلتُهمْ

ومررتُ بالتاريخ كالإعصارِ..

أسقطتُ بالكلماتِ ألفَ خليفةٍ

وحفرتُ بالكلماتِ ألفَ جِدَارِ..

***

(1) الرفيف : اللامع.. أو المندّى .

أصغيرتي.. إن السفينةَ أبحَرتْ

فتكَومي كحَمامةٍ بجواري

ما عادَ ينفعُكِ البُكاءُ ولا الأسى

فلقدْ عشِقْتُكِ.. واتخذتُ قراري



من يوميات رجل مجنون

إذا ما صَرختُ :

«أحبكِ جدًّا»

«أحبكِ جدًّا»

فلا تُسكتيني .

إذا ما أضعتُ اتزاني

وطوّقتُ خَصرَكِ فوق الرصيفِ..

فلا تنهَريني.. [1]

إذا ما ضربتُ شبابيكَ نهدَيكِ

كالبرقِ.. ذاتَ مساءٍ

فلا تُطفئيني..

إذا ما نزفتُ كديكٍ جريحٍ على ساعديكِ

فلا تُسعفيني..

إذا ما خرجتُ على كل عُرفٍ.. وكل نظامٍ

فلا تقمعيني..

(1) لا تنهريني : لا تصدّيني .

أنا الآن في لحظاتِ الجُنونِ العظيمِ

وسوفَ تَضيعين فرصةَ عُمركِ

إن أنت لم تستغلي جُنوني . !!

***

إذا ما تدفقتُ كالبحر فوقَ رمَالكِ..

لا تُوقفيني..

إذا ما طلبتُ اللجوءَ إلى كُحل عينيكِ يوما..

فلا تطرُديني..

إذا ما انكَسَرتُ فتافيتَ ضوءٍ على قدميك..

فلا تسحقيني..

***

إذا ما ارتكبتُ جريمةَ حُبٍّ

وضيع لونُ البرونزِ المعتقِ في كتفيكِ.. يقيني

إذا ما تصرفتُ مثلَ غلامٍ شقي

وغطَّستُ حَلْمةَ نهدكِ بالخمرِ..

لا تضربيني .

أنا الآن في لحظات الجنونِ الكبيرِ

وسوف تُضيعين فرصَةَ عُمركِ..

إن أنت لم تستغلي جنوني . !!

***

إذا ما كتبتُ على وَرَق الوردِ..

إني أحبكِ..

أرجوك أن تقرأيني..

إذا ما رَقَدتُ كطفلٍ.. بغاباتِ شَعركِ..

لا تُوقظيني .

إذا ما حملتُ حليبَ العصافير.. مَهراً

فلا ترفَضيني..

إذا ما بعثتُ بألفِ رسالة حُبٍّ

إليكِ..

فلا تُحرقيها.. ولا تُحرقيني..

***

إذا ما رأوكِ معي.. في مقاهي المدينة يوما..

فلا تُنكريني..

فكل نساء المدينةِ يعرفنَ ضعفي أمام الجَمالِ..

ويعرفنَ ما مصدرُ الشعرِ والياسمينِ..

فكيفَ التخفي ؟

وأنتِ مصوّرةٌ في مياه عيوني .

أنا الآن في لحظات الجنُون المضيءِ

وسوف تضيعين فرصةَ عمركِ..

إن أنت لم تستغلي جنوني .!!

إذا ما النبيذُ الفَرنسيُّ..

فكَّ دبابيس شعركِ دونَ اعتذارِ

فحاصرَني القمحُ من كل جانبْ

وحاصَرني الليلُ من كل جانبْ

وحاصرني البحرُ من كل جانبْ

وأصبحتُ آكلُ مثلَ المجانين عُشبَ البراري..

وما عدتُ أعرفُ أين يميني..

وما عدتُ أعرفُ أين يساري ؟

***

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ..

ألغى الفروقَ القديمةَ بين بقائي وبين انتحاري

فأرجوك.. باسمِ جميع المجاذيبِ.. أن تفهميني

وأرجوك.. حين يقولُ النبيذُ كلاماً عن الحُبِّ..

فوق التوقُّع.. أن تعذُريني .

أنا الآن في لَحَظات الجنونِ البهِيِّ

وسوفَ تضيعين فُرصةَ عُمركِ

إن أنت لم تستغلي جنوني.. !!

***

إذا ما النبيذُ الفرنسي..

ألغَى الوجُوهَ..

وألغى الخُطوطَ..

وألغى الزوايا

ولم يبقَ بين النساءِ سواكِ

ولم يبقَ بين الرجال سوايا

وما عدتُ أعرفُ أين تكونُ يداكِ..

وأين تكونُ يدايا.. !

***

وما عدتُ أعرفُ كيف أفرقُ بين النبيذِ..

وبين دِمايا..

وما عدتُ أعرفُ كيف أميز بين كلام يديكِ

وبين كلام المرايا..

إذا ما تناثرت في آخر الليل مثلَ الشظايا

وحاصَرني العشقُ من كل جانبْ

وحاصَرني الكُحلُ من كل جانبْ

***

وضيعتُ اسمي..

وعُنوانَ بيتي..

وضيّعتُ أسماء كل المراكِبْ..

فأرجوك.. بعد التناثر.. أن تجمعيني..

وأرجوك.. بعدَ انكِسَاريَ.. أن تُلصِقيني

وأرجوك.. بعدَ مماتيَ.. أن تبعَثيني

أنا الآن في لحظاتِ الجنونِ الكبيرِ

وسوف تضيعين فرصةَ عُمركِ

إن أنتِ لم تستغلي جُنوني .!!

***

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ..

شالَ الكيمونو عن الجَسَد الآسيويِّ [1]

فأطلعَ من عُتمةِ النهد فجرَا

وأطلعَ منه بهارا..

وأطلعَ منهُ محَارا..

أطلع منه نُحَاسا.. وشايا.. وعاجا

وأطلعَ أشياء أخرى ..

***

(1) الكيمونو : كلمة أعجمية الأصل.. المراد منها : سواد الجسد.

إذا ما النبيذُ الفرنسي..

ألغى اللغاتِ جميعا .

وحوَّل كل الثقافات صِفرًا..

وكل الحضاراتِ صِفرًا

وحوَّل ثغركِ بُستانَ وردٍ

وحوَّلَ ثغريَ خمسين ثغرا..

إذا ما النبيذُ الفرنسي أعلنَ في آخر الليلِ..

إنك أحلى النساءْ..

وارشقُهن قواماً وخصرًا

***

وأعلن أن الجميلاتِ في الكون نثرٌ

ووحدكِ أنت التي صِرتِ شِعرًا

فباسم السُكارى جميعا

وباسم الحيارى جميعا

وباسم الذينَ يُعانونَ من لعنة الحُب..

أرجوك لا تلعنيني..

وباسم الذين يعانونَ من ذبحةِ القلبِ..

أرجوك لا تذبحيني..

أنا الآن في لحظاتِ الجنونِ العظيمِ

وسوفَ تُضيعين فُرصة عُمْركِ..

إن أنت لم تستغلِ جنُوني.. !!



حبيبي ...

لا تسألونى.. ما اسمه حبيبي؟

أخشى عليكم ضوعة الطيوب[1]

زق العبير إن حطمتموه[2]

غرقتم بعاطر سكيب[3]

والله.. لو بحتُ بأى حرف

تكدَّس الليلك في الدروب[4]

لا تبحثوا عنه هنا بصدري

تركته يجري مع الغروب

ترونه في ضحكة السواقي

فى رفة الفراشة اللعوب

في البحر.. فى تنفس المراعي

وفي غناء كل عندليب

في أدمع الشتاء حين يبكي

(1) ضوعة الطيوب : انتشار العطور.

(2) زق العبير : وعاء العطر أو قارورته .

(3) عاطر سكيب : أي : عطر مصبوب.

(4) تكدَّس الليلك فى الدروب : ازدحم الشجر فى الطرق.

وفي عطاء الديمة السكوب[1]

لا تسألوا عن ثغره.. فهلا[2]

رأيتم أناقة المغيب

ومقلتاه شاطئا نقاء

وخصره تهزهز القضيب

محاسن.. لا ضمها كتاب

ولا ادَّعتها ريشة الأديب

وصدره.. ونحره.. كفاكم[3]

فلن أبوح باسمه حبيبي.. !!



(1) الديمة : المطر بلا رعد، أو برق. أما (السكوب) فالمراد به : المتدفق.

(2) ثغره : فمه.

(3) نحره : المراد : عنقه.

لماذا ؟

لماذا تخليت عنى ؟

إذا كنت تعرف أني

أحبك أكثر مني

لماذا؟

***

لماذا؟

بعينيك هذا الوجوم[1]

وأمس بحضن الكروم[2]

فرطت ألوف النجوم

بدربي

وأخبرتنى أن حبى

يدوم

لماذا ؟

لماذا؟

(1) الوجوم : المراد : الشرود والحيرة.

(2) الكروم : الأعناب.

تغرر قلبى الصبي[1]

لماذا كذبت عليّ

وقلت تعود إلي

مع الأخضر الطالع

مع الموسم الراجع

مع الحقل والزارع

لماذا؟

***

(1) تُغرِّر قلبى : تُوْهِمُهُ، وتخدعه .

لماذا؟

منحت لقلبي الهواء

فلما أضاء

بحب كعرض السماء

ذهبت بركب المساء

وخلَّفت[2] هذى الصديقة

هنا.. عند سور الحديقة

على مقعد من بكاء

لماذا؟

لماذا؟

تعود السنونو إلى سقفنا[1]

وينمو البنفسج في حوضنا

وترقص في الضيعة الميجنا[2]

وتضحك كل الدنا[3]

مع الصيف.. إلا أنا..

لماذا؟

---

(2) خلّفت : تركت.

(1) السنونو : نوع من القطط الجميلة.

(2) الميجنا : نوع من الزروع.

(3) الدُّنا : جمع (دنيا).

طوق الياسمين

شكراً .. لطوق الياسمين

وضحكتِ لي.. وظننتُ أنك تعرفين

معنى سوار الياسمين[1]

يأتى به رجل إليك..

ظننت أنك تدركين..

***

وجلست في ركن ركين

تتسرحين

وتنقطين العطر من قارورة وتدمدمين[2]

لحناً فرنسي الرنين

لحناً كأيامى حزين

قدماك في الخف المقصَّب[3]

---

(1) السوار : ما ترتديه المرأة فى معصمها من حُلى؛ كالذهب أوالماس .

(2) قارورة : زجاجة . وتدمدين : المراد : تتغنين .

(3) الخف : الحذاء . والمقصَّب : المراد : المزين الجميل .

جدولان من الحنين[1]

وقصدت دولاب الملابس

تقلعين.. وترتدين

وطلبت أن أختار ماذا تلبسين

أفلي إذن؟

أفلي أنا تتجملين؟

ووقفتُ.. في دوامة الألوان ملتهب الجبين

الأسود المكشوف من كتفيه..

هل تترددين؟

لكنه لون حزين

لون كأيامي حزين

ولبستهِ

وربطتِ طوق الياسمين

وظننتُ أنك تعرفين

معنى سوار الياسمين

يأتي به رجل إليك..

ظننت أنك تدركين..

(1) جدولان : مثنى (جدول) وهو: النهر الصغير.ولاحظ روعة تصوير قدميها بجدولين.

هذا المساء..

بحانةٍ صغرى رأيتك ترقصين

تتكسرين على زنود المعجبين[1]

تتكسرين..

وتدمدمين..

فى أذن فارسك الأمين

لحناً فرنسى الرنين

لحناً كأيامى حزين

وبدأت أكتشف اليقين

وعرفت أنك للسوى تتجملين

وله ترشين العطور..

وتقلعين..

وترتدين..

ولمحت طوق الياسمين

في الأرض.. مكتوم الأنين

كالجثة البيضاء..

تدفعه جموع الراقصين

ويهم فارسك الجميل بأخذه..

(1) زنود المعجبين : المراد : أذْرُع المعجبين.

فتمانعين..

وتقهقهين..

« لا شيء يستدعي انحناءك..

ذاك طوق الياسمين.. !!»

رسالة من سيدة حاقدة

« لا تدخلي.. »

وسَدَدتَ فى وجهي الطريق بمرفقيك

وزعمت لي..

أن الرفاق أتوا إليك..

أهم الرفاق أتوا إليك؟

أم أن سيدةً لديك

تحتل بعدى ساعديك؟

وصرخت محتدماً: قفى!

والريح تمضغ معطفي

والذل يكسو موقفي

لا تعتذر يا نذل.. لا تتأسفِ..

أنا لست آسفةً عليك

لكن على قلبى الوفي

قلبي الذي لم تعرفِ..

ماذا ؟ لو أنك يا دنى.. [1]

أخبرتنى

أني انتهى أمري لديك..

فجميع ما وشوشتنى

أيام كنت تحبني

من أننى..

بيت الفراشة مسكنى

وغدي انفراط السوسن.. [1]

أنكرته أصلا كما أنكرتنى..

لا تعتذر

فالإثم يحصد حاجبيك

وخطوط أحمرها.. تصيح بوجنتيك

ورباطك المشدوه.. يفضح

ما لديك.. ومن لديك..

---

(1) دنى : مخففة عن الهمزة ؛ حيث إن الأصل هو : دنيء ؛ أى: حقير سافل .

(1) السوسن : نوع من الأزهار .

يا من وقفت دمي عليك

وذللتني.. ونفضتني

كذبابة عن عارضيك

ودعوت سيدة اليك

وأهنتني..

من بعد ما كنت الضياء بناظريك..

إني أراها في جوار الموقد

أخذت هنالك مقعدي..

في الركن.. ذات المقعد

وأراك تمنحها يداً

مثلوجةً.. ذات اليد..

ستردِّد القصص التي أسمعتني..

ولسوف تخبرها بما أخبرتنى...

وسترفع الكأس التي جرَّعتنى

كأساً بها سمَّمتنى

حتى إذا عادت إليك

نشوى بموعدها الهني..

أخبرتها أن الرفاق أتوا إليك..

وأضعت رونقها كما ضيعتني..



إلى أجيرة.. !!

بدراهمي..

لا بالحديث الناعم

حطمت عزتك المنيعة كلها بدراهمي

وبها حملت من النفائس والحرير الحالم

فأطعتني

وتبعتني

كالقطة العمياء.. مؤمنة بكل مزاعمي

فإذا بصدرك.. ذلك المغرور.. ضمن غنائمي

أين اعتدادك؟[1]

أنت أطوع في يدي من خاتمي

قد كان ثغرك مرة[2]

ربي.. فأصبح خادمي

آمنت بالحسن الأجير.. وطأته بدراهمي

(1) أين اعتدادك : المراد : أين كبرياؤك واعتزازك بنفسكِ؟!

(2) تغرك :فمك .



وركلته.. وذللته

بدمى.. بأطواق كوهم الواهم

ذهب وديباج [1]

وأحجار تُشع.. فقاومي

أى المواضع منك

لم تهطل عليه غمائمي ؟!

خيرات صدرك كلها

من بعض بعض مواسمي..

بدراهمي!

بإناء طيب فاغم[2]

ومشيت كالفأر الجبان إلى المصير الحاسم

ولهوت فيك فما انتخت[3]

شفتاك تحت جرائمي

(1) الديباج : الحرير .

(2) إناء طيب فاغم : وعاء عطر ذى رائحة.

(3) ما انتختْ شفتاك : ما تكبَّرتْ عليَّ وما رفضتنى . و(ما) هنا نافية .

والأرنبان الأبيضان [4]

على الرخام الهاجم [5]

جَبُنَا..

فما شعرا بظلم الظالم..

وأنا أصبُّ عليهما

ناري.. ونار شتائمي

ردي.. فلست أطيق حسنا

لا يردُّ شتائمي!!

***

مسكينة..

لم يبقَ شيء منك

منذ استعبدتك دراهمي..



(4) الأرنبان الأبيضان : المراد : ثدياها .

(5) الرخام : المراد :جسمها الأملس كالرخام .!

شؤون صغيرة

شؤون صغيرة

تمر بها أنت.. دون التفات

تساوي لدي حياتي

جميع حياتي..

حوادث.. قد لا تثير اهتمامك

أعمِّر منها قصور

وأحيا عليها شهور

وأغزل منها حكايا كثيرة

وألفَ سماء..

وألفَ جزيرة..

شؤون..

شؤونك تلك الصغيرة.. !!

فحين تدخن أجثو أمامك[1]

(1) أجثو : أجلس على ركبتيَّ .

كقطتك الطيبة

وكلي أمان

ألاحق مزهوة معجبة

خيوط الدخان

توزّعها في زوايا المكان

دوائر.. دوائر

وترحل في آخر الليل عني

كنجم.. كطيبٍ مهاجر[1]

وتتركني ياصديق حياتي

لرائحة التبغ والذكريات[2]

وأبقى أنا..

في صقيع انفرادي[3]

وزادي أنا.. كل زادي[4]

حطام السجائر

وصحن.. يضم رمادا

(1) طيب : عطر.

(2) التبغ : الدخان.

(3) الصقيع : شدة البرودة .

(4) زادى : طعامى .

يضم رمادي..

وحين أكون مريضة

وتحمل أزهارك الغالية

صديقي.. إليّ

وتجعل بين يديك يديّ

يعود لي اللون والعافية

وتلتصق الشمس في وجنتيّ[1]

وأبكي.. وأبكي.. بغير إرادة

وأنت ترد غطائي عليّ

وتجعل رأسي فوق الوسادة..

تمنَّيت كل التمني

صديقي.. لو أني

أظل.. أظل عليلة

لتسأل عني

لتحمل لي كل يوم

وروداً جميلة..

***

(1) وجنتى : المراد : خدى.

وإن رنَّ في بيتنا الهاتف

إليه أطير

أنا.. يا صديقي الأثير

بفرحة طفل صغير

بشوق سنونوة شاردة[1]

وأحتضن الآلة الجامدة

وأعصر أسلاكها الباردة

وأنتظر الصوت..

صوتك يهمى عليّ[2]

دفيئاً.. مليئاً.. قويّ

كصوت نبيّ ْ

كصوت ارتطام النجوم

كصوت سقوط الحلي[3]

وأبكى.. وأبكي..

---

(1) سنونوة : قطة.

(2) يهمى : يسقط.

(3) الحُلى : الزينة فى معصم المرأة أو صدرها اللهم إلا إذا كان خلخالاً فنقول : ((أو فى قدمها)) .

لأنك فكرت فيّ

لأنك من شرفات الغيوب

هتفت إليّ..

***

ويوم أجيء إليك

لكي أستعير كتاب

لأزعم أني أتيت لكي أستعير كتاب

تمد أصابعك المتعبة

إلى المكتبة..

وأبقى أنا.. في ضباب الضباب

كأني سؤال بغير جواب..

أحدق فيك وفي المكتبة[1]

كما تفعل القطة الطيبة

تراك اكتشفت؟

تراك عرفت؟

بأنى جئت لغير الكتاب

(1) أحدِّق فيك : أُطيل النظر إليك .

وأنى لست سوى كاذبة

وأمضى سريعاً إلى مخدعي[2]

أضم الكتاب إلى أضلعي

كأني حملت الوجود معي

وأشعل ضوئي.. وأسدل حولي الستور[3]

وأنبش بين السطور.. وخلف السطور[4]

وأعدو وراء الفواصل.. أعدو[5]

وراء نقاط تدور

ورأسي يدور..

كأني عصفورة جائعة

تفتش عن فضلات البذور

لعلك.. يا.. يا صديقي الأثير

(2) مخدعى : غرفة نومى .

(3) أسدل الستور : أَنزل الستائر .

(4) أنبش : أفتش .

(5) أعدو : أجري .

تركت بإحدى الزوايا..

عبارة حب قصيرة..

جُنينة شوق صغيرة

لعلك بين الصحائف خبَّأت شيا

سلاماً صغيراً.. يعيد السلام إليا..

***

وحين نكون معاً في الطريق

وتأخذ – من غير قصد- ذراعي

أحس أنا يا صديق..

بشيء عميق

بشيء يشابه طعم الحريق

على مرفقي.. [1]

وأرفع كفي نحو السماء

لتجعل دربي بغير انتهاء

وأبكي.. وأبكي بغير انقطاع

لكي يستمر ضياعي

وحين أعود مساء إلى غرفتي

وأنزع عن كتفي الرداء

أحس- وما أنت في غرفتي

بأن يديك

تلفان في رحمة مرفقي

وأبقى لأعبد يا مرهقي

مكان أصابعك الدافئات

(1) على مرفقى : المراد : على ذراعى.

على كم فستاني الأزرق..

وأبكي.. وأبكي بغير انقطاع

كأن ذراعي ليست ذراعي.. !!



أيظن ؟

أيظن أني لعبة بيديه؟

أنا لا أفكر في الرجوع إليه

اليوم عاد. كأن شيئاً لم يكن

وبراءة الأطفال في عينيه

ليقول لي: إنى رفيقة دربه

وبأنني الحب الوحيد لديه

حمل الزهور إليَّ.. كيف أردُّه[1]

وصباي مرسوم على شفتيه

ما عدت اذكر.. والحرائق في دمي

كيف التجأت أنا إلى زنديه[2]

خبَّأت رأسي عنده.. وكأنني

طفل أعادوه إلى أبويه

حتى فساتيني التي أهملتها

(1) كلمة(الزهرة)تُجمع على(الزهر) أو(الأزهار) . أما (الزهور) فخطأ شائع ؛ لأن الزهور هو لَمَعَان المصباح أو النجم أو القمر .

(2) المراد ذراعاه .

فرحت به.. رقصت على قدميه

سامحته.. وسألت عن أخباره

وبكيت ساعات على كتفيه

وبدون أن أدرى تركت له يدي

لتنام كالعصفور بين يديه..

ونسيت حقدى كله في لحظة

من قال أني قد حقدت عليه ؟!

كم قلت إنى غير عائدة له

ورجعت.. ما أحلى الرجوع إليه.. !!



نهر الأحزان

عيناك.. كنهري أحزان

نهري موسيقى.. حملاني

لوراء.. وراء الأزمان

نهري موسيقى.. قد ضاعا

سيدتي.. ثم أضاعاني

الدمع الأسود فوقهما

يتساقط أنغام بيان.. [1]

عيناك. وتبغي. وكحولي

والقدح العاشر أعماني

وأنا في المقعد.. محترق

نيراني تأكل نيراني

أأقول أحبك.. يا قمري؟

آهٍ.. لو كان بإمكاني

(1) يتساقط أنغام بيان : المراد : كأنغام البيانو (الآلة الموسيقية المعروفة) .

فأنا لا أملك في الدنيا

إلا عينيك وأحزاني .. !

سفني في المرفأ باكية[1]

تتمزق فوق الخلجان

ومصيري الأصفر حطمني

حطم في صدري إيماني

أأسافر دونك ليلكتي ؟![2]

يا ظل الله بأجفاني

يا صيفي الأخضر.. يا شمسي

يا أجمل.. أجمل ألواني

هل أرحل عنك.. وقصتنا

أحلى من عودة نيسان[3]

أحلى من زهرة غاردينيا[4]

في عتمة شعر أسباني

يا حبي الأوحد.. لا تبكي

---

(1) المرفأ : ميناء البحر .

(2) ليلكتى : شجرتى . وحذف حرف النداء قبلها يفيد القرب.

(3) نيسان : أحد الشهور السريانية .

(4) غاردينيا : أحد أنواع الأزهار.

فدموعك تحفر وجداني

إني لا أملك في الدنيا

إلا عينيك وأحزاني

أأقول أحبك يا قمري ؟

آهٍ.. لو كان بإمكاني

فأنا إنسان مفقود

لا أعرف في الأرض مكاني

ضيعني دربي.. ضيعني

اسمي.. ضيعني عنواني

تاريخي! ما لي تاريخ

إني نسيان النسيان

إني مرساة لا ترسو

جرح بملامح إنسان [1]

ماذا أعطيكِ؟ أجيبيني

قلقي؟ إلحادي ؟ غثياني [2]

ماذا أعطيك سوى قدر

يرقص في كف الشيطان ؟!

---

(1) تأمل هذا التصوير قليلا ؛ لتدرك ما فيه من تجسيد للألم "جرح بملامح إنسان" !!

(2) غَثَيانى : المراد : تَعَبى .

أنا ألف أحبك.. فابتعدي

عنى.. عن ناري ودخاني

فأنا لا أملك في الدنيا

إلا عينيك.. وأحزاني

الرسم بالكلمات

لا تطلبي مني حساب حياتي

إن الحديث يطول يا مولاتي!

كل العصور أنا بها.. فكأنما

عمري ملايين من السنوات

تعبت من السفر الطويل حقائبي

وتعبت من خيلي ومن غزواتي..

لم يبق نهد.. أسود أو أبيض

إلا زرعت بأرضه راياتي..

لم تبقَ زاوية بجسم جميلة

إلا ومرَّت فوقها عرباتي.. !!

فصَّلتُ من جلد النساء عباءة[1]

وبنيت أهراماً من الحلمات.. !!

وكتبت شعراً.. لا يشابه سحره

إلا كلام الله في التوراة.. !!

***

(1) من أشهر الأقوال التى تسببت فى اتهام نزار بأنه شاعر الجنس والنهود والحلمات ، والرد الكافى على ذلك الاتهام هو أن نقرأ جيداً آخر ثلاثة مقاطع من هذه القصيدة لندرك اعتراف الشاعر بخطيئته وندمه على ما ارتكب،ومنحه الآخرين تجاربه.

واليوم أجلس فوق سطح سفينتي

كاللص.. أبحث عن طريق نجاة

وأدير مفتاح الحريم.. فلا أرى

في الظل غير جماجم الأموات

أين السبايا؟ أين ما ملكت يدي؟[1]

أين البخور يضوع من حجراتي؟[2]

اليوم تنتقم النهود لنفسها..

وترد لي الطعنات بالطعنات..

مأساة هارون الرشيد مريرة

لو تدركين مرارة المأساة

إنى كمصباح الطريق.. صديقتي

أبكي.. ولا أحد يرى دمعاتي..

الجنس كان مسكنا جرَّبته

لم ينهِ أحزاني ولا أزماتي

والحب. أصبح كله متشابهًا

كتشابه الأوراق في الغابات..

أنا عاجز عن عشق أية نملة

(1) السبايا : جمع (السبية)؛ وهى المرأة التى أُسِرَتْ.

(2) يضوع : ينتشر فى كل مكان.

أو غيمة.. عن عشق أي حصاة

مارست ألف عبادة وعبادة

فوجدت أفضلها عبادة ذاتي.. !!

فمك المطيب.. لا يحل قضيتي

فقضيتي في دفتري ودواتي

كل الدروب أمامنا مسدودة

وخلاصنا.. في الرسم بالكلمات..



صباحك سكر ..

إذا مرَّ يوم.. ولم أتذكَّر

به أن أقول : صباحك سكر..

ورحت أخط كطفل صغير

كلاماً غريباً على وجه دفتر

فلا تضجري من ذهولي وصمتي

ولا تحسبي أن شيئاً تغير

فحين أنا لا أقول :أحب..

فمعناه أني أحبك أكثر..

***

إذا جئتني ذات يوم بثوب

كعشب البحيرات.. أخضر.. أخضر

وشعرك ملقى على كتفيك

كبحر.. كأبعاد ليل مبعثر

ونهدك.. تحت ارتفاف القميص[1]

(1) ارتفاف :تحرُّك .

شهي.. شهي.. كطعنة خنجر

ورحت أعب دخاني بعمق

وأرشف حبر دواتي وأسكر

فلا تنعتيني بموت الشعور[1]

ولا تحسبي أن قلبي تحجر

فبالوهم أخلق منك إلهاً

وأجعل نهدك.. قطعة جوهر

وبالوهم.. أزرع شعرك دفلى[2]

وقمحاً.. ولوزاً.. وغابات زعتر..

إذا ما جلست طويلاً أمامي

كمملكة من عبير ومرمر..

وأغمضت عن طيباتك عينى

وأهملت شكوى القميص المعطر

(1) لا تنعتينى : لا تصفينى .

(2) دفلى : نوع من الشجر الشديد الاخضرار .

فلا تحسبي أننى لا أراك

فبعض المواضيع بالذهن يبصر

ففي الظل يغدو لعطرك صوت

وتصبح أبعاد عينيك أكبر

أحبك فوق المحبة.. لكن

دعيني أراك كما أتصور..

إلى تلميذة ..

قل لي- ولو كذباً- كلاماً ناعماً

قد كاد يقتلني بك التمثال

ما زلتِ في فن المحبة.. طفلة

بيني وبينك أبحرٌ وجبال

لم تستطيعي- بعد- أن تتفهمي

أن الرجال جميعهم.. أطفال

إني لأرفض أن أكون.. مهرجاً..

قزماً.. على كلماته يحتال

فإذا وقفت أمام حسنك صامتًا

فالصمت في حرم الجمال.. جمال

كلماتنا في الحب.. تقتل حبنا

إن الحروف تموت حين تقال.. !!

***

قصص الهوى قد أفسدتك.. فكلها

غيبوبة.. وخرافة.. وخيال

الحب ليس رواية شرقية

بختامها يتزوج الأبطال

لكنه الإبحار دون سفينة

وشعورنا أن الوصول محال

***

هو أن تظل على الأصابع رعشة

وعلى الشفاه المطبقات سؤال

هو جدول الأحزان في أعماقنا[1]

تنمو كروم حوله.. وغلال

هو هذه الأزمات تسحقنا معاً[2]

فنموت نحن.. وتزهر الآمال

هو أن نثور لأى شيء تافه

هو يأسنا.. هو شكنا القتال

هو هذه الكف التي تغتالنا

ونقبّل الكف التي تغتال.. !!

***

(1) الجدول : النهر الصغير .

(2) تسحقنا : تدوسنا .

لا تجرحي التمثال في إحساسه

فلكم بكى في صمته.. تمثال

قد يطلع الحجر الصغير براعماً

وتسيل منه جداول.. وظلال

إني أحبك.. من خلال كآبتي

وجهاً كوجه الله ليس يطال..

حسبي وحسبك.. أن تظلي دائماً

سرًّا يمزقني.. وليس يقال.. !!



ماذا أقول له؟

ماذا أقول له لو جاء يسألني..

إن كنت أكرهه أو كنت أهواه ؟

ماذا أقول .. إذا راحت أصابعه

تلملم الليل عن شعري وترعاه؟

وكيف أسمح أن يدنو بمقعده؟

وأن تنام على خصرى ذراعاه؟[1]

غدا إذا جاء.. أعطيه رسائله

ونطعم النار أحلى ما كتبناه

حبيبتي !

هل أنا حقا حبيبته؟

وهل أصدق بعد الهجر دعواه؟

أما انتهت من سنين قصتي معه؟

ألم تمت كخيوط الشمس ذكراه؟

أما كسرنا كؤوس الحب من زمن

(1) الخصر : منطقة الوسط فى جسد المرأة . والجمع : خصور .

فكيف نبكي على كأس كسرناه؟

رباه..

أشياؤه الصغرى تعذبني

فكيف أنجو من الأشياء رباه؟

هنا جريدته في الركن مهملة

هنا كتاب معاً.. كنا قرأناه

على المقاعد بعض من سجائره

وفي الزوايا.. بقايا من بقاياه..

ما لي أحدِّق في المرآة .. أسألها[1]

بأى ثوبٍ من الأثواب ألقاه

أأدعي أننى أصبحت أكرهه؟

وكيف أكره من في الجفن سكناه؟

وكيف أهرب منه؟ إنه قدري

هل يملك النهر تغييراً لمجراه؟!

أحبه.. لست أدري ما أحب به

حتى خطاياه ما عادت خطاياه

الحب في الأرض.. بعض من تخيلنا

(1) أحدِّق فى المرآة : أطيل النظر فيها .

لو لم نجده عليها.. لاخترعناه.. !!

ماذا أقول له لو جاء يسألني

إن كنت أهواه ؟

إني ألف أهواه.. !!

ديك الجن الدمشقي

إني قتلتك.. واسترحت

يا أرخص امرأة عرفت..

أغمدت في نهديك.. سكيني

وفي دمك اغتسلت..

وأكلت من شقة الجراح

ومن سلافتها شربت.. [1]

وطعنت حبك في الوريد..

طعنته.. حتى شبعت

ولفافتي بفمي.. فلا انفعل[2]

الدخان.. ولا انفعلت

ورميت للأسماك.. لحمك

لا رحمت.. ولا غفرت

(1) السلافة : وسُلافُ الخمر وسُلافَتُها: أَوَّل ما يُعْصَر منها، وقيل: هو ما سال من غير عصر، وقيل: هو أَوَّلُ ما ينزل منها، وقيل: السُّلافةُ أَوَّلُ كل شيء عُصِر، السُّلافةُ من الخمر أَخْلَصُها وأَفْضَلُها.

(2) لفافتي : أي سيجارتي .

لا تسغيثي.. وانزفي

فوق الوساد كما نزفت

نفذت فيك جريمتي

ومسحت سكيني.. ونمت..

***

ولقد قتلتك عشر مرات

ولكنى.. فشلت

وظننت.. والسكين تلمع

في يدى.. أني انتصرت

وحملت جثتك الصغيرة

طي أعماقي وسرت[1]

وبحثت عن قبر لها..

تحت الظلام فما وجدت

وهربت منك.. وراعني[2]

(1) طى : داخل .

(2) راعنى : أخافنى وأذهلنى.

أني إليك.. أنا هربت

في كل زاوية.. أراك

وكل فاصلة كتبت

في الطيب.. في غيم السجائر[3]

في الشراب إذا شربت

أنت القتيلة.. أم أنا ؟

حتى بموتك.. ما استرحت!!

حسناءُ.. لم أقتلك أنت..

وإنما نفسي.. قتلت.. !!



(3) الطيب : العطر . وغيم السجائر : المراد: دخانها الذى يشبه السحاب .

اختاري..

إني خيرتك.. فاختاري

مابين الموت على صدري

أو فوق دفاتر أشعاري

اختاري الحب.. أو اللاحب

فجبن أن لا تختاري..

لا توجد منطقة وسطى

ما بين الجنة والنار..

ارمي أوراقك كاملة..

وسأرضى عنى أى قرار

قولي.. انفعلي.. انفجري..

لا تقفي مثل المسمار

لا يمكن أن أبقى أبداً

كالقشَّة تحت الأمطار..

اختاري قدراً بين اثنين

وما أعنفها أقداري.. !!

مرهقةٌ أنت.. وخائفة

وطويل جدًّا.. مشواري

غوصي في البحر.. أو ابتعدي

لا بحر.. من غير دوار..

الحب.. مواجهة كبرى

إبحار ضد التيار..

صلب.. وعذاب.. ودموع

ورحيل بين الأقمار..

يقتلني جبنك.. يا امرأة

تتسلّى من خلف ستار

إني لا أؤمن في حب

لا يحمل نزق الثوار..

لا يكسر كل الأسوار

لا يضرب مثل الإعصار

آه.. لو حبك يبلعني

يقلعني مثل الإعصار..

إني خيرتك.. فاختاري

ما بين الموت على صدري

أو فوق دفاتر أشعاري

لا توجد منطقة وسطى

ما بين الجنة والنار..

قارئة الفنجان

جلست.. والخوف بعينيها

تتأمل فنجاني المقلوب

قالت: يا ولدي لا تحزن

فالحب عليك هو المكتوب

يا ولدي.. قد مات شهيداً..

من مات على دين المحبوب..

***

فنجانك.. دنيا مرعبة .

وحياتك أسفار.. وحروب

ستحب كثيراً وكثيراً

وتموت كثيراً وكثيراً

وستعشق كل نساء الأرض..

وترجع.. كالملك المغلوب..

بحياتك.. يا ولدي.. امرأة

عيناها.. سبحان المعبود

فمها.. مرسوم كالعنقود

ضحكتها.. موسيقى وورود[1]

لكن سماءك ممطرة

وطريقك.. مسدود.. مسدود..

فحبيبة قلبك.. يا ولدي

نائمة.. في قصر مرصود[2]

والقصر كبير.. يا ولدي

وكلاب تحرسه وجنود

وأميرة قلبك.. نائمة

من يدخل حجرتها مفقود..

من يطلب يدها.. من يدنو..

من سور حديقتها مفقود

من حاول فك ضفائرها[3]

يا ولدي.. مفقود.. مفقود..

***

---

(1) خطأ شائع ؛ لأن جمع (وردة) هو : (ورد). أما (الورود) فهو الذهاب إلى مورد المياه.

(2) مرصود : مغلق.

(3) المراد : من حاول أن يخلِّصها.

بصَّرت.. ونجَّمت كثيراً..

لكنى.. لم أقرأ أبداً..

فنجاناً يشبه فنجانك

لم أعرف أبداً.. يا ولدي

أحزاناً.. تشبه أحزانك..

مقدورك أن تمشي أبداً

في الحب.. على حد الخنجر..

وتظل وحيداً كالأصداف[1]

وتظل حزيناً كالصفصاف[2]

مقدورك أن تمضي أبداً

في بحر الحب بغير قلوع

وتحب ملايين المرات..

وترجع.. كالملك المخلوع..



(1) المراد : أصداف البحر المعروفة.

(2) الصفصاف : أحد أنواع النبات.

القصيدة المتوحشة

أحبيني.. بلا عقد

وضيعي في خطوط يدي

أحبيني.. لأسبوع.. لأيام.. لساعات..

فلست أنا الذي يهتم بالأبد..

أنا تشرين[10].. شهر الريح..

والأمطار.. فانسحقي..

كصاعقة على جسدي..

أحبيني..

بكل توحُّش التتر..

بكل حرارة الأدغال[11]

(10) تشرين : شهر من الشهور السريانية.

(11) الأدغال : الغابات.

كل شراسة المطر

ولا تبقي ولا تذري..

ولا تتحضري أبداً..

فقد سقطت على شفتيك

كل حضارة الحضر

أحبيني..

كزلزال.. كموت غير منتظر..

وخلي نهدك المعجون..

بالكبريت والشرر..

يهاجمني.. كذئب جائع خطر

وينهشني.. ويضربني..

كما الأمطار تضرب ساحل الجزر..

أنا رجل بلا قدر

فكوني.. أنت لي قدري

وأبقيني.. على نهديك..

مثل النقش في الحجر..

***

أحبيني.. ولا تتساءلي كيفا..

ولا تتلعثمي خجلا

ولا تتساقطي خوفا

أحبيني.. بلا شكوى

أيشكو الغمد إذ يستقبل السيفا؟ [12]

وكوني البحر والميناء..

كوني الأرض والمنفى

وكوني الصحو والإعصار

كوني اللين والعنفا..

أحبيني.. بألف وألف أسلوب

ولا تتكرري كالصيف..

إني أكره الصيفا..

أحبيني.. وقوليها

لأرفض أن تحبيي بلا صوت

(12) الغمد : القراب (الجراب) الذي يوضع فيه السيف.

وأرفض أن أواري الحب[13]

في قبر من الصمت

أحبيني.. بعيداً عن بلاد القهر والكبت

بعيداً عن مدينتنا التي شبعت من الموت..

بعيداً عن تعصبها..

بعيداً عن تخشُّبها..

أحبيني.. بعيداً عن مدينتنا

التي من يوم أن كانت

إليها الحب لا يأتي ..

إليها الله.. لا يأتي..

أحبيني.. ولا تخشي على قدميك

– سيدتي– من الماء

فلن تتعمَّدي امرأة[14]

وجسمك خارج الماء

وشعرك خارج الماء

فنهدك.. بطة بيضاء..

---

(13) أواري : أُخفي، وأُخبّئ.

(14) التعُّميد : من الطقوس الدينية المعروفة في المسيحية .

لا تحيا بلا ماء..

أحبيني.. بطهري.. أو بأخطائي

بصحوي.. أو بأنوائي

وغطيني..

أيا سقفا من الأزهار..

يا غابات حناء [15]..

تعري..

وأسقطي مطراً

على عطشي وصحرائي..

وذوبي في فمي.. كالشمع[16]

وانعجني بأجزائي

تعري.. واشطري شفتي

إلى نصفين[17]

.. يا موسى بسيناء[18].. !!



(15) الحناء : هو النبات المعروف.

(16) تصوير نزاري مبتكر يستمد روعته من كونه بكراً تماماً.

(17) ، (2) ربط رائع وتناسق رهيب بين انشطار شفتي الشاعر دهشةً، وانشطار البحر من تحت سيدنا موسى عليه السلام.

رسالة من تحت الماء

إن كنت صديقي..

ساعدني.. كي أرحل عنك

أو كنت حبيبي

ساعدني.. كي أشفى منك..

لو أني أعرف..

أن الحب خطير جدًّا .. ما أحببت..

لو أني أعرف..

أن البحر عميق جدًّا.. ما أبحرت..

لو أني أعرف خاتمتي..

ما كنت بدأت..

اشتقت إليك.. فعلمني

أن لا أشتقاق..

علمني..

كيف أقص جذور هواك من الأعماق

علمني..

كيف تموت الدمعة في الأحداق..

علمني.. كيف يموت القلب..

وتنتحر الأشواق..

***

إن كنت نبيًّا..

خلِّصني من هذا السحر..

من هذا الكفر..

حبك كالكفر.. فطهرني

من هذا الكفر..

إن كنت قويًّا..

أخرجني من هذا اليم[19]

فأنا لا أعرف فن العوم..

الموج الأزرق.. في عينيك..

يجرجرني.. نحو الأعمق.. [20]

(19) اليم : البحر. والجمع يموم.

(20) يجرجرني : يجذبني، وهي سريانية الأصل .أما في العربية فنقول : « جرَّ »، لكن(الجرجرة) في العربية معناها : الصوت.

أزرق..

أزرق..

لا شيء سوى اللون الأزرق

وأنا ما عندي تجربة

في الحب.. ولا عندي زورق

إن كنت أعزُّ عليك..

فخذ بيدي..

فأنا عاشقة.. من رأسي

حتى قدمي..

إني أتنفس تحت الماء

إني أغرق..

أغرق..

أغرق..



الحزن ..

علَّمنى حبك.. أن أحزن

وأنا محتاج منذ عصور

لامرأةٍ تجعلني أحزن

لامرأةٍ أبكي فوق ذراعيها

مثل العصفور

لامرأة.. تجمع أجزائي

كشظايا البللور المكسور

***

علمني حبك.. سيدتي.. أسوأ عادات..

علمني.. أفتح فنجاني

في الليلة.. آلاف المرات..

وأجرب طب العطارين..

وأطرق باب العرافات..

علمني.. أخرج من بيتي..

لأمشط.. أرصفة الطرقات

وأطارد وجهك..

في الأمطار..

وفي أضواء السيارات..

وأطارد ثوبك..

في أثواب المجهولات

وأطارد طيفك..

حتى.. حتى..

في أوراق الإعلانات..

علمني حبك..

كيف أهيم على وجهي.. ساعات

بحثاً عن شعر غجري[21]

تحسده كل الغجريات

بحثاً عن وجه.. عن صوت..

هو كل الأوجه والأصوات

***

أدخلني حبك.. سيدتي

مدن الأحزان ..

وأنا من قبلك لم أدخل..

مدن الأحزان ..

لم أعرف أبداً..

أن الدمع هو الإنسان

أن الإنسان بلا حزن

ذكرى إنسان ..

***

(21) المراد: شعر ثائر.

علمني حبك..

أن أتصرف كالصبيان

أن أرسم وجهك بالطبشور[22]

على الحيطان..

وعلى أشرعة الصيادين

على الأجراس.. على الصلبان

علمني حبك.. كيف الحب

يغير خارطة الأزمان..

علمني.. أني حين أحب..

تكف الأرض عن الدوران

علمني حبك أشياء..

ما كانت أبداً في الحسبان

فقرأت أقاصيص الأطفال..

دخلت قصور ملوك الجان

(22) الطبشور : قلم من الجير يُكتب به فوق السبورة أو الجدار؛ (طباشير).

وحلمت بأن تتزوجني

بنت السلطان..

تلك العيناها[23]..

أصفى من ماء الخلجان

تلك الشفتاها..

أشقى من زهر الرمان

وحلمت بأني أخطفها مثل الفرسان..

وحلمت بأني أهديها أطواق اللؤلؤ والمرجان

علمني حبك.. يا سيدتي.. ما الهذيان[24]

علمني.. كيف يمر العمر..

ولا تأتي بنت السلطان..

***

(23) تلك (العيناها) : لا يُعرَّف الاسم بأل وبالضمير معاً، ولكن دخول (أل) — هنا — معتمد على أنها (أل) الموصولية، أي : تلك التي عيناها ...، وهكذا في قوله : « تلك الشفتاها ».

(24) الهذيان : التخريف.

علمني حبك..

كيف أحبك في كل الأشياء

في الشجر العاري..

في الأوراق اليابسة الصفراء

في الجو الماطر.. في الأنواء [25]..

في أصغر مقهى.. نشرب فيه

مساء.. قهوتنا السوداء..

علمني حبك.. أن آوي.

لفنادق ليس لها أسماء

وكنائس ليس لها أسماء

ومقاهٍ ليس لها أسماء

علمني حبك.. كيف الليل

يضخِّم أحزان الغرباء..

علَّمني.. كيف أرى بيروت

امرأةً.. طاغية الإغراء..

---

(25) الأنواء : جمع (نوء)؛ وهو : أول المطر.

امرأةً.. تلبس كل مساء

أجمل ما تملك من أزياء

وترشُّ العطر على نهديها

للبحَّارة.. والأمراء..

علَّمني حبك أن أبكي من غير بكاء

علَّمني كيف ينام الحزن

كغلام مقطوع القدمين..

في طرق (الروشة) و(الحمراء)..

علَّمني حبك أن أحزن..

وأنا محتاج منذ عصور

لامرأةٍ.. تجعلني أحزن..

لامرأةٍ أبكي فوق ذراعيها

مثل العصفور..

لامرأةٍ تجمع أجزائي..

كشظايا البللور المكسور[26]..



(26) شظايا : من الفعل (شظي) : تفرق وتشقَّق وتطاير. البلُّور : نوع من الأحجار الرخامية النادرة الشديدة الملاسة (النعومة).

إلى الرجل..

متى ستعرف كم أهواك.. يا رجلاً

أبيع من أجله الدنيا.. وما فيها؟

يا من تحديت في حبي له.. مدنًا

بحالها.. وسأمضي في تحديها

لو تطلب البحر.. في عينيك أسكبه

أو تطلب الشمس.. في كفيك أرميها

أنا أحبك.. فوق الغيم أكتبها

وللعصافير.. والأشجار.. أحكيها

أنا أحبك.. فوق الماء أنقشها

وللعناقيد.. والأقداح.. أسقيها..

أنا أحبك..

يا سيفاً أسال دمي

يا قصة لست أدري.. ما أسميها

أنا أحبك.. حاول أن تساعدني

فإن من بدأ المأساة.. ينهيها

وإن من فتح الأبواب.. يغلقها

وإن من أشعل النيران.. يطفيها [27]

يا من يدخن في صمت.. ويتركني

في البحر.. أرفع مرساتي وألقيها

ألا تراني ببحر الحب.. غارقة

والموج يمضغ آمالي ويرميها

انزل قليلاً عن الأهداب.. يا رجلاً

ما زال يقتل أحلامي.. ويحييها

كفاك.. تلعب دور العاشقين معي

وتنتقي كلمات.. لست تعنيها

كم اخترعت مكاتيباً سترسلها[28]

وأسعدتني ورودٌ.. سوف تهديها

وكم ذهبت لوعدٍ.. لا وجود له

---

(27) يطفيها : مخففة عن الهمزة (يطفئها)؛ لإقامة الوزن والقافية.

(28) مكاتيب : رسالات، خطابات.

وكم حلمت بأثواب سأشريها

وكم تمنيت لو للرقص تطلبني..

وحيرتني ذراعي.. أين ألقيها؟

ارجع إليّ..

فإن الأرض واقفة

كأنما الأرض فرت من ثوانيها..

ارجع.. فبعدك لا عقد أعلقه

ولا لمست عطوري في أوانيها..

لمن جمالي؟ لمن شال الحرير؟ لمن؟

ضفائري منذ أعوامٍ أربيها؟

ارجع كما أنت.. صحواً كنت أم مطرًا

فما حياتي أنا.. إن لم تكن فيها؟





جسمكِ خارطتي

زيديني عشقاً.. زيديني

يا أحلى نَوْباتِ جُنوني

يا سفَر الخنجر.. في أنسجَتي

يا غَلغَلَةَ السكينِ.. [29]

زيديني غرقاً يا سيدتي..

إن البحرَ يناديني

زيديني موتاً..

عل الموتَ.. إذا يقتلُني.. يحيني..

جسمُكِ خارطتي..[30] ما عادتْ

خارطةُ العالم تَعنيني..

أنا أقدمُ عاصمةٍ للحزن..

وجُرحي نقشٌ فرعُوني

وَجعي.. يمتدُ كبقعة زيتٍ

من بيروتَ.. إلى الصينِ..

---

(29) غلغلة السكين : دخولها بعمق.

(30) خارطتي : المراد خريطتي التي أهتدي بها.

وجَعي قافلةٌ.. أرسلها

خلفاءُ الشامِ.. إلى الصينِ..

في القرن السابع للميلاد..

وضاعتْ في فم تِنينِ..

عصفورةَ قلبي.. نيسْاني

يا رملَ البحر.. ويا غاباتِ الزيتونِ

يا طعمَ الثلج.. وطعمَ النار..

ونكهةَ كفري.. ويقيني

أشعرُ بالخوف من المجهول.. فآويني [31]

أشعرُ بالخَوف من الظلماء.. فضُميني

أشعرُ بالبرد.. فغطيني

احكي لي قصصاً للأطفال ..

اضطجعي قربي..

غَنيني..

فأنا من بدْء التكوينِ

(31) فآويني : المراد : فخبئيني.

أبحثُ عن وطنٍ لجبيني..

عن شعْر امرأةٍ..

يكتُبني فوق الجدران.. ويمحوني

عن حُب امرأةٍ.. يأخذني

لحدود الشمس.. ويرميني

عن شفة امرأةٍ.. تجعلني

كغُبار الذهَبِ المطحونِ..

نوارةَ عمري.. مروحتي..

قنديلي.. بوحَ بساتيني..

مُدي لي جسراً من رائحة الليمونِ..

وضعيني مشطاً عاجيًّا..

في عُتمة شعركِ.. وانسيني

أنا نقطةُ ماءٍ.. حائرةٌ

بقيتْ في دفتر تشرينِ

يدهسني حبُكِ.. مثلَ حصانٍ قوقازي مجنونِ

يرميني تحت حوافرهِ..

يتغرغُر في ماء عيوني..

زيديني عنفاً.. زيديني

يا أحلى نَوْباتِ جنوني

من أجلكِ أعتقتُ نسائي

وشطبت شهادةَ ميلادي

وقطعتُ جميعَ شراييني..

الشجرة..

كُوني..

كُوني امرأة خطِرةْ..

كي أتاكدَ – حين أضُمُكِ –

أنكِ لست بقايا شجَرةْ..

احكي شيئاً..

قُولي شيئاً

غني .. ابكي.. عيشي.. مُوتي .

كي لا يُروى يوماً عني

أن حبيبةَ قلبي.. شجَرةْ..

كُوني السُّم.. وكُوني الأفعى

كُوني السِّحرَ.. وكُوني السحَرةْ

لفي حولي..

لفي حولي..

كي أتحسسَ دفءَ الجلد.. وعطرَ البشرةْ..

كي أتاكدَ – يا سيدتي –

أن فُرُوعكِ ليستْ خَشبا..

أن جذُورَكِ ليستْ حطَبا..

سيلي عَرقا..

مُوتي غرَقا..

كي لا يُروى يوماً عني

أني كنتُ أغازلُ شجرةْ..

كُوني فرساً. يا سيدتي

كوني سيفا يقطعْ..

كُوني قبرا..

كُوني حتفا..

كُوني شفةً ليست تشبعْ

كُوني صيفاً إفريقيا..

كُوني حقل بهارٍ يلذعْ..

كُوني الوجعَ الرائعَ..

إني أصبحُ ربًّا.. إذ أتوجعْ

غني. ابكي. عيشي. موتي.

كي لا يُروى يوماً عني..

أني كنتُ أعانقُ شجرةْ..

كُوني امرأةً.. يا سيدتي..

تطحنُ في نهديْها الشُّهبَا [32]

كُوني رعدًا

كُوني برقا

كُوني رفضا

كُوني غضبا

خَّلي شعركِ يسقطُ فوقي..

ذهبا.. ذهبَا

خلَّي جسمكِ فوقَ فِراشي

يكتُبُ شعرًا..

يكتُبُ أدبًا..

خلي نهدكِ فوق سريري

(32) الشهب : جمع (شهاب) ؛ وهو : الكوكب الذي ينقض على إثر الشيطان ليلاً.

يحفرُ قدرَهْ

كُوني بشراً يا سيدتي..

كُوني الأرض.. وكوني الثمَرةْ..

كي لا يُروى يوماً عني..

إني كنتُ أضاجعُ.. شجَرةْ..



أمِيَّةُ الشفتين.. !

أمِيَّةُ الشفتينِ.. لا تتبرمي

إني أتيتُكِ هادياً ومبشرا

حتى أعلمَكِ الهوى.. فتعلمي

ما زالَ قانونُ القبيلةِ حاكما

جسدَ النساء.. فحاولي أن تحكُمي..

أصغي إليَّ.. فإن وقتي ضيقٌ

والقمحُ ينبتُ مرةً في الموسمِ

خليك عاقلةً.. ولا تستقبلي

مطرَ الربيع.. بوجهكِ المتجهمِ

كوني كما كلُّ النساء.. فإنني

لا أعرفُ امرأة تعيش بلا فمِ

هذي تعاليمي أمامكِ.. كلها

سترينَ فيها جنتي.. وجهنمي

إن كنتِ حتى الآن لم تستوعبي

ما جاءَ فيها.. فاسألي واستفهمي

أنا لا أريد عليكِ فرضَ مواقفي

إن كان يعجبكِ الكلامُ.. تكلمي

أو كنتِ ترتاحينَ في شتمي.. اشتُمي

فالحبُّ بالإكراه.. ليس هوايتي

والعنفُ – سيدتي – يزيدُ تأزُّمي

سأكونُ نذلاً.. لو جررتكِ للهوى

جرَّ النعاج.. فحاولي أن تفهمي

خلِّيكِ هادئةً.. فليس بنيتي

أن أقلب الليلَ الجميلَ لمأتمِ

أنا لم أكُنْ يوماً رئيسَ قبيلةٍ

حتى أحبكِ بالأظافر والدمِ[33]

لكنني رجلٌ يحاول دائماً..

تغييرَ خارطةَ السماء بشعرهِ

وبعشقهِ.. تغييرَ طقْسِ الأنجُمِ..



---

(33) المراد: حتى أغتصبك.

حين أحبكِ..

يتغيرُ – حينَ أحبكِ – شكل الكرة الأرضيةْ..

تتلاقي طُرق العالم فوق يديكِ..

وفوقَ يديَّهْ

يتغير ترتيبُ الأفلاكْ

تتكاثر في البحر الأسماكْ

ويسافر قمَرٌ في دورتيَ الدَمويةْ

يتغيرُ شكلي: أصبحُ شجرًا.. أصبح مطرًا..

أصبحُ ضوءاً أسودَ.. داخلَ عينٍ إسبانيةْ..

تتكون – حين أحبكِ – أوديةٌ وجبالْ

تزداد ولاداتُ الأطفال

تتشكلُ جزرٌ في عينيكِ خرافيةْ.. [34]

ويشاهدُ أهل الأرض كواكبَ لم تخطُرْ في بالْ

(34) الجمع الصحيح للجزيرة هو (الجزائر)، وليس الجزر.

ويزيدُ الرزقُ.. يزيدُ العشقُ.. تزيدُ الكتبُ الشعريةْ..

تتحضرُ – حين أحبكِ – آلاف الكلماتْ

تتشكلُ لغةٌ أخرى ..

مُدنٌ أخرى ..

أَمَمٌ أخرى ..

تُسرعُ أنفاسُ الساعاتْ

ترتاحُ حروفُ العَطْف.. وتحبلُ تاءاتُ التأنيثِ..

وينبتُ قمحٌ ما بين الصفحَاتْ

وتجيءُ طيورٌ من عينيكِ..

وتحملُ أخباراً عسليةْ

وتجيءُ قوافلُ من نهديكِ..

وتحملُ أعشاباً هنديةْ

يتساقطُ ثمر المانجو..

تشتعلُ الغاباتْ

وتدقُ طُبولٌ نوبيةْ..

يمتلئُ البحرُ الأبيضُ – حين أحبكِ – أزهاراً حمراءْ

وتلوحُ بلادُ فوق الماءْ.. !!

وتغيبُ بلادٌ تحت الماءْ

يتغيرُ جلدي..

تخرجُ منه ثلاثُ حماماتٍ بيضاءْ

وثلاثُ ورودٍ جوريةْ

تكتشف الشمسُ أنوثتهَا..

تضعُ الأقراطَ الذهبيةْ

ويهاجرُ كل النحل إلى سُرتكِ المنسيةْ.. !!

وبشارع ما بين النهدينْ..

تتجمع كل المدنيةْ.. !!

يستوطن حزنٌ عباسيٌّ في عينيكِ..

وتبكي مُدنٌ شيعيةْ

وتلوح مآذن من ذَهبٍ

وتضيءُ كشوفٌ صوفيةْ [35]

(35) الصوفية : طريقة تعبد دينية خاصة مذهب ديني عليها مآخذ كثيرة.. واختُلِفَ حولها.. وبالرغم من ذلك لها أتباعٌ كثيرون في كل البقاع الإسلامية.!

وأنا الأشواقُ تحولني

نقشاً.. وزخارفَ كوفيةْ

أتمشى تحت جسور الشعر الأسودِ..

أقرأ أشعاري الليلة

أتخيلُ جُزُراً دافئةً

ومراكب صيدٍ وهميةْ

تحمل لي تبغاً ومحارا..

من جُزر الهند الشرقيةْ..

يتخلص نهدُكِ – حينَ أحبكِ – من عقدتهِ النفسيةْ

يتحوَّلُ برقاً.. رعداً..

سيفاً.. عاصفةً رمليةْ..

تتظاهرُ – حينَ أحبكِ – كل المُدنِ العربيةْ

تتظاهرُ ضد عصور القَهرِ..

وضد عصور الثارِ..

وضد الأنظمة القبليةْ.. [36]

وأنا أتظاهرُ – حين أحبكِ – ضد القبح..

---

(36) ذلك أن الأنظمة القبلية يحكمها القمع والتسلُّط ،والمفاهيم الرجعية؛ كالثأر وإيثار الرجل على جميع النساء.

وضد ملوكِ الملحِ..

وضد مؤسسة الصحراءْ..

ولسوف أظلُّ أحبكِ حتى يأتي زَمنُ الماءْ..

ولسوفَ أظلُّ أحبكِ حتى يأتي زمنُ الماءْ..



قولي أحبكَ

قولي (أحبك)

كي تزيد وسامتي

فبغير حبك لا أكون جميلا

قولي (أحبك) كي تصير أصابعي ذهباً

وتصبح جبهتي قنديلا

قولي (أحبك) كي يتم تحولي

فأصير قمحاً.. أو أصير نخيلا

الآن قوليها ولا تترددي

بعض الهوى لا يقبل التأجيلا

قولي (أحبك) كي تزيد قداستي

ويصير شعري في الهوى إنجيلا

سأغيّرَ التقويم لو أحببتني

أمحو فصولاً أو أضيفُ فصولا

وسينتهي العصر القديم على يدي

وأقيم مملكة النساء بديلا

ملك أنا لو تصبحين حبيبتي

أغزو الشموس مراكباً وخيولا

لا تخجلي مني فهذى فرصتي

لأكون بين العاشقين رسولا.. !!



أحبك ..

أحبك.. في كل يوم ثلاثين عاماً

وأشعر أني أسابق عمري

وأشعر أن الزمان قليل عليك

وأن الدقائق تجري

وأني وراء الدقائق أجري

وأشعر أني أؤسس شيئاً

وأزرع في رحم الأرض شيئا

وأشعر.. حين أحبك – أني أغير عصري.. !!



أريدكِ أنثى ..!

أريدك أنثى ..

ولا أدعي العلم في كيمياء النساء..

ومن أين يأتي رحيق الأنوثة

وكيف تصير الظباء ظباء

وكيف العصافير تتقن فن الغناء..

أريدك أنثى ..

ويكفي حضورك كي لا يكون المكان..

ويكفي مجيئك كي لا يجيء الزمان..

وتكفي ابتسامة عينيك كي يبدأ المهرجان..

فوجهك تأشيرتي لدخول بلاد الحنان..

أريدك أنثى ..

كما جاء في كتب الشعر منذ ألوف السنين..

وما جاء في كتب العشق والعاشقين..

وما جاء في كتب الماء.. والورد.. والياسمين..

أريدك وادعة كالحمامة..

وصافية كمياه الغمامة..

وشاردة كالغزالة..

ما بين نجد.. وبين تهامة..[37]

أريدك مثل النساء اللواتي

نراهن في خالدات الصور..

ومثل العذارى اللواتي

نراهن فوق سقوف الكنائس

يغسلن أثدائهن بضوء القمر..

أريدك أنثى..

لتبقى الحياة على أرضنا ممكنة..

وتبقى القصائد في عصرنا ممكنة..

وتبقى الكواكب والأزمنة..

وتبقى المراكب.. والبحر.. والأحرف الأبجدية..

---

(37) نجد وتهامة : بلدان بالسعودية.

فما دمت أنثى فنحن بخير..

أريدك أنثى لأن الحضارة أنثى..

لأن القصيدة أنثى..

وسنبلة القمح أنثى..

وقارورة العطر أنثى ..

وباريس – بين المدائن – أنثى..

وبيروت تبقى – برغم الجراحات – أنثى ..

فباسم الذين يريدون أن يكتبوا الشعر.. كوني امرأة..

وباسم الذين يريدون أن يصنعوا الحب.. كوني امرأة..



نزار ثائرًا



ازدحم عالم نزار قباني الحسي.. والشخصي. بمعنيين لعبا دوراً بالغ الأهمية في تكوين ملامحه الشعرية وأفكاره الإبداعية.. وهما(الوطن) و(العروبة).

فعلى المستوى الشخصى. سبق أن أشرنا إلى أنه نشأ في بيت كان مقرًا مهمًّا من مقار الثورة السورية ضد الفرنسيين.. حيث كان أبوه (توفيق قباني) واحداً من رجالات الثورة البارزين الذين جابهوا القوى العدوانية.. وأثر كل منهم – كما قال (ألبير كامي): أن يموت واقفا على أن يعيش راكعًا !!.

وفي الخامس عشر من ديسمبر عام 1981 تفجَّرت السفارة العراقية فى وجه وطنه الأصغر (بلقيس).. فما كان من نزار إلا أن حمّل العرب جميعاً مسؤولية قتلها الذي أنجب أروع قصائده.. قصيدتى (بلقيس).. و(25 وردة في شعر بلقيس)... وفي رائعته الأولى (بلقيس) يقول نزار:

قسماً بعينيك اللتين إليهما..

تأوي ملايين الكواكب..

سأقول يا قمري عن العرب العجائب

فهل البطولة كذبة عربية ؟

أم مثلنا التاريخ كاذب ؟

بلقيس

لا تتغيبي عني

فإن الشمس بعدك

لا تضيء على السواحل..

سأقول في التحقيق

أن اللص أصبح يرتدي ثوب المقاتل

وأقول في التحقيق

أن القائد الموهوب أصبح كالمقاول.. !!

إنها الجرأة والثورة والقدرة على الفضح وإنه – أيضاً – الحب فلم تكن عينا نزار قباني مسلطة على أحد مناصب الدولة ولم تكن نفسه تتوق لنوال رضا السلطان.. أو الجلوس عند حذائه ولم يكن نزار أحد تجار النفاق الذين يرشون فوق شفاههم ابتسامات اللقاءات الرسمية.. ولا هو ممن يحلمون بالكرسي والنياشين.. فتجلَّت ثورته وجرأته.. واستطاع – بلسانه – أن يثأر لزوجته ووطنه الصغير (بلقيس) استطاع أن يقتلهم ويخنقهم بأصابع الكلمات كما قتلوها بأصابع الديناميت.. !!

وسوف يتجلى الأمر ويتضح أكثر من ذلك عند عرض قصيدته كاملة في مختارات هذا الجزء .

وفى رائعته الثانية (25 وردة في شعر بلقيس) يقول نزار :

كنت أعرف أنها سوف تُقتل

وكانت تعرف أنني سوف أُقتل

وقد تحققت النبوءتان

سقطت هي كالفراشة تحت أنقاض الجاهلية

وسقطت أنا..

بين أنياب عصر عربي

يفترس القصائد.. وعيون النساء.. ووردة الحرية..

لم تكن خائفة أن يقتلها الوطن

ولكنها كانت خائفة على الوطن أن يقتل نفسه.. !!

وبرحيل زوجته فوق لهب القنابل بقي نزار مدهوشاً.. تسمع لنزيف قلبه طنيناً ولجريان دموعه هديراً.. !!

ولكنه ظل ممسكاً بسيف الكلمات يشهره في وجوه القتلة الذين يسفلتون شوارعهم بدماء القبيلة.. ويرصفونها بجماجم رجالها.. !!

وعلى المستوى العربى استطاع نزار أن يخرج من نشأته الخاصة باختراع لغة جديدة على العقل العربي فإنه.. نظرا لوطنيته الجارفة.. وعروبته المتغلغلة في أعماقه استطاع أيضاً من هذا المنطلق أن يطلع علينا بمفاهيم بِكْر خالصة البكارة لبناء القصيدة السياسية من حيث المفردة السلسة والتصوير الموغل في الدهشة.. والتركيب البسيط للغاية.. والعميق بلا حدود في آنٍ واحد.. !

فإن موقف نزار من اليهود ومن القضية الفلسطينية ونكسة 67 ومن بيروت المحترقة.. ومن مفترسي العرب (الأمريكان).. ومن عدوان 56 واحتلال الجولان.. وحريق الأقصى.. واغتصاب جنوب لبنان.. ومن الرئيس السادات في اتفاقية كامب ديفيد.. ومن موت فقيد العروبة عبد الناصر.. ومن حرب الخليج.. ومن كل ما يمس العروبة كان موقفاً واضحاً.. متسماً بالثورة والجرأة القادمتين من أعماق شاعر مغسول بماء الوطن.. ومفطور على الوطنية والعروبة.. شاعر دخل معترك الأحداث.. ولم يكتفِ بدور المتفرج.. بل هو الوحيد الذي آثر المقامرة بنفسه من أجل عروبته حتى إن إحدى قصائده السياسية (خبز وحشيش وقمر) التي كتبها في لندن عام 1954 ناقشها في ذلك الحين البرلمان السوري.. وطالب نواب اليمين بالبرلمان بمحاكمة نزار قباني.. وطرده من عمله الدبلوماسي!!

فهل سمع أحدنا عن قصيدة نوقشت تحت قبة برلمان دولة عربية.. أو حتى أجنبية ؟! ثم ماذا يعني أن يناقش البرلمان قصيدة شعر ؟!

يقول نزار في قصيدته (خبز وحشيش وقمر) :

عندما يولد في الشرق القمر

في السطوح البيض تغفو

تحت أكداس الزهر..

يطرق الناس الحوانيت ويمضون زمر

لملاقاة القمر..

يحملون الخبز.. والحاكي.. إلى رأس الجبال

ومعدات الخدر..

ويبيعون.. ويشرون.. خيال

وصور..

ويموتون إذا عاش القمر..

وما الذي يفعله قرص ضياء ؟

ببلادي..

ببلاد الأنبياء ..

وبلاد البسطاء..

ماضغي التبغ وتجار الخدر..

ما الذي يفعله فينا القمر ؟

فنضيع الكبرياء

ونعيش لنستجدي السماء..

وما الذي عند السماء ؟

وفي أعقاب حرب 67 طلع نزار على العرب بسيفه المسموم.. أو قصيدته النارية (هوامش على دفتر النكسة) التي اجتر فيها كل وسائل التوبيخ وكل طرق التأنيب للقائمين على العروبة.. ولم يستطيعوا أن يحفظوا ثروات العرب فأضاعوا النفط.. وحرقوا الأرض ونهبوا المليارات.. وأضاعوا.. أضاعوا كرامة العرب.. وكان لسان حالهم يقول :

« ولتذهب العروبة إلى الجحيم » !!

فما كان من نزار إلا أن جسَّد في براعة غير مسبوقة.. وجرأة فريدة ذلك التآمر على العروبة.. فعصف بالمتآمرين.. حيث ألقى بهم في زنزانة قصيدته.. موضحاً أن الأمريكان واليهود هم الذين من وراء كل هذه الخسائر.. وإننا نحن العرب لا نملك إلا الألسنة الصمّاء.. والكلمات الجوفاء والشعارات المعلَّقة.. فكل بطولاتنا كذب.. وكل قوانا مزاعم.. وكل حروبنا ضحْك على الأذقان.. !!

فأثبت نزار – بجرأته النادرة – أننا نستحق كل هذا.. لأننا دائماً نؤثر السلامة.. وليس منا من تدرَّب على فنون المواجهة.. أو من قرر أن يضع عمره فوق عاتقه.. ويدخل به حلبة الصراع.. فكلنا نتاجر في الجبن.. ونحيا على طعام النفاق.. !!

يقول نزار قباني في قصيدته الزاحفة فوق وجوه الجبناء:

(1)

لا حَربنا حَربٌ.. ولا سَلامنَا سَلم

جميع ما يمر في حياتنا

ليس سوى أفلام

زواجنا مرتجل

وحبنا مرتجل

كما يكون الحب في بداية الأفلام..

وموتنا مُقرر

كما يكونُ الموتُ في نهاية الأفلام..

(2)

لم ننتصر يوماً على ذُبابةٍ

لكنها.. تجارةُ الأوهام

فخالد.. وطارق.. وحمزة..

وعقبة بن نافع..

والزبير.. والقعقاع.. والصمصامُ

مُكدّسُون كُلهم..

في عُلبِ الأفلام..

(3)

هَزيمةٌ..

وَرَاءَهَا هَزِيمة..

وَرَاءَهَا هَزِيمة..

كيفَ لنَا أن نربح الحَربَ

إذا كَان الذين مَثلوا

وَصوَّروا..

وَأخرجُوا..

تَعلمُوا القِتَال في وزارةِ الإعلام ؟!

(4)

في كل عشرين سنة

يأتي إلينا رجل مُسلح

ليذبح الوحدة في سريرها

ويُجهضُ الأحلام..

(5)

في كل عشرين سنة

يأتي إلينا حاكم بِأمرهِ

ليحبس السماء في قارورةٍ

ويأخذ الشمس إلى منصةِ الإعدام..

(6)

في كل عشرين سنة

يأتي إلينا نرجِسِي عَاشق لذاتهِ

ليدعي بأنهُ المهديُّ.. والمنقذُ..

والنقي.. والتقي.. والقوي..

والواحد.. والخالد..

والحكيم.. والعليق.. والقديس..

والإمام..

(7)

في كل عشرين سنة

يأتي إلينا رَجُل مُقامر

ليرهن البلاد.. والعباد.. والتراث..

والثروات.. والأنهار..

والأشجار.. والثمار..

والذكور والإناث..

والأمواج.. والبحر..

على طاولة القمار..

(8)

في كل عشرين سنة

يأتي إلينا رَجُل مُعَقّد

يَحمل إلينا في جُيُوبه أصابع الألغام..

وحينما سُئل نزار قباني: هل يحتاج العرب إلى الشعر في وضعهم الراهن أم هم بحاجة إلى العلوم الوضعية كالفيزياء والكيمياء وعلوم الذرة والأبحاث الفضائية ؟

وهل الشعر هو نقطة ضعف العرب؟

أم نقطة قوتهم ؟

أجاب شاعرنا قائلاً :

هذه أسئلة تُحمِّل الشعر فوق ما يحتمل.. وتجعله مسؤولاً عن كل ما يعاني منه العرب من تخلف وتفكك وانحطاط.

والصحيح أن التردّي العربي لم يكن سببه الشعر.. بل له ألف سبب وسبب غير الشعر.. فالشعر ليس مسؤولاً عن هذا التلوث السياسي الرهيب الذي يسود المنطقة العربية.. وليس مسئولاً عن هذا السقوط القومي الكبير الذي وصلنا إليه بسبب تسلُّط المتسلطين.. ومغامرة المغامرين.. وليس مسؤولاً عن هذا التشرذم الذي يأكل الأخضر واليابس في جسد الأمة العربية.

الشعر بريء من كل هذه النفايات السياسية والميكيافيلية والغوغائية التي تحاصره.. إنه ليس سبب هذا البلاء الكبير.. ولكنه ضحيته.

وإذا كان الشعر يعاني من العُصاب.. والشيزوفرينيا.. والخبل والصرع.. والكوابيس – فلأن المناخ العربي السائد نقل إليه – عن طريق العدوى – كل هذه الأمراض النفسية القاتلة.

إذن فالشعر ليس نقطة ضعف العرب.. ولا نقطة قوتهم.. ولكنه مرآةً عاكسة لكل ما يجري على المسرح العربي.

فالشاعر يدرك جيداً الدور الذي يجب عليه أن يقوم به كشاعر.. ويعي تماماً دور القصيدة وكيف يوظفها.. وكيف يصل من خلالها إلى مآربه سياسيًّا كان أو غيره.

ومما يعكس أنه – فوق هذا وذلك – مدرك للمفهوم الساذج للديمقراطية.. ونافذ – ببصيرة الشاعر الفذ – إلى أعماق النفس العربية قائديها ومقوديها في آن واحد.. ذلك أنه عندما سئل: لماذا لا يحكم الشعراء في العالم العربي ليقيموا أساسات (المدينة الفاضلة) التي يفضلونها ويبشرون بها.. أجاب بفلسفة الشاعر وذكائه ووعيه قائلاً :

أولا: لأنه لم يطلب منا أحد أن نحكم..

ثانياً : لأن جميع مقاعد الحكم مشغولة..

ثالثاً: لأن أنبياء الديمقراطية في بلادنا.. أكثر من الهمّ على القلب.. وليس هناك حاجة لأنبياء جُدد.

رابعاً: لأننا نخاف على زوجاتنا وأولادنا من الترمُّل.. واليُتم

خامسا: لأن القصيدة تخاف أن يخطفها رجال المباحث.. وتُسجّل القضية ضد مجهول !.

ونلاحظ أن الشاعر وإن كانت إجابته نثرية فإن روح الشعر والنقد والفلسفة والثورة لم تبرح كلماته.. ومن ثم فقد حق له أن يقول :

« أنا نزار قباني فقط دون إضافة أي حرف.. ودون حذف أي حرف.. أنا هذه الرائحة الخصوصية التي يشمها القراء العرب.. ولو كنت مقيماً في الصين الشعبية.. أو في جزر القمر».

فهو ليس غروراً ولا استعلاء.. ولكن الرجل كعادة الشاعر الحق معُتز بذاته لا يفرط في كبريائه.. حريص على كينونته أشد من حرصه على حياته.

وقصيدتا (خبز وحشيش وقمر) و(هوامش على دفتر النكسة) وإن كانتا تمثلان أهم ملامح القصيدة السياسية النزارية – فإنهما ليستا القصيدتين الوحيدتين السياسيتين اللتين شغلتا كل القراء العرب.. فمما يشكل أيضاً ملامح القصيدة السياسية النزارية.. قصيدته (جميلة بوحيرد) التي اغتيلت على يد الفرنسيين في الجزائر وهي في عنفوان شبابها.. وأقصى حالات جمالها ونقائها وبراءتها وطهارتها لا لسبب وإنما اللهم فقط لأنها كانت لا تقول – كغيرها – «نعم» للسلطة !!

فباعت أحلامها بالفارس النبيل.. وثوب الزفاف.. وتخلّت عن النعومة وأحمر الشفاه.. من أجل وطنها.. ومن أجل أن تواجه كلاب الأثر التي تشم منازلهم وملابسهم وطعامهم.. فكان جزاؤها أن حُبست في الزنزانة رقم تسعين بالسجن الحربي بوهران تتلقى شتى ألوان العذاب.. لا تغمض عينيها ولا تفتحهما إلا على شبح الفزع وصرخات الألم !!

يقول نزار في قصيدته (جميلة بوحيرد) :

الاسم: جميلة بوحيرد

رقم الزنزانة: تِسعونا

في السجن الحربي بوهران

والعمر اثنان وعشرونا

عينان كقنديلي معبد

والشعر العربي الأسود

كالصيف..

كشلال الأحزان

إبريق للماء.. وسبحان

ويد تنضم على القرآن

وامرأة في ضوء الصبح

تسترجع في مثل البوح

آيات مُحزنة الإرنانِ

من سورة (مريم) و(الفتح)

***

الاسم جميلة بوحيرد

اسم مكتوب باللهب

مغموس في جرح السحب

في أدب بلادي.. في أدبي..

العمر اثنان وعشرونا

في الصدر استوطن زوج حمام

والثغر الراقد غُصن سلام

امراة من قسطنطينة

لم تعرف شفاتاها الزينة

لم تدخل حُجرتها الأحلام

لم تلعب أبداَ أبداً كالأطفال

لم تُغرم كنساء فرنسا

أقبية اللذة في (بيجال)

***

الاسم: جميلة بوحيرد

أجمل أغنية في المغرب

أطول نخلة

لمحتها واحات المغرب

أجمل طفلة

أتعبت الشمس ولم تتعب

يا ربي.. هل تحت الكوكب

يوجد إنسان

يرضي أن يأكل.. أن يشرب

من لحم مُجاهدةٍ تُصلب.. ؟!

***

أضواء (الباستيل) ضئيلة

وسعال امرأة مسلولة

أكلت من نهديها الأغلال

أكل الأنذال

(لا كوست) وآلاف الأنذال

من جيش فرنسا المغلوبة

انتصروا الآن على أنثى

أنثى .. كالشمعة مصلوبة

القيد يعض على القدمين

وسجائر تطفأ في النهدين

ودم في الأنف.. وفي الشفتين

وجراح جميلة بوحيرد

هي والتحرير على موعد

***

مقصلة تُنصب.. والأشرار

يلهون بأنثى دون إزار

وجميلة بين بنادقهم

عُصفور في وسط الأمطار

الجسد الخمري الأسمر

تنفضه لمسات التيار

وحروق في الثدي الأيسر

في الحلمة..

في.. في.. يا للعار

***

الاسم: جميلة بوحيرد

تاريخ.. بلادي

يحفظه بعدي أولادي

تاريخ امرأة من وطني

جلدت مقصلة الجلاد

امرأة دوَّخت الشمسا

جرحت أبعاد الأبعاد

ثائرة من جبل الأطلس

يذكرها الليلك والنرجس

يذكرها.. زهر الكباد..

ما أصغر (جان دارك) فرنسا

في جانب (جان دارك) بلادي.. !!

ومن قصائد نزار السياسية – أيضاً – التي يعد فيها منفرداً من حيث الرؤية والبناء معاً قصيدته التي رثى بها فقيد العروبة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر (رسالة إلى جمال عبد الناصر) التي أوضح فيها أن عبد الناصر – من حيث الزعامة والعروبة ومناهضة الاستعمار – رجل أشبه بالأسطورة.. يكفي المرء – كما يرى نزار في آخر سطر من هذه القصيدة – أن يولد أو يوجد في عصر عبد الناصر.. فيقول :

الحزن مرسوم على الغيوم.. والأشجار.. والستائر

وأنت سافرت.. ولم تسافر.. !!

فأنت في رائحة الأرض..

وفى تفتح الأزاهر..

في صوت كل موجة.. وصوت كل طائر..

في كتب الأطفال .. في الحروف.. في الدفاتر

في خضرة العيون.. وارتعاشة الأساور..

في صدر كل مؤمن.. وسيف كل ثائر

عندي خطاب عاجل..

لكنني.. لكنني يا سيدي

تسحقني مشاعري..

يا أيها المعلم الكبير

كم حزننا كبير

كم جرحنا كبير

لكننا..

نقسم بالله العلي القدير



أن نحبس الدموع في الأحداق

ونخنق العبرة

نقسم بالله العلي القدير

أن نحفظ الميثاق

ونحفظ الثورة..

وعندما يسألنا أولادنا :

من أنتم ؟

في أي عصر عشتم ؟

في عصر أي ملهم ؟

في عصر أي ساحر ؟؟

نجيبهم :

في عصر عبد الناصر

الله.. ما أروعها شهادة..

أن يوجد الإنسان في زمان عبد الناصر.. !!

وبعدُ..

فإن شعر نزار السياسي ليس محصوراً في الخبز.. والهوامش.. وبوحيرد.. وعبد الناصر فإن له جواهر سياسية أخرى كقصيدته الأسطورة – كما أرى – (متي يعلنون وفاة العرب؟) وجميعها تمثل أهم ملامح شعر نزار السياسي.. كما يمثل ما اخترناه منها الملامح الرئيسة لشخصية نزار الثائر.



إلى أين يذهب موتى الوطن ؟

(1)

نموت مصادفة.. ككلاب الطريق

ونجهل أسماء من يصنعون القرار

نموت.. ولسنا نناقش كيف نموت ؟ وأين نموت ؟

فيومًا نموت بسيف اليمين.

ويومًا نموت بسيف اليسار[1]

نموت من القهر.. حرباً وسلماً..

ولا نتذكر أسماء من شيعونا .

ولا نتذكر أوجه من قتلونا .

فلا فرق.. في لحظة الموت..

بين المجوس.. وبين التتار !! .

(1) اليمين واليسار : المقصود بهما التوجه السياسي .

(2)

بلاد..

تجيد كتابة شعر المراثي

وتمتد بين البكاء.. وبين البكاء..

بلاد..

جميع مدائنها كربلاء..

(3)

بلاد بكعب الحذاء تُدار .

فلا من حكيم..

ولا من نبي..

ولا من كتاب..

بلاد.. بها الشعب يأخذ شكل الذباب..

(4)

بلاد.. يدير المسدس فيها شؤون الحوار..

بلاد يسيجها الخوف.. [1]

حيث العروبة تغدو عقابا..

وحيث الدعارة تغدو انتصار..

(1) يسيجها الخوف : المراد : يحاصرها الخوف ؛ لأن (السياج) هو : السور.

(5)

مبادئ.. بالرطل مطروحة

على عربات الخضار..

دساتير.. تكفل حرية الرأي.. [2]

تعرض كالفجل.. في عربات الخضار..

قصائد ليس عليها إزار..

تضاجع في الليل كل خليفة..

وترضي جميع جنود الخليفة..

وترمى صباحا كأية جيفة..

على عربات الخضار..

(6)

بلاد.. بدون بلاد

فأين مكان القصيدة بين الحصار وبين الحصار ؟

كأن الكتابة في مدن الملح..

فعل انتحار.. !!

(2) دساتير : جمع (دستور) ؛ نصوص القوانين.

(7)

بلاد تحاول أشجارها

من الياس..

أن تتوسل تأشيرة للسفر..

(8)

بلاد تخاف على نفسها من قصيدة شعر..

ومن قمر الليل..

حين يمشط شعر المساء .

وتخشى على أمنها من بريد الهوى..

وعيون النساء..

(9)

أفتش عن وطنٍ لا يجيء..

وأسكن في لغة ليس فيها جدار..

(10)

بلاد تعد حقائبها للرحيل

وليس هناك رصيف..

وليس هناك قطار.. !!

(11)

إلى أن يذهب موتى الوطن ؟

وكل العقارات فيه..

مخصصة لاستضافة من يحرسون الرئيس..

ومن يطبخون طعام الرئيس..

ومن يدلكون بزيت البنفسج

صدر الرئيس..

وظهر الرئيس

وبطن الرئيس..

ومن يحملون إليه كؤوس اللبن..

إلى أين يذهب من سقطوا في حروب الرئيس ؟

وما عندهم شقة للسكن !!..

(12)

ولو موتنا كان من أجل أمر عظيم

لكنا ذهبنا إلى موتنا ضاحكين..

ولو موتنا كان من أجل وقفة عز

وتحرير أرض.. وتحرير شعب..

سبقنا الجميع إلى جنة المؤمنين..

ولكنهم قرروا أن نموت..

ليبقى النظام..

وأعمام هذا النظام..

وأخوال هذا النظام..

وتبقى تماثيل مصنوعة من عجين !!.

(13)

يموت الملايين منا

ولا تتحرك فى رأس قائدنا

شعرة واحدة..

ولم أكُ أعرف أن الطغاة

يضيقون بالآلة الحاسبة..

(14)

أحاول بالشعر..

أن أستعيد مرايا النهار .

وعشب الحقول..

وضوء النجوم..

ولون البحار .

وأستنبت القمح من تحت هذا الدمار .

(15)

أحاول بالشعر..

إنهاء عصر التخلف..

حتى أؤسس عصراً جديدا

من الورد والجلنار .

(16)

أحاول بالشعر..

تفجير عصر

وتغيير كون..

وإشعال نار..

(17)

بحثت طويلاً عن المتنبي .

فلم أر من عزة النفس إلا الغبار..

بحثت عن الكبرياء طويلا..

ولكنني لم أشاهد بعصر المماليك..

إلا الصغار.. الصغار !!

بلقيس ..

شكراً لكُمْ..

شكراً لكُمْ..

فحبيبتي قُتِلَت.. وصار بُوسعكُمْ

أن تشربوا كأساً على قبر الشهيدَةْ

وقصيدتي اغْتيلتْ..

وهل من أمةٍ في الأرض..

- إلا نحنُ – نغتالُ القصيدَةْ ؟

***

بلقيسُ..

كانَتْ أجملَ المِلِكاتِ في تاريخ بابِلْ

بلقيسُ..

كانتْ أطولَ النخلاتِ في أرض العراقْ

كانتْ إذا تمشي..

ترافقُها طواويسٌ..

وتتبعُها أيائِلْ.. [1]

بلقيسُ.. يا وَجَعي..

ويا وَجَعَ القصيدةِ حينَ تلمسُها الأَنَامِلْ

هل يا تُرى..

من بعد شَعْرِكِ سوفَ ترتفعُ السنابلْ ؟

***

(1) جماعات الغزلان .

يا نَيْنَوى الخضراءَ.. [1]

يا غَجَريتي الشقراءَ..

يا أمواج دجلةَ..

تلبسُ في الربيع بساقِها

أحلى الخلاخلْ.. !!

***

قَتَلوكِ يا بلقيسُ..

أيةُ أمةٍ عربيةٍ..

تلك التي.. تغتالُ أصواتَ البلابلْ ؟

***

(1) نينوى : اسم قرية معروفة بحذاء (محاذاة) كربلاء.

أين السِموأَلُ ؟ [2]

والمُهَلهلُ ؟ [3]

والغطاريفُ الأوائِلْ ؟ [1]

فقبائلٌ أكلتْ قبائلْ..

وثعالبٌ قتلَتْ ثعالبْ..

وعناكبٌ قَتلتْ عناكبْ..

***

قسما بعينيكِ اللتينِ إليهما..

تأوي ملايينُ الكواكبْ..

سأقول .. يا قَمَري.. عن العَرب العجائبْ..

فهل البطولةُ كِذبةٌ عربيةٌ ؟

أم مثلنا التاريخُ كاذبْ ؟

***

(2) السموأل : اسم رجل سريانى معرب.. وهو رمز للأدب والشعر .

(3) المهلهل : شاعر جاهلى وهو رمز للقوة والشجاعة .

(1) الغطاريف : السادة الشرفاء.

بلقيسُ

لا تتغيبي عني

فإن الشمسَ بعدكِ

لا تُضيءُ على السواحلْ.. !!

***

سأقول في التحقيق:

إن اللصَّ أصبح يرتدي ثوبَ المُقاتِلْ

وأقول في التحقيق :

إن القائدَ الموهوبَ أصبح كالمُقاوِلْ..

وأقول :

إن حكايةَ الإشعاع.. أسخفُ نُكتةٍ قيلَتْ..

فنحنُ قبيلةٌ بين القبائِلْ

هذا هو التاريخُ.. يا بلقيسُ..

كيف يُفَرقُ الإنسان ..

ما بين الحدائقِ والمزابلْ ؟!

***

بلقيسُ..

أيتها الشهيدةُ.. والقصيدةُ..

والمطَهرةُ النقيةْ..

سَبَا تفتشُ عن مليكَتِها

فرُدي للجماهير التحيةْ..

***

يا أعظَمَ المِلِكَاتِ..

يا امرأة تُجسِّدُ كل أمجاد العصور السُومريةْ

بلقيسُ..

يا عصفورتي الأحلى..

ويا أيقُونتي الأغلىَ [1]

ويا دمْعاً تناثر فوق خدِّ المَجْدليةْ

أتُرى ظلمتُكِ إذ نقلتكِ

ذاتَ يومٍ.. من ضفاف الأعظميةْ

بيروتُ.. تقتُلُ كل يومٍ واحدًا منا..

وتبحثُ كل يومٍ عن ضحيةْ

***

---

(1) يا أيقونتى : يا جميلتى.

والموتُ.. في فِنجانِ قهوتِنا..

وفي مفتاح شِقتنا..

وفي أزهار شُرفتِنا..

وفي وَرَق الجرائدِ..

والحُروفِ الأبجديةْ..

***

ها نحنُ.. يا بلقيسُ..

ندخُلُ مرةً أخرى لعصر الجاهليةْ..

ها نحنُ ندخلُ في التوحُّشِ..

والتخلفِ.. والبشاعةِ.. والوضَاعةِ..

ندخلُ مرةً أخرى .. عُصُورَ البربريةْ..

***

حيثُ الكتابةُ رحلةٌ

بين الشظيةِ.. والشظيةْ

حيثُ اغتيالُ فراشةٍ في حقلِها..

صارَ القضيةْ..

***

هل تعرفون حبيبتي بلقيسَ ؟

فهي أهمُّ ما كتبوهُ في كُتب الغرامْ

كانتْ مزيجا رائِعا

بين القطيفة والرخامْ..

كان البنفْسجُ بين عينيْها

ينامُ ولا ينامْ..

***

بلقيسُ..

يا عِطرا بذاكرتي..

ويا قَبرا يسافرُ في الغمامْ..

قتلوكِ.. في بيروت.. مثلَ أي غزالةٍ

من بعدما.. قتلوُا الكلامْ..

***

بلقيسُ..

ليستْ هذه مرثيةً

لكنْ..

على العَرَب السلامْ

***

بلقيسُ..

مشتاقُونَ.. مشتاقُونَ.. مشتاقونَ..

والبيتُ الصغيرُ..

يُسائِل عن أميرته المعطرةِ الذيولْ

تُصغي إلى الأخبار.. والأخبار غامضةٌ

ولا تروي فضُولْ..

***

بلقيسُ..

مُذبحونَ حتى العَظْم..

والأولادُ لا يدرونَ ما يجري..

ولا أدري أنا.. ماذا أقول ؟

***

هل تقرعينَ البابَ بعد دقائقٍ ؟ [1]

هل تخلعينَ المعطفَ الشتويَّ ؟

هل تأتينَ باسمةً..

وناضرةً..

ومُشرقةً كأزهار الحُقولْ ؟

***

بلقيس..

إن زُروعكِ الخضراءَ..

ما زالت على الحيطان باكيةً..

ووجهكِ لم يَزَلْ متنقلا..

بينَ المرايا والستائرْ

***

حتى سجارتُكِ التي أشعلتِها..

لم تنطفئ..

ودخانُها

ما زال يرفضَ أن يسافرْ

***

(1) تقرعين : تدقِّين .

بلقيسُ..

مطعونونَ.. مطعونونَ في الأعماق..

والأحداق يسكُنها الذُهُولْ

بلقيسُ..

كيف أخذتِ أيامي.. وأحلامي..

وألغيتِ الحدائقَ والفصُولْ.. ؟!

***

يا زوجتي..

وحبيبتي.. وقصيدتي.. وضياءَ عيني..

قد كنتِ عصفوري الجميلَ..

فكيف هربتِ يا بلقيسُ مني ؟..

***

بلقيسُ..

هذا موعدُ الشاي العراقي المُعطَّرِ..

والمعَتق كالسُلافةْ.. [1]

فمن الذي سيوزعُ الأقداحَ.. أيتها الزرافَةْ ؟

ومن الذي نَقَل الفُراتَ لبيتنا..

وورودَ دَجْلةَ والرصَافةْ ؟ [2]

***

بلقيسُ..

إن الحُزْن يثقُبُني..

وبيروتُ التي قتلتكِ.. لا تدري جريمتها

وبيروتُ التي عشقتكِ..

تجهلُ أنها قتلت عشيقتها..

وأطفأتِ القَمَرْ..

***

(1) السلافة : خلاصة الخمر.

(2) دجلة والرصافة : موضعان.

بلقيسُ..

يا بلقيسُ..

يا بلقيسُ..

كلُ غمامةٍ تبكي عليكِ..

فمنْ تُرى يبكي عليَّا..

بلقيسُ.. كيف رحلتِ صامتةً

ولم تضعي يديكِ.. على يَدَيا ؟ !

***

بلقيسُ..

كيف تركتنا في الريح..

نرجفُ مثلَ أوراق الشَجَرْ ؟

وتركتنا – نحنُ الثلاثة – ضائعينَ

كريشةٍ تحت المطَرْ..

أتُراكِ ما فكرتِ بي ؟

وأنا الذي يحتاجُ حبكِ.. مثلَ (زينبَ) أو (عُمَرْ)

بلقيسُ..

يا كنزا خُرافيا..

ويا رمحا عراقيا..

وغابةَ خيزُرَانْ.. [1]

يا منْ تحديتِ النجومَ ترفعا..

من أين جئتِ بكل هذا العُنفوانْ ؟

بلقيسُ..

أيتها الصديقةُ.. والرفيقةُ..

والرقيقةُ مثلَ زهرة أقحوانْ..

ضاقتْ بنا بيروتُ.. ضاقَ البحرُ..

ضاقَ بنا المكانْ..

بلقيسُ: ما أنت التي تتكررينَ..

فما لبلقيسَ اثنتانْ..

***

(1) الخيرزان : نبات ليِّن، أعواده ناعمة ملساء.. ينبت فى بلاد الروم.

بلقيسُ..

تذبُحني التفاصيلُ الصغيرةُ في علاقتنا..

وتجلُدني الدقائقُ والثواني..

فلكل دبوسٍ صغيرٍ.. قصةٌ

ولكل عقدٍ من عقودكِ قصتانِ

***

حتى ملاقطُ شعركِ الذهبي..

تغمُرني.. كعادتِها.. بأمطار الحنانِ

ويعرشُ الصوتُ العراقي الجميلُ..

على الستائرِ..

والمقاعد..

والأوانى..

ومن المَرايا تطلعينَ..

من الخواتم تطلعينَ..

من القصيدة تطلعينَ..

من الشُمُوعِ..

من الكؤوسِ..

من النبيذ الأرجُواني.. [1]

***

(1) الأرجوانى : شديد الحمرة.

بلقيسُ.. يا بلقيسُ..

لو تدرينَ ما وَجَعُ المكانِ..

في كل ركنٍ.. أنت حائمةٌ كعصفورٍ..

وعابقةٌ كغابةِ بيلسانِ.. [2]

***

فهناكَ.. كنتِ تُدخنينَ..

هناكَ.. كنتِ تُطالعينَ..

هناكَ.. كُنتِ كنخلةٍ تتمشطينَ..

وتدخُلينَ على الضيوفِ..

كأنكِ السيفُ اليماني..

***

(2) البيلسان : نوع من الأشجار.

بلقيسُ..

أين زجاجةُ (الغيرلانِ) ؟

والولاعةُ الزرقاءُ..

أينَ سيجارةُ الـ (كَنْتِ) التي

ما فارقتْ شفتيكِ ؟

أين (الهاشميُّ) مغنيا..

فوقَ القوامِ المهرجانِ..

***

تتذكرُ الأمشاطُ ماضيها..

فيكرُجُ دمعُها.. [1]

هل يا تُرى الأمشاطُ من أشواقها أيضاً تعاني ؟

بلقيسُ: صعبٌ أن أهاجرَ من دمي..

وأنا المُحاصرُ بين ألسنة اللهيبِ..

وبين ألسنة الدخانِ..

***

(1) الكرج : كلمة من أصل فارسى.. تعني فساد الطعام وغيره.. ولكن المراد من هذا السياق هو : تساقط الدموع .

بلقيسُ: أيتها الأميرةْ

ها أنت تحترقينَ.. في حرب العشيرةِ والعشيرةْ

ماذا سأكتُبُ عن رحيل مليكتي ؟

إن الكلامَ فضيحتي..

***

ها نحنُ نبحثُ بين أكوام الضحايا..

عن نجمةٍ سقطتْ..

وعن جَدٍ تناثر كالمرايا..

ها نحنُ نسألُ يا حبيبةْ..

إن كان هذا القبرُ قبركِ أنتِ

أم قبرَ العُروبةْ..

***

بلقيسُ :

يا صفصافةً أرختْ ضفائرهَا عليَّ..

ويا زُرافةَ كبرياءْ..

بلقيسُ :

إن قضاءنا العربي أن يغتالنا عرَبٌ..

***

ويأكلَ لحمنا عَربٌ..

ويبقُرَ بطننا عرَبٌ..

ويفتحَ قبرنا عَرَبٌ..

فكيفَ نفُر من هذا القضَاءْ ؟

***

فالخنجرُ العربيُ.. ليس يُقيمُ فرقا

بين أعناقِ الرجالِ..

وبين أعناقِ النساءْ..

بلقيسُ :

إنْ هم فجَّروكِ.. فعندنا..

كل الجنائز تبتدي في كَربَلاءَ..

وتنتهي في كربلاءْ..

***

لن أقرأ التاريخَ بعد اليوم..

إن أصابعي اشتعلتْ..

وأثوابي تُغطيها الدمَاءْ..

ها نحنُ ندخُلُ عصرَنا الحَجَري..

نرجعُ كل يومٍ.. ألفَ عامٍ للوَرَاءْ..

***

البحرُ في بيروتَ..

بعد رحيل عينيكِ استقالْ..

والشعرُ.. يسأَلُ عن قصيدتِهِ

التي لم تكتملْ كلماتُها..

ولا أحدُ.. يُجيبُ على السؤالْ

***

الحُزنُ يا بلقيسُ..

يعصُرُ مهجتي كالبرتُقالةْ..

الآنَ.. أعرفُ مأزقَ الكلماتِ

أعرفُ ورطةَ اللغةِ المحالةْ..

وأنا الذي أخترعَ الرسائلَ..

لستُ أدري.. كيفَ أبتدئُ الرسالةْ.. ؟!

السيفُ يدخلُ لحم خاصِرَتي

وخاصرةِ العبارةْ..

كل الحضارةِ.. أنت يا بلقيسُ.. والأنثى حضارَةْ..

بلقيسُ: أنت بشارتي الكُبرى..

فمن سرقَ البشارةْ ؟

أنتِ الكتابةُ قبلما كانت كتابةْ..

أنتِ الجزيرةُ والمنارةْ..

***

بلقيسُ :

يا قمَري الذي طَمَروهُ ما بين الحجارَةْ.. [1]

الآنَ ترتفعُ الستارةْ..

الآنَ ترتفعُ الستارةْ..

***

سأقول في التحقيق :

أني أعرفُ الأسماء..

والأشياء.. والسُّجناءَ..

والشهَداء.. والفُقَراءَ.. والمستضعفينْ..

وأقول: أني أعرفُ السيَّافَ قاتلَ زوجتي..

ووجوه كل المخبرينْ..

***

(1) طمروه : المراد : داسوه وسحقوه.

وأقول: أن عفافنا عُهرٌ..

وتقوانا قذَارةْ..

وأقول: إن نضالَنا كَذِبٌ

وأنْ لا فرْقَ..

ما بين السياسةِ والدَعَارةْ !!

***

سأقول في التحقيق :

أني قد عرفتُ القاتلينْ

وأقول:

إن زمانَنا العربي مختصٌّ بذبح الياسَمينْ

وبقتلِ كل الأنبياء ..

وقتْلِ كل المرسَلينْ.. !!

***

حتى العيونُ الخُضْرُ..

يأكُلُها العَرَبْ

حتى الضفائرُ.. والخواتمُ

والأساورُ.. والمرايا.. واللُّعَبْ..

حتى النجومُ تخافُ من وطني..

ولا أدري السببْ.. !!

***

حتى الطيورُ تفرُّ من وطني..

ولا أدري السببْ..

حتى الكواكبُ.. والمراكبُ.. والسُّحُبْ

حتى الدفاترُ.. والكُتُبْ..

وجميعُ أشياء الجمالِ..

جميعُها.. ضِدَّ العَرَبْ.. !!

***

لما تناثر جسمُكِ الضَوئيُ

يا بلقيسُ..

لؤلُؤةً كريمَةْ

فكرتُ: هل قتلُ النساء هوايةٌ عربيةٌ

أم أننا في الأصل.. محترِفُو جريمَةْ ؟

***

بلقيسُ..

يا فرَسي الجميلةُ.. إنني

من كل تاريخي خجُولْ

هذي بلادٌ يقتلُونَ بها الخيولْ..

هذي بلادٌ يقتلونَ بها الخيولْ..

***

من يومٍ أن نَحَروكِ..

يا بلقيسُ..

يا أحلى وطنْ..

لا يعرفُ الإنسان.. كيف يعيشُ في هذا الوطنْ..

لا يعرفُ الإنسان.. كيف يموتُ في هذا الوطنْ..

***

ما زلتُ أدفعُ من دمي..

أعلى جَزَاءْ

كي أسعدَ الدُّنيا.. ولكن السماءْ

شاءتْ بأن أبقى وحيداً..

مثلَ أوراق الشتاءْ.. !!

***

هل يُولَدُ الشُّعراءُ من رحمِ الشقاءْ ؟

وهل القصيدةُ طعنةٌ..

في القلب.. ليس لها شِفاءْ ؟

أم أنني وحدي الذي..

عيناهُ تختصرانِ تاريخَ البُكاءْ ؟!

***

سأقول في التحقيق :

كيف غَزالتي ماتت بسيف أبي لَهَبْ [1]

كلُّ اللصوص من الخليج إلى المحيطِ..

يُدمرون.. ويُحرقونَ..

وينهبُونَ.. ويرتشُونَ..

ويعتدونَ على النساءِ..

كما يُريدُ أبو لَهَبْ..

***

(1) أبو لهب : رمز آخر من رموز التسلط والفُجر والبشاعة والقهر.

كل الكِلابِ موظفونَ..

ويأكلونَ..

ويسكرون..

على حساب أبي لَهَبْ..

***

لا قمحةٌ في الأرض..

تنبُتُ دون رأي أبي لَهَبْ

لا طفلَ يُولدُ عندنا

إلا وزارتْ أمهُ يوماً..

فِراشَ أبي لَهَبْ !!..

لا سجنَ يُفتحُ..

دونَ رأي أبي لَهَبْ..

لا رأسَ يُقطعُ..

دونَ أمر أبي لَهَبْ..

***

سأقول في التحقيق :

كيفَ أميرتي اغتصبتْ

وكيفَ تقاسَمُوا فيروزَ عينيها

وخاتمَ عُرسِها..

وأقول كيفَ تقاسمُوا الشعرَ الذي

يجري كأنهار الذَهَبْ..

**

سأقول في التحقيق :

كيفَ سَطَوا على آيات مُصحفِها الشريفِ..

وأضرمُوا فيه اللَهَبْ..

سأقول كيف استنزَفوا دَمَها..

وكيفَ استملكُوا فمهَا..

فما تركُوا به ورداً.. ولا تركوا عنبْ

**

هل موتُ بلقيسِ..

هو النصرُ الوحيدُ

بكل تاريخ العَرَبْ ؟؟..

**

بلقيسُ..

يا معشُوقتي حتى الثُّمالةْ..

الأنبياء الكاذبُونَ..

يُقَرفِصُونَ..

ويركبون على الشعوبِ

ولا رسالةْ.. !!

لو أنهم حملُوا إلينا..

من فلسطينَ الحزينةِ..

نجمةً..

أو بُرتُقالةْ..

***

لو أنهم حَمَلُوا إلينا

من شواطئ غَزة

حجرا صغيرا

أو مَحَارةْ..

***

لو أنهم من رُبع قرنٍ حرروا..

زيتونةً..

أو أرجعُوا ليمونةً

ومحوُا عن التاريخ عارَهْ

***

لشكرتُ من قَتلوكِ.. يا بلقيسُ..

يا معبُودَتي حتى الثُمالةْ..

لكنهُمْ.. ترَكُوا فلسطينا..

ليغتالُوا غَزالةْ !!..

***

ماذا يقولُ الشعرُ.. يا بلقيسُ..

في هذا الزَمانِ ؟

ماذا يقولُ الشعرُ ؟

في العصر الشُعُوبي.. [1]

المجُوسي..

الجَبَانِ..

والعالمُ العربيُ..

مسحوقٌ.. ومقموعٌ..

ومقطوعُ اللسانِ..

نحنُ الجريمةُ في تفوُقِها

فما (العِقدُ الفريدُ).. وما (الأغاني) ؟؟ [2]

***

(1) الشعوبية : حركة تكونت للهجوم على الثقافة العربية ومعارضة الشريعة الإسلامية.. ومن أبرز شخصياتها (بشار بن برد) و (أبو نواس).

(2) كتابان من كتب التراث.

أخَذُوكِ أيتُها الحبيبةُ من يَدي..

أخذُوا القصيدةَ من فمي..

أخذوا الكتابةَ.. والقراءةَ..

والطُفُولةَ.. والأماني

بلقيسُ.. يا بلقيسُ..

يا دمعاً ينقطُ فوق أهداب الكَمانِ..

علَّمتُ من قتلوكِ أسرارَ الهوى..

لكنهمْ.. قبلَ انتهاء الشوطِ..

قد قَتلوُا حصاني.. !!

***

بلقيسُ :

أسألكِ السماحَ.. فربما

كانتْ حياتُكِ فديةً لحياتي..

إني لأعرف جيداً..

إن الذين تورطُوا في القتل.. كانَ مُرادُهُمْ

أن يقتُلُوا كَلِمَاتي !!!!

نامِي بحفظِ اللهِ.. أيتُها الجميلَةْ

فالشعرُ بعدكِ مُستحيلٌ..

والأنوثةُ مُستحيلةْ

***

ستظلُّ أجيالٌ من الأطفال ..

تسألُ عن ضفائركِ الطويلةْ..

وتظلُ أجيالٌ من العُشاق

تقرأ عنكِ.. أيتُها المعلمةُ الأصيلةْ..

وسيعرفُ الأعرابُ يوماً..

أنهُم قَتَلوا الرَسُولةْ..

قَتَلُو الرسُولةْ..

ق.. ت.. ل.. و.. ا

ال.. ر.. س.. و.. ل.. ه [1]



(1) نلاحظ أن الكتابة فى آخر سطرين جاءت كلماتها مبعثرة الحروف وممزقة؛ تلاؤماً مع ما وصلت إليه حال الشاعر مع نهاية القصيدة.

خبز وحشيش وقمر ..!!

-1-عندما يولد في الشرق القمر

فالسطوح البيض تغفو

تحت أكداس الزهر

يترك الناس الحوانيت.. ويمضون زمر[1]

لملاقاة القمر..

يحملون الخبز.. والحاكي.. إلى رأس الجبال

ومعدات الخدر

ويبيعون.. ويشرون خيال

وصور..

ويموتون إذا عاش القمر..

(1) يمضون زمر : يمضون جماعات.

–2–

ما الذي يفعله قرص ضياء؟[2]

ببلادي..

ببلاد الأنبياء ..

وبلاد البسطاء..

ماضغي التبغ.. وتجار الخدر[1]

ما الذي يفعله فينا القمر؟

فنضيع الكبرياء

ونعيش لنستجدي السماء[2]

ما الذي عند السماء؟

لكسالى ضعفاء

يستحيلون إلى موتى إذا عاش القمر[3]

ويهزون قبور الأولياء

علها ترزقهم رزا.. وأطفالا ..

(2) قرص ضياء : المراد (القمر).

(1) تجار الخدر : المراد الذين يتاجرون بالمواد المخدرة.

(2) نستجدى : نشحذ.

(3) يستحيلون : يتحوَّلون.

قبورُ الأولياء

ويمدون السجاجيد الأنيقات الطرر

يتسلون بأفيون نسميه قدر

وقضاء..

في بلادي..

في بلاد البسطاء..

– 3 –

أي ضعف وانحلال

يتولانا إذا الضوء تدفق

فالسجاجيد.. وآلاف السلال

وقداح الشاي..

والأطفال ..

تحتل التلال

في بلادي

حيث يبكي الساذجون

ويعيشون على الضوء الذي لا يبصرون

في بلادي..

حيث يحيا الناس من دون عيون.

حيث يبكي الساذجون

ويصلون..

ويزنون..

ويحيون اتكال

منذ أن كانوا..

يعيشون اتكال..

وينادون الهلال

« يا هلال:

أيها النبع الذي يمطر ماس

وحشيشا.. ونعاس

أيها الرب الرخامي المعلق

أيها الشيء الذي ليس يصدق

دمت للشرق.. لنا..

عنقود ماس..

للملايين التي قد عطلت فيها الحواس.. !!

-4-

في ليالي الشرق لما يبلغ البدر تمامه

يتعرى الشرق من كل كرامه

ونضال

فالملايين التي تركض من غير نعال

والتي تؤمن في أربع زوجات..

وفي يوم القيامة..

الملايين التي لا تلتقي بالخبز إلا في الخيال

والتي تسكن في الليل بيوتا من سعال

أبداً ما عرفت شكل الدواء..

تتردى جثثا تحت الضياء

في بلادي.. حيث يبكي الأغبياء



ويموتون بكاء

كلما طالعهم وجه الهلال

ويزيدون بكاء

كلما حركهم عود ذليل.. و«ليالي»

ذلك الموت الذي ندعوه في الشرق « ليالي ».. وغناء

في بلادي بلاد البسطاء

حيث نجتر التواشيح الطويلة[1]

ذلك السل الذي يفتك بالشرق.. التواشيح الطويلة

شرقنا المجتر تاريخا وأحلاما كسولة

وخرافات خوالي..

شرقنا الباحث عن كل بطولة

في أبي زيد الهلالي..



(1) التواشيح : الأغانى التى يغلب عليها الطابع الدينى .

جريمة شرف أمام المحاكم العربية

-1-

وفقدت يا وطني البكارة..

لم يكترث أحد..

وسجلت الجريمة ضد مجهول

وأرخيت الستارة..

نسيت قبائلنا أظافرها

تشابهت الأنوثة والذكورة في وظائفها..

تحولت الخيول إلى حجارة..

لم تبق للأمواس فائدة.. ولا للقتل فائدة

فإن اللحم قد فقد الإثارة.. !!

-2-

دخلوا علينا..

كأن عنترة يبيع حصانه بلفافتي تبغ.. [1]

وقمصان مشجرة..

ومعجون جديد للحلاقة..

كأن عنترة يبيع الجاهلية

دخلوا علينا..

كان أخوال القتيلة يشربون (الجن) بالليمون.. [1]

يصطافون في لبنان..

يرتاحون في أسوان..

يبتاعون من (خان الخليلي) الخواتم.. والأساور..

والعيون الفاطمية..

(1) عنترة : رمز للقوى العربية التى انهارت.

(1) الجن : أحد أنواع الخمر.

– 3 –

ما زال يكتب شعره العذري.. قيس

واليهود تسربوا لفراش ليلى العامرية

حتى كلاب الحي لم تنبح..

ولم تطلق على الزاني رصاصة بندقية

« لا يسلم الشرف الرفيع! »

ونحن ضاجعنا الغزاة ثلاث مرات..

وضيعنا العفاف.. ثلاث مرات..

وشيعنا المروءة بالمراسم.. والطقوس العسكرية[2]

« لا يسلم الشرف الرفيع ! »

ونحن غيّرنا شهادتنا.. وأنكرنا علاقتنا..

وأحرقنا ملفات القضية..

(2) شيعنا المروءة : ودعنا كل المعانى الجميلة.

-4-

الشمس تشرق مرة أخرى ..

وعمال النظافة يجمعون أصابع الموتى..

وألعاب الصغار..

الشمس تشرق مرة أخرى ..

وذاكرة المدائن مثل ذاكرة البغايا والبحار

الشمس تشرق مرة أخرى ..

وتمتلئ المقاهي مرة أخرى

ويحتدم الحوار:[1]

إن الجريمة عاطفية..

إن النساء جميعهن مغامرات..والشريعة عندنا ضد الضحية..

يا سادتي.. إن المخطط كله من صنع أمريكا.. وبترول الخليج

هو الأساس.. وكل ما يبقى أمور جانبية..

ملعونة أم السياسة.. نحن نحب أزنافور..

والوسكي بالثلج المكسر.. والعطور الأجنبية..

(1) يحتدم : يثور ويشتعل.

إن النساء بنصف عقل.. والشريعة عندنا ضد الضحية..

كل القوانين القديمة.. والحديثة.. عندنا ضد الضحية..

– 5 –

العالم العربي يبلع حبة (البث المباشر)

(يا عيني ع الصبر.. يا عيني عليه)

والعالم العربي..

يضحك لليهود القادمين إليه..

من تحت الأظافر..

– 6 –

يأتي حزيران ويذهب.. [1]

والفرزدق يغرز السكين في رئتي جرير.. [2]

(1) حزيران :شهر(يونيه). والمراد: هزيمة الخامس من يونيه.

(2) (الفرزدق)و(جرير):من شعراء صدر الإسلام .

والعالم العربي شطرنج..

وأحجار مبعثرة..

وأوراق تطير..

والخيل عطشى.. والقبائل تستجار ولا تجير..

(الناطق الرسمي يعلن أنه في الساعة الأولى

وخمس دقائق.. شرب اليهود الشاي في بيروت..

وارتاحوا قليلاً في فنادقها.. وعادوا سالمين..)

لا شيء مثل (الجن) بالليمون.. في زمن الحروب..

وأجمل الأثداء.. في اللمس.. المليء.. المستدير..

(الناطق الرسمي يعلن أنهم طافوا بأسواق

المدينة.. واشتروا صحفاً.. وتفاحاً.. وكانوا

يرقصون (الجيرك) في حقد.. ويغتالون كل الراقصين)

إن السويديات أحسن من يمارسن الهوى..

والجنس في ستوكهولم يشرب كالنبيذ على الموائد..

الجنس يقرأ في السويد مع الجرائد..

(الناطق الرسمي يعلن في بلاغ لاحق:

أن اليهود تزوجوا زوجاتنا..

ومضوا بهن.. فبالرفاه وبالبنين..)

– 7 –

العالم العربي غانية.. [1]

تنام على وسادة ياسمين

فالحرب من تقدير رب العالمين

والجبن من تقدير رب العالمين..

– 8 –

قررت يا وطني اغتيالك بالسفر..

وحجزت تذكرتي..

وودعت السنابل.. والجداول.. والشجر

وأخذت في جيبي تصاوير الحقول..

أخذت إمضاء القمر..

وأخذت وجه حبيبتي..

وأخذت رائحة المطر..

قلبي عليك.. وأنت يا وطني

تنام على حجر..

(1) الغانية : هى المرأة التى تمارس الحب بالمقابل المادي.

-9-

يا أيها الوطن المسافر في الخطابة..

والقصائد.. والنصوص المسرحية

يا أيها الوطن المصور في بطاقات السياحة..

والخرائط.. والأغاني المدرسية..

يا أيها الوطن المحاصر

بين أسنان الخلافة.. والوراثة.. والإماره

وجميع أسماء التعجب والإشارة

يا أيها الوطن الذى شعراؤه

يضعون – كي يرضوا السلاطين–

الرموش المستعاره!!. [1]

(1) المراد: منافقة الحكام وإرضاؤهم.

-10-

يا سيدي الجمهور.. إني مستقيل..

إن الرواية لا تناسبني.. وأثوابي مرقعة.. ودوري مستحيل

لم يبق للإخراج فائدة.. ولا لمكبرات الصوت فائدة..

ولا للشعر فائدة.. وأوزان الخليل[1]

يا سيدي الجمهور سامحني إذا ضيعت ذاكرتي..

وضيعت الكتابة والأصابع..

ونسيت أسماء الشوارع..

إني قتلتك أيها الوطن الممدد فوق أختام البريد..

وفوق أوراق الطوابع..

وذبحت خيلي المضربات عن الصهيل

إني قتلتك.. واكتشفت بأنني كنت القتيل..

يا سيدي الجمهور سامحني..

فدور مهرج السلطان دور مستحيل.. [2]



(1) هو الخليل بن أحمد الفراهيدى، واضع علم العروض (موسيقى الشعر).

(2) المراد : أنه يرفض أن يجثو عند قدمى السلطان كغيره.

الحاكم والعصفور

-1-

أتجول في الوطن العربي[1]

لأقرأ شعري للجمهور

فأنا مقتنع

أن الشعر رغيف يخبز للجمهور

وأنا مقتنع – منذ بدأت –

بأن الأحرف أسماك

وبأن الماء هو الجمهور..

(1) الصواب هو : أجول.. ولكن للوزن الشعرى ضرورات.

– 2 –

أتجول في الوطن العربي

وليس معي إلا دفتر..

يرسلني المخفر للمخفر.. [2]

يرميني العسكر للعسكر..

وأنا لا أحمل في جيبي إلا عصفورْ

لكن الضابط يو قفني

ويريد جوازا للعصفور

تحتاج الكلمة في وطني

لجواز مرور !!

(2) المخفر : المراد : الحارس.

– 3 –

أبقى مرميا ساعات..

منتظرا فرمان المأمور [1]

أتأمل في أكياس الرمل..

ودمعي في عيني بحور

وأمامي.. ارتفعت لافتة

تتحدث عن (وطن واحد)..

تتحدث عن (شعب واحد)..

وأنا.. كالجرذ.. هنا قاعد [2]

أتقيأ أحزاني ..

وأدوس جميع شعارات الطبشور

وأظل على باب بلادي

مرميا كالقدح المكسور.. !!

(1) الفرمان : القرار الصادر من الدولة.

(2) الجرذ : الفأر الصغير.

قصيدة اعتذار لأبي تمام

-1-

أحبائي:

إذا جئنا لنحضر حفلة للزار..

منها يضجر الضجر

إذا كانت طبول الشعر.. يا ساده

تفرقنا.. وتجمعنا

وتعطينا حبوب النوم في فمنا

وتسطلنا.. وتكسرنا.. [1]

كما الأوراق في تشرين تنكسر

فإني سوف أعتذر..

(1) تسطلنا : المراد تكسرنا.. والسطل فى اللغة (الوعاء المتوسط) وهو باللاتينية Situla وبالفارسية (ستل).

-2-

أحبائي:

إذا كنا سنرقص دون سيقان.. كعادتنا

ونخطب دون أسنان.. كعادتنا..

ونؤمن دون إيمان.. كعادتنا..

ونشنق كل من جاؤوا إلى القاعة

على حبل طويل من بلاغتنا..

سأجمع كل أوراقي..

وأعتذر..

-3-

إذا كنا سنبقى أيها السادة

ليوم الدين.. مختلفين حول كتابة الهمزة

وحول قصيدة نسبت إلى عمرو بن كلثوم..

إذا كنا سنقرأ مرة أخرى

قصائدنا التي كنا قرأناها..

ونمضغ مرة أخرى

حروف النصب والجر.. التي كنا مضغناها

إذا كنا سنكذب مرة أخرى

ونخدع مرة أخرى الجماهير التي كنا خدعناها

ونرعد مرة أخرى .. ولا مطر..

سأجمع كل أوراقي..

وأعتذر..

–4–

إذا كنا تلاقينا

لكي نتبادل الأنخاب.. أو نسكر..

ونستلقي على تخت من الريحان والعنبر [1]

إذا كنا نظن الشعر راقصة.. مع الأفراح تُستأجر

وفي الميلاد.. والتأبين تُستأجر

ونتلوه كما نتلو كلام الزير أو عنتر

إذا كانت هموم الشعر يا سادة

هي الترفيه عن معشوقة القيصر

(1) تخت من الريحان والعنبر : مقعد من الأغصان والعطر!!.

ورشوة كل من في القصر من حرس.. ومن عسكر..

إذا كنا سنسرق خطبة الحجاج.. والحجاج.. والمنبر..

ونذبح بعضنا بعضا لنعرف من منا أشعر

فأكبر شاعر فينا هو الخنجر..

– 5 –

أبا تمام.. أين تكون.. أين حديثك العطر؟

وأين يد مغامرة تسافر في مجاهيل.. وتبتكر..

أبا تمام..

أرملة قصائدنا.. وأرملة كتابتنا..

وأرملة هي الألفاظ والصور..

فلا ماء يسيل على دفاترنا..

ولا ريح تهب على مراكبنا

ولا شمس.. ولا قمر

أبا تمام دار الشعر دورته

وثار اللفظ.. والقاموس..

ثار البدو والحضر..

ومل البحر زرقته..

ومل جذوعه الشجر

ونحن هنا..

كأهل الكهف.. لا علم ولا خبر

فلا ثوارنا ثاروا..

ولا شعراؤنا شعروا..

أبا تمام لا تقرأ قصائدنا..

فكل قصورنا ورق..

وكل دموعنا حجر..

– 6 –

أبا تمام إن الشعر في أعماقه سفر

وإبحار إلى الآتي.. وكشف ليس ينتظر

ولكنا.. جعلنا منه شيئاً يشبه الزفة

وإيقاعا نحاسيا.. يدق كأنه القدر..

– 7 –

أمير الحرف.. سامحنا

فقد خنا جميعا مهنة الحرف

وأرهقناه بالتشطير.. والتربيع.. والتخميس.. والوصف

أبا تمام.. إن النار تأكلنا

وما زلنا نجادل بعضنا بعضا..

عن المصروف.. والممنوع من صرف..

وجيش الغاصب المحتل ممنوع من الصرف!!.

وما زلنا نطقطق عظم أرجلنا [1]

ونقعد في بيوت الله ننتظر..

بأن يأتي الإمام علي.. أو يأتي لنا عمر

ولن يأتوا.. ولن يأتوا..

فلا أحد بسيف سواه ينتصر..

(1) الطقطقة : صوت أرجل الخيل على الأرض الصلبة.. ولكن المراد — هنا — تحريك العظم أو ضغطه برفق خاصة عند الكسل أو الفراغ.

– 8 –

أبا تمام إن الناس بالكلمات قد كفروا

وبالشعراء قد كفروا..

فقل لي أيها الشاعر

لماذا شعرنا العربي قد يبست مفاصله [2]

من التكرار.. واصفرت سنابله..

وقل لي أيها الشاعر

لماذا الشعر – حين يشيخ –

لا يستل سكينًا.. وينتحر ؟؟

(2) يبست : جفت و تحجَّرت.

جمال عبد الناصر

-1-

قتلناك.. يا آخر الأنبياء

قتلناك..

ليس جديداً علينا

اغتيال الصحابة والأولياء

فكم من رسول قتلنا..

وكم من إمام ذبحناه وهو يصلي صلاة العشاء..

فتاريخنا كله محنة..

وأيامنا كلها كربلاء[1]

(1) كربلاء : إشارة للقتل والذبح ؛ فهى الموضع الذى قُتل فيه الحسين عند الكوفة بأرض العراق .

-2-

نزلت علينا كتاباً جميلا

ولكننا لا نجيد القراءة..

وسافرت فينا لأرض البراءة..

ولكننا ما قبلنا الرحيلا

تركناك فى شمس سيناء وحدك

تكلم ربك في الطور وحدك..

وتعرى.. وتشقى.. وتعطش وحدك..

ونحن هنا.. نجلس القرفصاء

نبيع الشعارات للأغبياء

ونحشو الجماهير تبنا.. وقشا..

ونتركهم يعلكون الهواء

– 3 –

قتلناك.. يا جبل الكبرياء

وآخر قنديل زيت

يضيء لنا.. في ليالي الشتاء

وآخر سيف من القادسية

قتلناك نحن بكلتا يدينا..

وقلنا: المنية

لماذا قبلت المجيء إلينا؟

فمثلك كان كثيرا علينا..

سقيناك سم العروبة.. حتى شبعت..

رميناك في نار عمان.. حتى احترقت

أريناك غدر العروبة.. حتى كفرت

لماذا ظهرت بأرض النفاق..

لماذا ظهرت؟

فنحن شعوب من الجاهلية

ونحن التقلب..

نحن التذبذب..

والباطنية..

نبايع أربابنا في الصباح

ونأكلهم.. حين تأتي العشية.. !!

– 4 –

وحين غسلنا يدينا..

اكتشفنا..

بأنا قتلنا منانا..

وأن دماءك فوق الوسادة..

كانت دمانا..

نفضت غبار الدراويش عنا [1]

أعدت إلينا صبانا

وسافرت فينا إلى المستحيل

وعلمتنا الزهو والعنفوانا.. [2]

---

(1) الدراويش : الفقراء الشحّاذون.. وهى كلمة فارسية الأصل.

(2) الزهو والعنفوان : الفخر والقوة.

ولكننا..

حين طال المسير علينا

وطالت أظافرنا.. ولحانا..

قتلنا الحصانا..

فتبت يدانا.. [1]

فتبت يدانا..

أتينا إليك بعاهاتنا

وأحقادنا.. وانحرافاتنا

إلى أن ذبحناك ذبحا

بسيف أسانا [2]

فليتك في أرضنا ما ظهرت..

وليتك كنت نبي سوانا..

---

(1) تبَّتْ : هلكتْ.

(2) أسانا : حتنا من (الأسى).

– 5 –

أبا خالد.. يا قصيدة شعر

تقال..

فيخضرّ منها المداد.. [3]

إلى أين؟

يا فارس الحلم تمضي..

وما الشوط.. حين يموت الجواد؟

إلى أين؟

كل الأساطير ماتت

بموتك.. وانتحرت شهرزاد..

وراء الجنازة.. سارت قريش

فهذا هشام..

وهذا زياد

وهذا.. يريق الدموع عليك

(3) المداد : الحبر.

وخنجره.. تحت ثوب الحداد

وهذا يجاهد في نومه..

وفي الصحو.. يبكي عليه الجهاد..

وهذا يحاول بعدك ملكا..

وبعدك..

كل الملوك رماد..

وفود الخوارج.. جاءت جميعا

لتنظم فيك ملاحم عشق..

فمن كفروك..

ومن خونوك..

ومن صلبوك بباب دمشق..

***

أنادي عليك.. أبا خالد

وأعرف أني أنادي بواد

وأعرف أنك لن تستجيب

وأن الخوارق ليست تعاد..



الهرم الرابع

-1-

السيد نام..

السيد نام..

السيد نام كنوم السيف العائد من إحدى الغزوات

السيد يرقد مثل الطفل الغافي في حضن الغابات

السيد نام..

وكيف أصدق أن الهرم الرابع مات؟

القائد لم يذهب أبداً

بل دخل الغرفة كي يرتاح

وسيصحو حين تطل الشمس

كما يصحو عطر التفاح

الخبز سيأكله معنا..

وسيشرب قهوته معنا..

ونقول له..

ويقول لنا..

القائد يشعر بالإرهاق..

فخلُّوه يغفو ساعات..

-2-

يا من تبكون على ناصر

السيد كان صديق الشمس..

فكفوا عن سكب العبرات

السيد ما زال هنا..

يتمشى فوق جسور النيل..

ويجلس في ظل النخلات

ويزور الجيزة عند الفجر

ليلثم حجر الأهرامات

يسأل عن مصر.. ومن في مصر..

ويسقي أزهار الشرفات

ويصلي الجمعة.. والعيدين..

ويقضي للناس الحاجات

ما زال هنا عبد الناصر

في طمي النيل.. وزهر القطن..

وفي أطواق الفلاحات..

في فرح الشعب..

وحزن الشعب..

وفي الأمثال وفي الكلمات..

ما زال هنا عبد الناصر

من قال الهرم الرابع مات؟

– 3 –

يا من يتساءل: أين مضى عبد الناصر؟

يا من يتساءل :

هل يأتي عبد الناصر؟

السيد موجود فينا..

موجود في أرغفة الخبز..

وفي أزهار أوانينا

مرسوم فوق نجوم الصيف..

وفوق رمال شواطينا.. [1]

موجود في أوراق المصحف..

في صلوات مصلينا..

موجود في كلمات الحب..

وفي أصوات مغنينا

موجود في عرق العمال..

وفي أسوان.. وفي سينا

مكتوب فوق بنادقنا..

(1) شواطينا : خففت الهمزة؛ للضرورة الشعرية.. والأصل : شواطئنا.

مكتوب فوق تحدينا

السيد نام.. وإن رجعت

أسراب الطير..

سيأتينا..



ملاحظات في زمن الحب والحرب

-1-

ألاحظتِ شيئا؟

ألاحظتِ أن العلاقة بيني وبينك.. في زمن الحرب

تأخذ شكلاً جديداً..

وتدخل طوراً جديداً..

وأنك أصبحت أجمل من أي يوم مضى..

ألاحظت كيف اخترقنا جدار الزمن؟

وصارت مساحة عينيك

هذا الوطن..

-2-

ألاحظت هذا التحول في لون عينيك؟

حين استمعنا معاً لبيان العبور..

ألاحظت .. كيف احتضنتك مثل المجانين..

كيف عصرتك مثل المجانين..

كيف رفعتك.. ثم رميتك..

ثم رفعتك.. ثم رميتك..

فاليوم عرس.. وتشرين سيد كل الشهور

ألاحظت .. كيف تجاوزت كل ضفافي؟

وكيف غمرتك مثل مياه النهور

ألاحظت .. كيف اندفعت إليك..

كأني أراك لأول مرة

ألاحظت كيف انسجمنا..

وكيف لهثنا..

وكيف عرقنا..

وكيف استحلنا رمادا..

وكيف بعثنا..

كأنا نمارس فعل الغرام

لأول مرة..

– 3 –

ألاحظت..

كيف تحررت من عقدة الذنب

كيف أعادت لي الحرب كل ملامح وجهي القديمة

أحبك في زمن النصر..

إن الهوى لا يعيش طويلا

بظل الهزيمة..

– 4 –

هل الحرب تنقذنا بعد طول الضياع؟

وتضرم أشواقنا الغافية[1]

فتجعلني بدوي الطباع

وتجعلك امرأة ثانية..

(1) تضرم أشواقنا الغافية : تشعل أشواقنا النائمة.

-5-

ألاحظت كيف اكتشفنا طفولتنا

بعد ست سنين؟

وكيف رجعنا أخيرا لمملكة العشق والعاشقين

أأحسستِ مثلي.. بأن رجال المظلات كانوا

يحطُّون مثل الحمام على راحتينا[2]

وأن جنود المغاوير كانوا يمرون فوق عروق يدينا..

ألاحظت كيف نثرنا عليهم

عقود البنفسج والياسمين؟

وكيف ركضنا إليهم ؟ [3]

وكيف انحنينا.. ؟

أمام بنادقهم خاشعين

ألاحظت كيف ضحكنا؟

وكيف بكينا؟

وكيف عبرنا الجسور مع العابرين.. ؟

(2) يحطون .. على راحتينا : يستقرون على يدينا.

(3) ركضنا : جرينا.

– 6 –

تركت عصور انحطاطي ورائي..

تركت عصور الجفاف

وجئت على فرس الريح والكبرياء

لكي أشتري لك ثوب الزفاف..

– 7 –

تصيرين فى زمن الحرب

مصقولة كالمرايا.. [1]

ومسحوبة كالزرافة

وبين يدينا تذوب الحدود

وتلغى المسافة

(1) مصقولة كالمرايا : لامعة كالمرايا.. والجمع الصحيح للمرآة هو (المراء).

– 8 –

قرأت خرائط جسمك في كتبي المدرسية

ولا زلت أحفظ أسماء كل النهور

وأشكال كل الصخور

وعادات كل البوادي

ولا زلت أحفظ أعمار كل الجياد

فكيف أفرق..

بين حرارة جسمك أنت..

وبين حرارة أرض بلادي؟؟

– 9 –

وجدنا أخيرًا.. حدود فمينا[1]

عثرنا على لغة للحوار

وكان حزيران يجلس فوق يدينا

ويحبسنا في كهوف الغبار

وكنت أحبك..

لكن ليل الهزيمة صادر مني النهار

(1) فمينا: مثنى (فم).

وكنت أريد الوصول إليك..

ولكنهم أنزلوني قبيل رحيل القطار

وكنت أفكر فيك كثيرا

وأحلم فيك كثيرا..

وكنت أهرِّب شعري إليك

برغم الحصار

ولكنهم أعدموني مرارا

وأرخوا عليّ الستار

ولكن برغم تعدد موتي

بقيت أحبك.. يا زهرة الجلنار

-10-

أحبك أنت..

وأكتب حبي على وجه كل غمامة

وأعطي مكاتيب عشقي

لكل يمامة

أحبك في زمن العنف..

من قال إني أريد السلامة

أحبك في زمن العنف..

من قال إنى أريد السلامة

أحبك.. يا امرأة من بلادي

وأنوي.. على شفتيك.. الإقامة

-11-

ألاحظت .. كم تشبهين دمشق الجميلة؟

وكم تشبهين المآذن.. والجامع الأموي.. ورقص السماح..

وخاتم أمي..

وساحة مدرستي..

وجنون الطفولة..

ألاحظت كم كنت أنثى ؟.

وكم كنت ممتلئا بالرجولة.

ألاحظت ..

كيف تألّق وجهك تحت الحرائق؟

وكيف دبابيس شعرك صارت بنادق؟

ألاحظت كيف تغير تاريخ عينيك في لحظات قليلة؟

فأصبحت سيفا بشكل امراة..

وأصبحت شعبا بشكل امراة..

وأصبحت كل التراث.. وكل القبيلة..

-12-

ألاحظت ؟

كم كنت رائعة الحسن.. ذاك المساء

وكيف جلست أمامي كعاصمة الكبرياء..

وكيف تغير إيقاع صوتك..

حتى تصورت صوتك ينبوع ماء

وزهرة دفلى

على شعر المجدلية..

ألاحظت أنك صرت دمشق..

بكل بيارقها الأموية

ومصر.. بكل مساجدها الفاطمية

وصرت حصونا.. وأكياس رمل..

ورتلا[1] طويلا من الشهداء

ألاحظت ..

أنك صرت خلاصة كل النساء

وصرت الكتابة والأبجدية..

(1) الرتل : المنسَّق.. وكأن الشهداء مصطفون متراصون.

-13-

أحبك عند اشتداد العواصف..

لا تحت ضوء الشموع.. ولا تحت ضوء القمر

وأُعلن للناس أني أعارض ضوء القمر

وأكره ضوء القمر..

أحبك حين تكون الشوارع مغسولة بدموع المطر..

وحين تصير بلون النحاس ثياب الشجر

أحبك مزروعة في عيون الصغار

ومسكونة بهموم البشر..

ومولودة من مياه البحار

وطالعة من ضمير الحجر

أحبك..

حين يسافر شعرك في الريح دون جواز سفر

وحين يغمغم نهدك كالذئب.. في لحظات الخطر (2)

فهل تعرفين عشيقا..

أحبك يوماً بهذا القدر ؟

(2) يغمغم: يقول كلاماً غير مفهوم.

-14-

وأحبك أيتها الغالية

أحبك أيتها الغالية..

أحبك مرفوعة الرأس مثل قباب دمشق..

ومثل مآذن مصر..

فهل تسمحين بتقبيل جبهتك العالية

وهل تسمحين بنسيان وجهي القديم؟

وشعري القديم؟

ونسيان أخطائي الماضية..

وهل تسمحين بتغيير ثوبك؟

إن حزيران مات..

وإني بشوق لرؤية أثوابك الزاهية

أحبك أكثر مما ببالك..

أكثر مما ببال البحار..

وبال المراكب

أحبك تحت الغبار..

وتحت الدمار..

وتحت الخرائب..

أحبك أكثر من أي يوم مضى..

لأنك أصبحت حبي المحارب..

بيروت محظيتكم (بيروت حبيبتي)

-1-

سامحينا.. إن تركناك تموتين وحيدة..

وتسللنا إلى خارج الغرفة نبكي كجنود هاربين

سامحينا..

إن رأينا دمك الوردي ينساب كأنهار العقيق

وتفرجنا على فعل الزنا..

وبقينا ساكتين..

– 2 –

آه..

كم كنا قبيحين.. وكنا جبناء..

عندما بعناك.. يا بيروت.. في سوق الإماء[1]

وحجزنا الشقق الفخمة في حي (الإليزيه) وفي

(ماي فير) لندن..

وغسلنا الحزن بالخمرة.. والجنس.. وقاعات القمار

وتذكرنا – على مائدة الروليت – أخبار الديار

وافتقدنا زمن الدفلى بلبنان.. [1]

وعصر الجلنار..

وبكينا مثلما تبكي النساء..

(1) سوق الإماء : المراد سوق العبيد.. ومفرد(إماء) هو (أَمَة).. والأَمَة عكس الحرة.

(1) الدفلى : نوع من الشجر الشديد الاخضرار.

-3-

آه.. يا بيروت..

يا صاحبة القلب الذهب

سامحينا..

إن جعلناك وقودا وحطب

للخلافات التي تنهش من لحم العرب

منذ أن كان العرب!!

-4-

طمئنيني عنك.. يا صاحبة الوجه الحزين

كيف حال البحر؟

هل هم قتلوه برصاص القنص مثل الآخرين؟ [2]

كيف حال الحب؟

هل أصبح أيضاً لاجئاً.. بين ألوف اللاجئين..

كيف حال الشعر؟

هل بعدك – يا بيروت – من شعر يغنى؟

ذبحتنا هذه الحرب التي من غير معنى..

(2) القنص: الصيد.

أفرغتنا من معانينا تماماً..

بعثرتنا في أقاصي الأرض..

منبوذين.. مسحوقين.. مرضى.. متعبين..

جعلت منا – خلافًا للنبوءاتً – يهوداً تائهين..

– 5 –

اصفحي.. سيدتي بيروت.. عنا

نحن لم نهجرك مختارين.. لكنا قرفنا.. [1]

من مراحيض السياسة.. [2]

ومللنا..

من ملوك السيرك.. والسيرك.. وغش اللاعبين

وكفرنا..

بالدكاكين التي تملأ أرجاء المدينة.. [3]

وتبيع الناس حقداً وضغينة..

وبطاطين.. وسجادا.. وبنزينا مهربْ..

آه يا سيدتي كم نتعذبْ..

عندما نقرأ أن الشمس في بيروت.. صارت

كرة في أرجل المرتزقين..

---

(1) قرفنا : كلمة فصيحة ؛ فالقرف هو الوباء .

(2) مراحيض : كلمة فصيحة.. فهى جمع (مرحاض).. والمرحاض : مكان الخلاء.

(3) الدكاكين : فصيحة أيضاً بمعنى (الحوانيت) أو المحال المعروفة.

– 6 –

ما الذي نكتب.. يا سيدتي؟

نحن محكومون بالموت.. إذا نحن صدقنا..

ثم محكومون بالموت.. إذا نحن كذبنا

ما الذي نكتب يا سيدتي؟

نحن لا نملك أن نحتج..

أو نصرخ..

أو نبصق..

أو نكشف عن خيبتنا..

أو نتمنى..

أخرستنا هذه الحرب التي من غير معنى..

-7-

طلبوا منا بأن ندخل في مدرسة القتل..

ولكنا رفضنا..

طلبوا أن نشطر الرب لنصفين..

ولكنا اختجلنا..

إننا نؤمن بالله..

لماذا جعلوا الله هنا.. من غير معنى؟

طلبوا منا بأن نشهد ضد الحب..

لكن ما شهدنا..

طلبوا منا.. بأن نشتم بيروت التي قمحا.. وحبا..

وحنانا.. أطعمتنا..

طلبوا..

أن نقطع الثدي الذي من خيره.. نحن رضعنا..

فاعتذرنا..

ووقفنا ضد كل القاتلين

وبقينا مع لبنان سهولا.. وجبالا..

وبقينا مع لبنان جنوبا.. وشمالا..

وبقينا مع لبنان صليبا.. وهلالا..

وبقينا مع لبنان الينابيع..

ولبنان العناقيد..

ولبنان الصبابة.. [1]

وبقينا مع لبنان الذي علَّمنا الشعر..

وأهدانا الكتابة

– 8 –

آه يا سيدتي بيروت..

لو جاء السلام..

ورجعنا.. كالعصافير التي ماتت من الغربة والبرد..

لكي نبحث عن أعشاشنا بين الحطام..

ولكي نبحث عن خمسين ألفًا..

قتلوا من غير معنى..

ولكي نبحث عن أهل وأحباب لنا

(1) الصبابة: الشوق الشديد.

ذهبوا من غير معنى..

وبيوت.. وحقول.. وأراجيح.. وأطفال ..

وألعاب.. وأقلام.. وكراسات رسم..

أحرقت من غير معنى..

آه.. يا سيدتي بيروت..

لو جاء السلام

ورجعنا..

كطيور البحر.. مذبوحين شوقا وحنينا

وبنا شوق إلى (منقوشة الزعتر).. والليل..

ومن كانوا يبيعون عقود الياسمين

فمن الجائز.. يا بيروت.. أن لا تعرفينا..

قد تغيرت كثيراً..

وتغيرنا كثيرا..

وكبرنا نحن – في عامين – آلاف السنين.. !!

-9-

احتملنا نفينا عشرين شهرا..

وشربنا دمعنا عشرين شهرا..

وبحثنا في زوايا الأرض عن عشق جديد

غير أنا ما عشقنا..

وشربنا الخمر من كل الدوالي..

غير أنا ما سكرنا..

وبحثنا عن بديل لك..

يا أعظم بيروت..

ويا أطيب بيروت..

ويا أطهر بيروت..

ولكن ما وجدنا..

ورجعنا..

نلثم الأرض التي أحجارها تكتب شعرا..

والتي أشجارها تكتب شعرا..

والتي حيطانها تكتب شعرا..

وأخذناك إلى الصدر..

حقولا.. وعصافير.. وكورنيشا.. وبحرا..

وصرخنا كالمجانين على سطح السفينة:

أنتِ بيروت..

ولا بيروت أخرى..



عزفٌ منفردٌ على الطبلة

(1)

الحاكمُ يَضْرِبُ بالطَبْلَة

وجميعُ وزارت الإعلام تَدُقُّ على ذاتِ الطبلَة

وجميعُ وكالاتِ الأنباء تُضَخِّمُ إيقاعَ الطَبْلَة

والصحفُ الكُبْرى.. والصُغْرَى

تعمل أيضاً راقصةً

في ملهى تملكهُ الدولَة!.

لا يُوجَدُ صَوْتٌ في المُوسيقى

أردأ من صَوْت الدولَة!!.

الطرب الرسمى يباع على العربات

مثلَ السَرْدينِ..

ومثل الخبز

ومثلَ الشاي..

ومثل حُبُوب الحَمْلِ..

ومثلَ حُبُوب الضَغْطِ..

ومثلَ غيار السيّاراتْ [1]

(2)

الكّذِبُ الرسميُّ يُبثُّ على كُلِّ الموجاتْ..

وكلامُ السلطة برَّاقٌ جدا..

كثيابِ الرقّاصاتْ..

لا أحد ينجُو من وصْفَات الحُكْمِ..

وأدويةِ السُّلْطَة..

فثلاثُ ملاعقَ قَبْلَ الأكلْ

وثلاث ملاعق بعد الأكل

وثلاثُ ملاعقَ قَبْلَ صلاة الظُهْرْ

(1) المراد : قطع غيار السيارات .

وثلاثُ ملاعقَ بَعْدَ صلاةِ العصرْ

وثلاثُ ملاعقَ.. قَبْلَ مراسيم التشييع.. [2]

وقبل دُخُول القبرْ..

هل ثمة قَهْر في التاريخ كهذا القهرْ ؟ [3]

الطَبْلةُ تخترقُ الأعصابَ..

فيا ربّي: أَلْهِمْنَا الصبرْ..

(3)

الدولة تحسن تأليف الكلمات

وتُجيدُ النَصْبَ.. تجيد الكَسْرَ.. تجيدُ الجرَّ..

لا يوجدُ شعرٌ أردأ من شِعْرِ الدولَة

لا يوجدُ كَذِبٌ أذكى من كَذِبِ الدولَة..

(2) مراسيم — هنا — بمعنى طقوس.. أو تقاليد .

(3) ثَمَّة : هناك.

صُحُفٌ.. أخبار.. تعليقاتْ

خُوَذٌ لامعةٌ تحت الشمسِ..

نجومٌ تبرق في الأكتافِ..

بنادقُ كاذبةُ الطَلَقَاتْ..

وطنٌ مشنوقٌ فوق حبال الأنتيناتْ

وطنٌ لا يعرفُ من تقنية الحرب سوى الكلماتْ

وطنٌ ما زالَ يذيعُ نشيدَ النَصْر على الأمواتْ..

(4)

الدولةُ منذ بداية هذا القرن تعيدُ تقاسيمَ الطبلَة

« العدل أساس الملك »

«الشُورى – بين الناس – أساسُ الملكْ»

«الشعبُ – كما نصَّ الدستورُ – أساسُ الملكْ»

يا رب الكون شبعنا من ضرب الطبلة

لا أحد يرقُصُ بالكلمات سوى الدولَة..

لا أحد يَزْني بالكلماتِ..

سوى الدولَة!!

«القَمْعُ أساسُ الملكْ»

«شَنْقُ الإنسان أساسُ الملكْ»

«حكمُ البوليس أساسُ الملكْ»

« تأليه الشخص أساس الملك » [1]

«تجديدُ البَيْعَة للحكَّام أساسُ الملكْ»

«وضْعُ الكلمات على الخَازُوقِ

أساسُ الملكْ.. »

طبلة.. طبلة

والسلطةُ تعرض فِتْنَتَها

وحُلاها في سوق الجملَة.. [2]

لا يوجد عُرْيٌ أقبحُ من عري الدولَة..

(1) تألية الشخص : الخضوع له.. وكأنه إله .. !!

(2) حُلاها : زينتها ؛ ذهب وخلافه .

(5)

طَبْلَة.. طَبْلَة..

وطنٌ عربي تجمعُهُ من يوم ولادته طبلَة.. !!

وتفرَقُ بين قبائله طبلَهْ.. !!

وأهلُ الذِكْر.. وقاضي البلدة..

أفراد الجوقة.. والعلماء.. وأهل الفكر..

يرتعشونَ على وَقْع الطَبْلَة..

الطَرَبُ الرسميُّ يجيء كساعاتِ الغفلَة

من كلِّ مكانْ..

والطرب النفطى يحاول تسويق الإنسان

سعرُ البرميلِ الواحدِ أغلى من سعر الإنسان .. !!

الطربُ الرسميُّ يعادُ كأغنية الشيطانْ

وعلينَا أن نهتزّ إذا غنَّى السلطانْ

ونصيحَ – أمام رجال الشرطة – آهْ..

آهٍ.. يا آهْ..

آهٍ.. يا آهْ

طرب مفروض بالإكراه

فَرَحٌ مفروضٌ بالإكراهْ

موتٌ مفروضٌ بالإكراهْ

آهٍ.. يا آهْ..

هل صار غناءُ الحاكم قُدْسيّا ؟؟!

... الله ؟؟!



وطنٌ بالإيجارْ

كل نهارٍ..

أجلِسُ عند صديقي الإيطاليِّ (رُوبِرتُو)

كل نهارْ..

أحملُ تخطيطاتِ الشعْرِ..

وآكُلها بَدَلَ الإفطارْ..

صار (رُوبِرتُو) يعرفُ وجهي

صارَ يقيسُ مساحةَ حُزني بالأمتارْ..

كل نهارٍ..

أمشي فوقَ الوَرَقِ اليابسِ..

كل نهارْ .

أتحدثُ في لغةِ الأعشابِ..

وأفهمُ إحساسَ الأشجار

كل نهارٍ..

أصنعُ أملاً من ألوان الطيفِ..

وأصنعَ شعبا من أزهارْ..

كل نهارٍ..

أنوي فيه ركوبَ البحرِ..

تقولُ الشرطةُ: لا إبحارْ

كل نهارٍ..

أبني وطنا أسكنُ فيهِ

فتجرفُهُ الأمطار..

كل نهارٍ..

ألبسُ ذاتَ المِعطَفِ..

أقطعُ ذاتَ الشارعِ..

أشغِلُ ذات المقعدِ..

أطلبُ ذاتَ القهوةِ..

أُشري صُحُفا من بُلدان الشرقِ الأوسطِ

لا أتحمسُ كي أفتحَها

فالأخبار هي الأخبار

في القرنِ الأولِ.. أو في القرنِ العاشرِ..

الأخبار هِيَ الأخبار..

كل نهارٍ..

أجلسُ عند صديقي الإيطاليِّ (رُوبِرتو)

كل نهارْ .

أطلُبُ قدحا من كونياك فرنْسَا [1]

أبلعُهُ سيفا من نارْ

أكتُبُ فوق الفوطَةِ شِعْرا

تبكي منهُ فتاةُ البارْ.. [2]

كل نهارٍ..

تجلسُ فوقَ سريري امراةٌ

(1) الكونياك : أحد أنواع الخمور.

(2) البار : الملهى الليلى.

تخطُفُها مِني الأقدار

كل امرأة تحملُ طفلا مني

يضربُها الإعصارْ

كل نهارٍ..

أكتبُ للحرية شعرا

يمنعُهُ حتى الأحرارْ..

يا سيدتي:

إن النملةَ تملكُ وطنا .

إن الدودةَ تملكُ وطنا .

إن الضِفدعَ يملكُ وطنا.

إن الفأرةَ تملكُ وطنا .

إن الأرنبَ يملكُ وطنا .

والسحليةَ.. والصَرصارْ .

وأنا ما ملكَني أحد وطنا.. !!

ولِذا.. أسكنُ يا سيدتي

وطنا بالإيجارْ.. !!



كتابات على جدار المنفى

(1)

يا سيدتي

كيف أصور هذا العصر اللا معقول..

نسيت الوصفا .

كنت أظن الكلمة بيتي

فإذا بهم. . سرقوا الباب . .

وسرقوا السقفا . .

سرقوا الورق الأبيض منّا..

سرقوا الحرفا .

ماذا نأكل ؟

ماذا نشرب ؟

كيف نعبر عن أنفسنا ؟

إنا نأكل – يا سيدتي – قمعا

إنا نشرب – يا سيدتي – خوفا

أين سنذهب يا سيدتي ؟

إن عبور الشارع خطر .

إن ركوب المصعد خطر

والسيارة خطر..

والدراجة خطر..

والطيارة خطر..

ليس هناك مكانٌ..

يجلس فيه الكاتب..

ليس هنالك مقهى..

نصف الجملة في الجبانة ..

نصف الفكرة في المستشفى..

(2)

يا سيدتي

ماذا يبقى من إنجيل الثورة..

حين تقرر قتل مغنيها ؟

ماذا يبقى من كلمات الثورة..

حين ستمضغ أكباد بنيها ؟

ماذا يبقى ؟

حين تخاف الدولة من رائحة الورد..

فتحرق كل مراعيها..

ماذا يبقى من فلسفة الثورة..

حين تخاف طلوع الشمس..

وتنتف ريش كناريها ؟.

ماذا يبقى ؟

ماذا يبقى ؟

ماذا يبقى ؟

حين تبول الثورة فوق كلام نبيها..

(3)

يا سيدتى

أطلب عفوك..

إن لم أكتب فى عينيك قصيدة شعر

إن العازف نسى العزفا

كيف أحبك.. يا سيدتى ؟

إن مباحث أمن الدولة..

تلقى القبض على الأحلام..

وترسل أهل العشق إلى المنفى..

(4)

يا سيدتى.. يا سيدتى

كنت قديما أقرأ جسمك

سطرًا سطرًا..

حرفًا حرفًا..

كنت قديما أشعل فى نهديك النار..

وأزر بينهما سيفا..

أما اليوم.. فأصبح شكل النهد..

يشابه أسوار المنفى..

يا سيدتى.. يا لؤلؤتى.. يا واحدتى .

كيف أمارس فعل الحب..

وطعم الجنس له طعم المنفى ؟؟

(5)

يا سيدتى

كيف أقاوم هذا العصر المملوكى..

وهذا الحقد النيرونى..

وهذا القتل المجانى..

وهذا العنفا ؟

كيف سأوقف هذا المدّ اللاقومى..

وهذا الفكر التجزيئى..

وهذا المطر الكبريتى..

وهذا النزفا ؟

كيف نعبر عن مأزقنا ؟

كيف نعبر عما يكسر فى داخلنا ؟

كيف سنتلو آي الذكر على جثتنا ؟

إن مباحث أمن الدولة تطلب منا

أن لا نضحك..

أن لا نبكى..

أن لا ننطق..

أن لا نعشق..

أن لا نلمس كف امراة..

أن لا ننجب ولدا..

أن لا نرسل أي خطاب

أن لا نقرأ أي كتاب

إلا عن أحوال الطقس.. وإلا عن أسرار الطبخ..

فتلك قوانين المنفى..

(6)

يا سيدتى

ماذا أفعل لو جاءتنى أمى فى الأحلام ؟

ماذا أفعل لو نادانى فل دمشق..

وعاتبنى تفاح الشام ؟

ماذا أفعل لو عاودنى طيف أبي ؟

فالتجأ القلب إلى عينيه الزرقاوين..

كسرب حمام..

يا سيدتى

كيف أقولك شعرا ؟

كيف أقولك نثرا؟

كيف أقولك.. يا سيدتى.. دون كلام ؟

(7)

يا سيدتى

كيف أبشر بالحرية..

حين الشمس تواجه حكما بالإعدام ؟

كيف سآكل من خبز الحكام..

وأولادى من غير طعام ؟

يا سيدتى

إنى رجل لم يتخرج من بارات السلطة..

فى أحد الأيام..

أو أشغلت وظيفة قرد..

بين قرود وزارات الإعلام !!

يا سيدتى

إني رجل لا أتوارى خلف حروفي

أو أتخبا تحت عباءة أي إمام..

يا سيدتي، لا تهتمي.

فأنا أعرف كيف أكون كبيراً

في عصر الأقزام..



القصيدةُ .. والغُولْ

(1)

في هذا الزمَنِ اللا معقُولْ

أصبحنا نجلسُ – حتى نكتُبَ –

بين شفاهِ الغُولْ [1]

ونغني.. بين عُبوسِ العبدِ الأسودِ..

والسيفِ المَسلُولْ..

لا نعرفُ في أي اللحَظَاتِ

ستُفصَلُ عنا رقْبتُنَا

وبأي لسانٍ سوفَ نقولْ..

---

(1) الغول : حيوان يُسمّى (السِّعلاة).. والجمع : غيلان وأغوال.

(2)

في هذا الزَمَنِ المُرعبِ.. صار الواحدُ منَّا

يخشى من أدواتِ الأمرِ..

ويخشى من لاءات النهى..

ويخشى من الفاعل والمفعول

فى هذا الزمن الأسود..

أصبح قول الشعر مغامرة نحو المجهول

لا يعرف فيها..

اسم القاتل.. من اسم المقتول..

(3)

فى الزمن اليابس

حيث تموت عصافير.. وحقول

وتموت من الإحباط خيول

فى زمن النصر الكاذب

حيث الحرب مزامير.. وطبول

فى زمن الحمل الكاذب..

والإعلام الكاذب..

والتمثيل على الشعب المقهور

في زمن الكذب على ذقن الجمهور..

في زمن

يرفض فيه الشاعر مسح الجوخ..

وسكب العطر على جسد المسؤول

لا يبقى أي خيار عند الشاعر

إلا القبر.. أو السيلول..

(4)

في هذا الزمن اللامعقول

لا بد لنا

لا بد لنا

لا بد لنا من قتل الغول..



ثورة الدجاج..

نحنُ دجاجُ القَيصرِ..

نأكلُ قمحَ الخوف..

ونشربُ من أمطار المِلحْ

كلَّ نهارٍ..

يأتينا البوليسُ قبيْل صلاة الصُّبحْ

يَستجوبُنا..

ويهّددُنا..

ويعلّقنا..

بين السيفِ.. وبين الرمحْ.

نحنُ دجاجُ القيصرِ..

يعلفُنا في فصل الصيفِ..

ويذبحُنا في عيد الفصحْ..



هناك بلادٌ..

هناكَ بلادُ تخافُ على نفسها

من هديلِ الحمامِ.. [1]

وقهقهةِ الريحِ بينَ الشَجرْ

وتستنفرُ الجيشَ

برا.. وبحرا.. وجوا..

لكي يستعدَّ لقتلِ القمرْ.. !!

هناكَ بلاد

تشرعُ أبوابها للبغايا

وترفضُ أن تمنحَ الشعر..

تأشيرةً للسفرْ..

هناك بلادُ.. يشيد السلاطينُ فيها

(1) الهديل : صوت الحمام .

ألوفَ الجوامعْ

ولا يقطعون فروضَ الصلاةِ..

ولكنهُمْ يقطعونَ الرقابَ

ويقتلعونَ الأصابع

هناكَ بلادٌ..

يخافُ الخليفة فيها على نفسهِ

من حوار المقاهي..

ومن قهقهاتِ التلاميذِ..

إذ يعبرونَ الشوارعْ.. !!!



نزار
ناقداً اجتماعياً







ما أجرأ الشاعر حينما يغوص في جسد مجتمعه.. وعيناه أشبه بكاميرا تلتقط الصور من هنا وهناك.. يتأمل.. ويدقق.. ويرصد كي يضع يده على مواطن الجرح.. ويحدد الشروخ التي أصابت ذلك الجسد.. فيدرك ما أصاب مجتمعه العربي من معايب ونواقص.. وكوارث فكرية ومزالق اجتماعية من شأنها أن تفجّر ذلك المجتمع العربي فوق براكين التخلف والرجوعية.. وتقذف به إلى آخر طابور الحضارات وأقصى بقاع الجنون.. !!

وقد استطاع نزار قباني أن ينقب مبحراً في عوالم المجتمعات العربية منطلقاً من خندق المرأة التي يرونها نصف المجتمع.. ويراها هو المجتمع كله.. ويمنحها مفتاح الثورة على من حجَّموها وقيدوها.. ولم يروا منها غير أنوثتها ومفاتنها..فهى كما يعتقدون أشهى ما يمكن طرحه فوق موائد الغرائز.. ولا أكثر .. !!

وفى ذلك يقول نزار:

ثوري

أحبك أن تثوري

ثوري على شرق السبايا والتكايا

والبخور

ثوري على التاريخ وانتصري على الوهم الكبير

لا ترهبي أحدا

فإن الشمس مقبرة النسور

ثوري على شرق يراك وليمة فوق السرير !!

صدق نزار.. فما أكثر الذين يؤمنون بأن المرأة لا فرق بينها وبين الدجاجة التي تُقدم لأحدهم في غرفته عند العشاء.. !! ونزار قباني وإن كانت منطلقاته الفكرية محصورة – في غالب الأمر – بين أوراق النساء – فإنه استطاع بذكاء الشاعر المثقف الواعي أن يمنح المرأة أدوارًا أخرى غير الدور الأنثوي.. فكما رأينا أنها كانت من الممكن أن تمثل عنده منطلقاً سياسيًّا يتكئ عليه كما هو الحال – مثلاً – في قصيدته (جميلة بوحيرد).. وفي رائعته (بلقيس).. وأغنيته (25 وردة في شعر بلقيس) فإن المرأة عنده تمثل منطلقا اجتماعيا مهما يكاد أن يشكّل كل ملامح القصيدة الاجتماعية النزارية التي أرى أن كتابه الشعري الثامن من الجزء الأول بأعماله الشعرية الكاملة الذي أورده تحت عنوان (يوميات امرأة لا مبالية) – أرى – أنه يمثل المساحة العريضة من شعره الاجتماعي فها هو يشهر قلمه في وجوه الآباء المستبدين ببناتهم.. فيقول :

لماذا يستبدُّ أبي ؟

ويرُهقني بسُلطتهِ..

وينظرُ لي كآنيةٍ

كسطرٍ في جريدتِهِ

ويحرصُ أن أظلَّ له

كأني بعض ثروتهِ

وأن أبقى بجانبهِ

ككرسيّ بحجرته..

أيكفي أني ابنتُهُ

وأني من سلالتِهِ

أيُطعمني أبي خبزاً؟

أيغمرني بنعمتِهِ ؟

كفرتُ أنا.. بمال أبي

بلؤلؤةِ.. بفضتَّه..

أبي.. لم ينتبهْ يوماً

إلي جسدي.. وثورتِهِ

أبي رجلّ أنانيٌّ

مريضٌ في محبتَّهِ

مريض في تعنتهِ..

يثورُ.. إذا رأي صدري

تمادى في استدارتِهِ

يثورُ.. إذا رأى رجلاً

يقربُ من حديقته..

أبي لَنْ يمنعَ التُفَّاحَ عن إكمالِ دَوْرتِهِ

سيأتي ألفُ عصفورٍ

ليسرقَ من حديقتهِ.. !!

ومن الأب المتعصب الذي يقهر ابنته.. ويخبئها في جيوب ممتلكاته الخاصة إلى صرخة في وجه المجتمع العربي الذي لا يرى فرقا بين الحب وتهريب المخدرات.. وبين العشق والمدمن فيشبّ أبناؤه وقد أصيب كل منهم بالازدواجية في التفكير.. والتناقض في الشعور حتى صرنا نحن العرب نلعن جسد المرأة العاري في العلن.. وحينما يخلو كل منا إلى نفسه تهرع عيناه إلى صورة امرأة عارية يخبئها فى جيب خصوصياته!!

فما أجرأ.. وما أذكى ذلك الشاعر الذي وضع أيادينا على مواطن عيوبنا في صراحة ووضوح شديدين.. فيقول :

لماذا.. في مدينتنا ؟

نعيشُ الحبَّ تهريبا.. وتزويرا ؟

ونسرقُ من شقوقِ الباب موعدنَا..

ونستعطي الرسائلَ..

والمشاويرا..

لماذا في مدينتنا ؟

يصيدونَ العواطفَ والعصافيرا..

لماذا نحن قصديرٌ ؟

وما يبقى من الإنسان ..

حين يصيرُ قصديرا ؟

لماذا نحن مُزْدَوجونَ

إحساسا.. وتفكيرا ؟

لماذا نحن أرضيُّونَ..

تحتيُّونَ..

نخشى الشمسَ والنورا ؟

لماذا أهل بلدتنا ؟.

يمزِّقهم تناقُضُهُمْ..

ففي ساعاتِ يقظتهمْ

يسبُّونَ الضفائرَ والتنانيرا.. [1]

وحينَ الليلُ يطويهمْ

يضمُّونَ التصاويرا.. !!!

ومن الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي تصدى لها الشعر النزاري اختلاف المناظير الاجتماعية في الحكم على مرتكبي الخطأ الواحد بأحكام متباينة.. وقد أشرنا إلى ذلك من قبل عندما ذكرنا أنه من التخلف الاجتماعي أن نفرق بين الرجل والمرأة من حيث الحكم عليهما عند ارتكاب الخطأ.. فالرجل العاشق هو (فلانتينو) زمانه.. أما المرأة العاشقة فلا أقل من أن تسلخ أمام العيون.. والرجل السكّير رجل حكيم ذو خبرات (دار.. ولفّ كثيرًا وفهم الدنيا).. أما المرأة السكّيرة فهي ليست ابنة ستين فى سبعين فحسب.. بل هي ابنة تسعين في ألفين.. !!

ومن أوضح القصائد التي تعالج ذلك التناقض الفكري على المستوى الاجتماعي قصيدته التي أوردناها سابقا.. والتي قال فيها:

(1) التنورة فى بلاد الشام هى ما يعادل (الفستان) أو (الجيبة) فى مصر.

يعودُ أخي من الماخُور..

عند الفجر سكرانا..

يعودُ كأنَّهُ السُّلطانُ..

مَنْ سمَّاهُ سُلطْانا ؟.

ويبقى في عيون الأهل

أجملنا.. وأغلانا..

ويبقى – في ثياب العُهْرِ –

أطهرنَا.. وأنقَانَا.

يعودُ أخي من الماخُور..

مثلَ الديكِ.. نشوانا..

فسبحانَ الذي سَوَّاهُ من ضوءٍ..

ومن فحمٍ رخيصٍ.. نحن سوّانا..

وسبحانَ الذي يمحو خطاياهُ

ولا يمحو خطايانا..

وهاهي الفتاة العربية منتظرة فارسها القادم.. ولا تجرؤ على التصريح ولا – حتى التلميح – برغبتها في حلمها بما هو حق مشروع لها.. فلا يمكن أن تقر بتعليل حقيقي.. لوقوفها في شبابيك الانتظار.. أو لاهتمامها بنفسها وجمالها وأنوثتها.. فكبّلت كل أحلامها.. وقيدت كل طموحاتها وسجنت آمالها في زنزانة الخوف إلى أن جاء فارس القصيدة العربية نزار قباني يعبر عنها في جرأته المعتادة.. فيقول :

متى يأتي تُرى بَطَلي ؟

لقد خَّبأتُ في صدري

لهُ.. زوجاً من الحَجَلِ

وقد خبَّأتُ في ثغري

لهُ.. كوزًا من العَسلِ..

متى يأتي على فَرَسٍ

لهُ.. مجدولةِ الخُصَلِ

ليخطفَني..

ليكسرَ بابَ مُعْتقَلي

فمنذ طفولتي وأنا..

أمدُّ على شبابيكي..

حبالَ الشوقِ والأملِ..

وأجدلُ شعريَ الذهبيَّ كي يصعَدْ..

على خُصُلاتهِ.. بطلي..

على أن هذا لا يعني أن الشاعر يدعونا إلى الإباحية.. ولكن الأمر بوضوح يحتاج إلى أن يعي العرب المخاوف التي تتسلّق أجسادهم.. وتعنكب حول رقاب نسائهم.. علَّهم يدركون السبيل إلى معالجتها فلا يمكن مثلاً للدجّالين الذين يتخفون في ثياب الطهارة.. ويتنكرون وراء جلباب الدين أي دين لا يمكن لهم أن يلعقوا نساءنا.. ويشربوهن باسم الدين تحت ضغط اشتهائهم نساء رعاياهم.. ذلك المرض الاجتماعى الخطير الذى تفشّى هنا وهناك في بقاع الأراضي العربية.. فاستل نزار خنجر شعره.. وهبّ يقاوم أمثال أولئك المردة المنحطين الذين لا يرون الدنيا إلا من تحت نظّارة الجنس وحده.. ليكشف عنهم النقاب.. ويعرفنا أنهم – مجتمعين – لن يستطيعوا أن ينجبوا لنا طفلا ممسوخًا.. فيقول :

أقمنا نصفَ دنيانا على حِكَمٍ وأمثالِ

وشيَّدنا مزاراتٍ.. لألفٍ.. وألفِ دجالِ..

وكالبَبْغاءِ.. رددنا مواعظَ ألفِ مُحتالِ..

قصدنا شيخَ حارتنا.. ليرزقَنَا بأطفال

فأدخَلنَا لحجرتِهِ

وقام بنزع جُبَّتِهِ

وباركَنَا.. وضاجعنا

وعند الباب.. طالَبَنَا

بدفع ثلاث ليراتٍ لصنع حجابه البالي..

وعُدْنا مثلما جئنا

بلا وَلدٍ.. ولا مالِ.. !!

وكان الجهل الاجتماعي من أبرز المشكلات التي عالجتها قصيدة نزار الاجتماعية.. فحينما تكون ثقافتنا أكذوبة.. وكل حياتنا ما هي إلا وهم ممتد من المهد إلى اللحد فلا شك أننا سنفتقر إلى كيفية التعامل مع أطفالنا وزوجاتنا وجيراننا.. فإن الجهل الاجتماعي والثقافة المدّعاة كليهما جسر يعبره العربي إلى التخلف.. وبراثين الخطايا.

يقول نزار قباني :

ثقافُتنا..

فقاقيعُ من الصابونِ والوحْلِ..

فما زالتْ بداخلنا

رواسبُ من (أبي جَهْلِ)..

وما زلنا

نعيشُ بمنطق المفتاحِ والقفْلِ..

نلفُّ نساءَنا بالقُطْنِ.. ندفنهنَّ في الرملِ .

ونملكهنَّ كالسُّجَّادِ..

كالأبقارِ في الحقلِ

ونهزأ من قواريرٍ

بلا دينٍ ولا عَقْلِ..

ونرجعُ آخرَ الليلِ..

نمارسُ حقَّنا الزوجيُّ كالثيرانِ والخَيْلِ..

نمارسُهُ خلالَ دقائق خمسٍ

بلا شوقٍ.. ولا ذوقٍ..

ولا مَيْلِ..

نمارسُهُ.. كآلاتٍ

تؤدي الفعْلَ للفِعْلِ..

ونترُكُهُنَّ وَسْطَ النارِ..

وَسْطَ الطينِ والوحْلِ

قتيلاتٍ بلا قَتْلِ

بنصفِ الدرب نتركهنَّ..

يا لفظاظة الخَيْلِ.. !!

ومن النواقص الاجتماعية التي تغلغلت في كثير منا أن هناك من ضاقت بهم السبل.. فاختصروا كل حياتهم في لحظة جنس.. فليست الحياة – كما يرون – إلا زوجة أو أربع زوجات.. أما جميع الأبعاد الحياتية الأخرى من طموحات ومساعٍ واجتماعيات وسياسات.. بل ودين فجميعها لا مكان لها على ساحة تفكيرهم.. أو شاطئ أحلامهم.. ذلك أن أولئك الذين أغلقوا كل احتياجاتهم الإنسانية – كما يرى نزار – أغلقوها على المخدع والزواج والطلاق والشفة والساق والعنق والمضجع ما هم إلا مجموعة من نزلاء عنبر 15 بمستشفى بهمان بحلوان ـ كما أرى أنا ـ فيقول فيهم شاعرنا المختار:

قَضيْنا العُمْرَ في المخدَعْ

وجيشُ حريمنا مَعَنا

وصكُّ زواجنا مَعَنا

وصكُّ طلاقنا مَعَنا..

وقلنا: الله قد شَرَّعْ

ليالينا موزَّعةُ

على زوجاتنا الأربَعْ..

هُنا شفة.. هُنا ساق..

هُنا ظفرُ.. هُنا إصبعْ

كانَّ الدينَ حانوتُ

فتحناهُ لكي نشبعْ..

تمتَّعنا « بما أيمانُنا ملكتْ»

وعِشْنا في غرائزنا بمستنقعْ

وزوَّرنا كلامَ الله بالشكل الذي ينفَعْ

ولم نخجل بما نصنَعْ

عبثنا في قداستِهِ

نسينا نُبْلَ غايتِهِ..

ولم نذكر سوى المضجَعْ

ولم نأخذْ

سوء زوجاتنا الأربَعْ..

فإذا كان المفكر الغربي (سيجموند فرويد) رائد التحليل النفساني في القرن العشرين يرى أن الجنس هو محرك الكون فقد أتاه رائد الشعر العربي.. ليضع يده وآيادينا معه على التوظيف السليم للجنس.. والرؤية المسالمة له.. وعلى أسباب تحوله إلى غول لا يحرك الكون.. بل يدمره حتى إن هناك الكثيرين يبدون وكأنهم مصابون بذعر جنسى.. فلا يسمع أحدهم صوت وقع أقدام امرأة قادمة من ورائه إلا ويضاجعها – فى خياله – قبل وصولها !!

وقد رد الشاعر الناقد نزار هذا المرض إلى أساسه الصحيح.. وهو النشأة من حيث التعليم والتربية نشأة تحرّم مجرد التفوّه بكلمة تتعلق بالجنس من قريب أو بعيد.. وكأنهم يريدون أن يفصلوا أجسادنا عن أرواحنا.. فقيّدوا كل أحاسيسنا وشوّهوها.. فكان أمرًا طبيعيا أن نرى العالم عندما نكبر مجرد امرأة عارية.. ! فلو مثلاً كسرت رأس أحدهم فلن تجد فيه سوى ملابس داخلية لامرأة مجهولة !!

يقول نزار :

حينَ كُنَّا.. في الكتاتيبِ صغارا

حَقَنونا.. بسخيفِ القولِ.. ليلاً ونهارا

درَّسُونا :

(رُكْبَةُ المرأة عَوْرَة..)

(ضِحْكَةُ المرأة عَوْرَة..)

(صوتُها..

– من خلف ثُقْبِ الباب – عَوْرَة)

صَوَّروا الجنسَ لنا..

غولاً.. بأنيابٍ كبيرَة..

يخنقُ الأطفالَ..

يقتاتُ العذارى..

خوَّفونا.. من عذاب الله إن نحن عشِقنْا

هَدَّدونا.. بالسكاكين.. إذا نحن حَلُمنا..

فنشأنا.. كنباتاتِ الصحارَي..

نلعقُ الملحَ.. ونستافُ الغُبَارا

يومَ كانَ العلمُ في أيامنا

فَلقةً تُمْسِكُ رجلَيْنا وشيخا.. وحصيرا..

شوَّهونا..

شوَّهوا الإحساسَ فينا والشُعُورا..

فصلوا أجسادنا عنَّا..

عُصُوراً.. وعُصُورا..

صوَّروا الحبَّ لنا.. بابًا خطيرا

لو فتحناهُ.. سقطنا ميتينْ

فنشأنا ساذجينْ

نحسبُ المرأة .. شاةً أو بعيرا

ونرى العالَمَ.. جنسا وسريرا.. !!

ولا يفوتنا – ونحن في معرض الحديث عن نزار.. ودوره النقدي الاجتماعي كشاعر – أن نبرهن على ذكائه الإبداعي.. باستطاعته أن يقدم للقارئ العربي إبداعات شعرية تعالج أخطر قضايا المجتمعات العربية التى تهددها الفتن الطائفية.. فتشعل النار فى جسد العلاقات بين الطوائف المختلفة على المستوى الدينى.. فحسن التعامل يجب أن يكون مع من يدينون بدينك ومن يدينون بدين آخر.. اللهم إلا إذا كنت متمسلما لا مسلما.. أو متمسيحا لا مسيحيا.

يقول نزار قباني :

خرجتُ اليومَ للشُرْفَة..

على الشباكِ.. جارتُنا المسيحيْة

تُحيّيني..

فرِحتُ لأن إنساناً يُحييني

لأنَّ يداً صباحيَّةْ

يداً كمياهِ تشرينِ..

تُلوِّحُ لي.. تناديني..

أيا ربّي !

متى نشفي.. هُنا..

من عُقدةِ الدينِ..

أليسَ الدينُ.. كل الدينِ..

إنساناً يُحييني..

ويفتحُ لي ذراعيهِ..

ويحملُ غصنَ زيتونِ.. ؟!

وهكذا الحال – أيضاً – حينما يتكئ نزار قباني في قصيدة واحدة على منطلقي القيم الاجتماعية والقيم السياسية في رائعته (الحب والبترول[1]) التي عالج فيها المرض الاجتماعي المتفشي- بين العرب الذين لا يترددون لحظة في بيع بناتهم إلى تجار النفط.. بل ويزوِّرون في شهادات ميلادهم ليلتفوا على القوانين التي تضبط مثل هذه الزيجات دون أن ينسى نزار الأبعاد السياسية التي تأتي بأمير عربي عجوز من تربته – أقصد من بلدته – ليتزوج بمن هى في سن حفيدات إحدى بناته ناسيا العرب والعروبة دون أن تتحرك شعرة واحدة في رأسه عندما يرى الطلقات النارية تمزق جسد طفل لم يفلح حضن أبيه ولا ذراعاه الملتفان حوله – لم يفلحا – في إنقاذه **!!**

يقول نزار قباني :

متى يا أيها المُتْخَم ؟

متى تفهَمْ ؟

بأني لستُ من تَهْتَمْ

بناركَ أو بجنَّاتِكْ

مِنَ الذَهَبِ المكدَّسِ بين راحاتِك

وأن مناخَ أفكاري غريبٌ عن مناخاتِكْ

أيا مَنْ تخجلُ الصحراءُ حتَّى من منادتِكْ

مَتَى تَفْهَمْ ؟

تَمرغْ يا أميرَ النفط.. فوق وُحُولِ لذَّاتِكْ

---

(1) البترول : كلمة لاتينية الأصل ؛ بمعنى : (زيت الصخر) .

كَممْسَحةٍ.. تمرَّغْ في ضلالاتكْ

لكَ البترُول.. فاعصُرْه على قدميْ خليلاتِكْ

كهوفُ الليل في باريسَ.. قد قَتَلتْ مروءاتِكْ

على أقدام مومسةٍ[1] هناكَ.. دفنتَ ثاراتِكْ

فبِعْتَ القُدْسَ.. بِعْتَ الله.. بِعْتَ رمادَ أمواتِكْ

كأنَّ حرابَ إسرائيل لم تُجْهض شقيقاتِكْ

ولم تهدُمْ منازلنا.. ولم تُحْرق مصاحفنا

ولا راياتُها ارتفعت على أشلاء راياتِكْ

كأنَّ جميعَ من صُلبوا..

على الأشجار.. في يافا.. وفي حيفا

وبئْرِ السَبْعِ.. ليسُوا مِنْ سلالاتِكْ

تَغُوصُ القدسُ في دمها..

تنامُ.. كأنما المأساةُ ليستْ بعضَ مأساتِكْ

---

(1) المومسة : هي المرأة التى تأكل من عرق فخديها .

مَتَى تفهم؟.

متى يستيقظ الإنسان في ذاتِكْ ؟

ولا أدعي أنني عرضت لكل الشعر النقدي الاجتماعي الذي طرحه نزار قباني على مسامع العرب.. فما هي إلا شذرات حاولت أن أبرهن بها على مدى اتساع الطاقة الإبداعية التي كانت تسكن رجلا كنزار قباني أملا أن تضيف المختارات التالية من شعره النقدي الاجتماعي جوانب أخرى غير هذه الأبعاد التي استخلصتها في هذه السطور.



محاكمة غير شرعية

إذا كانتْ مكاتيبي الغراميَّةْ

تُشكّلُ أي عدوانٍ على أحدٍ..

إذا كانتْ مكاتيبي الغراميَّةْ

بثورتِها..

وجُرأتِها..

ونَبْرتها الطفوليةْ

ستقلبُ حَولكِ الدنيا

وتقتلُ ألفَ درويش..

وتُشعِلُ ألفَ معركةٍ صليبيةْ..

فلا تستغربي أبدا..

أيا عصفورِ الصيف الرماديةْ

إذا أبصرتِ أوراقي..

معلّقة على بوابة المدن النحاسية

فإن الحب تحكمه سيوفُ الانكشاريةْ [38]

فهذا العصر يؤمنُ بالأزاهير الصناعيةْ

ولا تبكي عليَّ إذا أدانوني

وقالوا عن كتاباتي : إباحية

فكلُّ محاكم العشَّاق في وطني

محاكمُ غيرُ شرعيةْ

***

ولا تستغربي أبدا..

إذا اغتالوا أزاهيري..

فهذا العصر يؤمنُ بالأزاهير الصناعيةْ

ولا تبكي عليَّ إذا أدانوني

وقالوا عن كتاباتي: إباحيةْ

فكلُّ محاكم العشَّاق في وطني

محاكمُ غيرُ شرعيةْ..



(38) الانكشارية : أحد المذاهب السياسية الطاغية.

إلى الأمير الدمشقي توفيق قباني
(1949-1973)

-1-

مكسرة كجفون أبيك هي الكلمات..

ومقصوصة.. كجناح أبيك.. هي المفردات

فكيف يغني المغني؟

وقد ملأ الدمع كل الدواة..

وماذا سأكتب يا ابني؟

وموتك ألغى جميع اللغات..

-2-

لأي سماء نمد يدينا؟

ولا أحد في شوارع لندن يبكي علينا..

يهاجمنا الموت من كل صوب..

ويقطعنا مثل صفصافتين

فاذكر.. حين أراك.. عليا

وتذكر حين تراني.. الحسين

-3-

أشيلك.. يا ولدي.. فوق ظهري

كمئذنة كسرت قطعتين..

وشعرك حقل من القمح تحت المطر..

ورأسك في راحتي وردة دمشقية.. وبقايا قمر

أواجه موتك وحدي..

وأجمع كل ثيابك وحدي

وألثم قمصانك العاطرات..

ورسمك فوق جواز السفر

وأصرخ مثل المجانين وحدي

وكل الوجوه أمامي نحاس

وكل العيون أمامي حجر

فكيف أقاوم سيف الزمان؟

وسيفي انكسر..

.. ..

.. ..

.. ..

–4–

سأخبركم عن أميري الجميل

سأخبركم عن أميري الجميل

عن الكان مثل المرايا نقاء.. ومثل السنابل طولا.. [39]

ومثل النخيل..

وكان صديق الخراف الصغيرة.. كان صديق العصافير

كان صديق الهديل..

سأخبركم عن بنفسج عينيه..

هل تعرفون زجاج الكنائس؟

(39) الكان: المراد، الذي كان. وكأن ثورة الشاعر لموت ابنه صارت ثورة على قوانين اللغة هي الأخرى.

هل تعرفون دموع الثريات حين تسيل.. [40]

وهل تعرفون نوافير روما؟

وحزن المراكب قبل الرحيل

سأخبركم عنه..

كان كيوسف حسنا.. وكنت أخاف عليه من الذئب

كنت أخاف على شعره الذهبي الطويل

وأمس أتوا يحملون قميص حبيبي

وقد صبغته دماء الأصيل[41]

فما حيلتي يا قصيدة عمري؟

إذا كنت أنت جميلا..

وحظي جميلا..

---

(40) الثريات : جمع (الثريا)، وهو أحد الكواكب.

(41) الأصيل : مابين العصر والمغرب.

– 5 –

لماذا الجرائد تغتالني؟

وتشنقني كل يوم بحبل طويل من الذكريات

أحاول أن لا أصدق موتك..

كل التقارير كذب..

وكل كلام الأطباء كذب.

وكل الأكاليل فوق ضريحك كذب.. [42]

وكل المدامع والحشرجات.. [43]

أحاول أن لا أصدق أن الأمير الخرافي توفيق مات..

وأن الجبين المسافر بين الكواكب مات..

وأن الذي كان يقطف من شجر الشمس مات..

وأن الذي كان يخزن ماء البحار بعينيه مات..

فموتك يا ولدي نكتة.. وقد يصبح الموت أقسى النكات

(42) الضريح : القبر.

(43) الحشرجات : تردد صوت النفس عند الموت.

-6-

أحاول أن لا أصدق ها أنت تعبر جسر الزمالك..

ها أنت تدخل كالرمح نادي الجزيرة..

تلقي على الأصدقاء التحية..

تمرق مثل الشعاع السماوي بين السحاب وبين المطر..

وها هي شقتك القاهرية.. هذا سريرك.. هذا مكان

جلوسك.. ها هي لوحاتك الرائعات..

وأنت أمامي بدشداشة القطن.. تصنع شاي الصباح..

وتسقي الزهور على الشرفات..

أحاول أن لا أصدق عيني..

هنا كتب الطب ما زال فيها بقية أنفاسك الطيبات

وها هو ثوب الطبيب المعلق يحلم بالمجد والأمنيات

فيا نخلة العمر.. كيف أصدق أنك ترحل كالأغنيات

وأن شهادتك الجامعية يوما.. ستصبح صك الوفاة!!

-7-

أتوفيق.. [44]

لو كان للموت طفل.. لأدرك ما هو موت البنين

ولو كان للموت عقل..

سألناه كيف يفسر موت البلابل والياسمين

ولو كان للموت قلب.. تردد في ذبح أولادنا الطيبين

أتوفيق يا ملكي الملامح.. يا قمري الجبين..

صديقات بيروت منتظرات..

رجوعك يا سيد العشق والعاشقين..

فكيف سأكسر أحلامهن؟

وأغرقهن ببحر الذهول

وماذا أقول لهن حبيبات عمرك.. ماذا أقول ؟

(44) أتوفيق: الهمزة للنداء، يا توفيق.

-8-

أتوفيق..

إن جسور الزمالك ترقب كل صباح خطاك

وإن الحمام الدمشقي يحمل تحت جناحيه دفء هواك

فيا قرة العين.. كيف وجدت الحياة هناك؟

فهل ستفكر فينا قليلا؟

وترجع في آخر الصيف حتى نراك..

أتوفيق..

إني جبان أمام رثائك..

فارحم أباك..



أبي ..

أمات أبوك؟

ضلال.. أنا لا يموت أبي

ففي البيت منه..

روائح رب.. وذكرى نبي

هنا ركنه.. تلك أشياؤه

تفتق عن ألف غصن صبي [1]

جريدته.. تبغه.. متكاه[2]

كأن أبى.. بعد.. لم يذهب..

وصحن الرماد.. وفنجانه [3]

على حاله.. بعدُ.. لم يشرب

ونظارتاه.. أيسلو الزجاج[4]

---

(1) تفتق : المراد : تتفتح .

(2) تبغه : دخانه . ومتكاه : تخفيف من (متكأه)؛ أى المكان الذى كان يتكئ فيه (يجلس فيه متكئاً).

(3) صحن الرماد : المراد : المطفأة .

(4) أيسلو الزجاج عيونا : كيف ينسى زجاج النظارة عيون أبى ؟!

عيونا.. أشف من المغرب

بقاياه.. في الحجرات الفساح

بقايا النسور على الملعب

أجول الزوايا عليه.. فحيث[45]

أمر.. أمر على معشب

أشد يديه.. أميل عليه

أصلي على صدره المتعب

أبي.. لم يزل بيننا.. والحديث

حديث الكؤوس على المشرب

يسامرنا.. فالدوالي الحبالى[46]

توالد من ثغره الطيب..

أبى.. خبرًا كان من جنة

ومعنى من الأرحب الأرحب[47]

(45) أجول الزوايا عليه : أفتش فى الأماكن عنه .

(46) يسامرنا : يساهرنا . والدوالى الحبالى : الدوالى : نوع من العنب لونه أسود به بعض الاحمرار.. ووصفه (بالحبالى) يفيد مدى امتلاء عناقيده بالثمار .

(47) الأرحب: الأكثر اتساعاً .

وعينا أبى.. ملجأ للنجوم

فهل يذكر الشرق عينى أبي؟

بذاكرة الصيف من والدي

كروم.. وذاكرة الكوكب

أبى.. يا أبى.. إن تاريخًا طيبًا

وراءك يمشي.. فلا تعتب

على اسمك نمضي.. فمن طيب

شهي المجاني إلى أطيب

حملتك في صحو عينى حتى

تهيأ للناس أني أبى..

أشيلك حتى بنبرة صوتي [48]

فكيف ذهبت.. ولا زلت بي؟

إذا فلة الدار أعطت لدينا

ففي البيت ألف فم مذهب

فتحنا لتموز أبوابنا[49]

ففي الصيف.. لا بد.. يأتي أبي



(48) أشيلك : كلمة تبدوعامية.. ولكنها فصيحة من الفعل (شال)؛ بمعنى (رفع) .

(49) أحد الشهور السريانية

الحب والبترول ..

متى تفهم؟

متى يا سيدي تفهم؟

بأني لست واحدة كغيري من صديقاتك

ولا فتحًا نسائيًّا يضاف إلى فتوحاتك

ولا رقمًا من الأرقام يعبر في سجلاتك

متى تفهم؟

***

متى تفهم؟

أيا جملاً من الصحراء لم يُلجم

ويا من يأكل الجدري منك الوجه والمعصم

بأني لن أكون هنا.. رماداً في سيجاراتك

ورأسا بين آلاف الرءوس على مخداتك

وتمثالًا تزيد عليه في حمى مزاداتك

ونهدًا فوق مرمره.. تسجل شكل بصماتك

متى تفهم؟

متى تفهم؟

بأنك لن تخدرني.. بجاهك أو أماراتك

ولن تتملك الدنيا.. بنفطك وامتيازاتك

وبالبترول يعبق من عباءاتك

وبالعربات تطرحها على قدمى عشيقاتك

بلا عدد.. فأين ظهور ناقاتك ؟

وأين الوشم فوق يديك.. أين ثقوب خيماتك ؟

أيا متشقق القدمين.. يا عبد انفعالاتك

ويا من صارت الزوجات بعضاً من هواياتك

تكدِّسهن بالعشرات فوق فراش لذاتك !!

تحنِّطهن كالحشرات في جدران صالاتك !!

متى تفهم؟

متى يا أيها المتخم[1]؟

متى تفهم؟

بأني لست من تهتم

(1) المتخم : من التخمة نتيجة كثرة الطعام .

بنارك أو بجناتك

وأن كرامتي أكرم..

من الذهب المكدس بين راحاتك

وأن مناخ أفكاري غريب عن مناخاتك

أيا من فرخ الإقطاع في ذرات ذراتك

ويا من تخجل الصحراء حتى من مناداتك

متى تفهم؟

تمرغ يا أمير النفط.. فوق وحول لذاتك

كممسحة.. تمرغ في ضلالاتك

لك البترول.. فاعصره على قدمى خليلاتك

كهوف الليل في باريس.. قد قتلت مروءاتك

على أقدام مومسة هناك.. دفنت ثاراتك[1]

فبعت القدس.. بعت الله..[2] بعت رماد أمواتك

كأن حراب إسرائيل لم تجهض شقيقاتك

ولم تهدم منازلنا.. ولم تحرق مصاحفنا

ولا راياتها ارتفعت على أشلاء راياتك

كأن جميع من صلبوا..

(1) المومسة التى تأكل من عرق فخذيها.. فتبيع جسمها نظير المال .

(2) بعت الله : وإن كان هذا التعبير يؤخذ على نزار إلا أن المراد به : بعت الحق والسلام والعدل والخير والقداسة ..إلخ .

على الأشجار.. في يافا.. وفي حيفا..

وبئر السبع.. ليسوا من سلالاتك

تغوص القدس في دمها..

وأنت صريع شهواتك

تنام.. كأنما المأساة ليست بعض مأساتك

متى تفهم؟

متى يستيقظ الإنسان في ذاتك؟

تريدين ...

تردين مثل جميع النساء..

كنوز سليمان..

مثل جميع النساء

وأحواض عطر

وأمشاط عاج

وسرب إماء[1]

تريدين مولى..

يسبح باسمك كالببغاء

يقول: (أحبك) عند الصباح

يقول: (أحبك) عند المساء

ويغسل بالخمر رجليك..

يا شهرزاد النساء..

(1) سرب إماء : جماعة من الخادمات أو الوصيفات

تريدين مثل جميع النساء

تريدين مني نجوم السماء

وأطباق منٍّ.. [1]

وأطباق سلوى.. [2]

وخفين من زهر الكستناء..

تريدين.. من شنغهاي الحرير..

ومن أصفهان جلود الفراء..

ولست نبيًّا من الأنبياء ..

لألقي عصاي..

فينشق بحر..

ويولد بين الغمائم قصر

جميع حجارته من ضياء.. !!

***

(1) المنّ : شراب حلو أنزله الله على شجر بنى إسرائيل.

(2) السلوى : فى القرآن هو طائر شهى الطعم يرجح أنه طائر (السمان).. وفى غير القرآن فإن (السلوى) هو : العسل .

تريدين مثل جميع النساء..

مراوح ريشٍ

وكحلا.. وعطرا..

تريدين عبدًا شديد الغباء

ليقرأ عند سريرك شعرًا.. [3]

تريدين في لحظتين اثنتين

بلاط الرشيد وإيوان كسرى.

وقافلة من عبيد وأسرى

تجر ذيولك.. يا كليوبترا.. !!

ولست أنا..

سندباد الفضاء..

لأحضر بابل بين يديك

وأهرام مصر.. وإيوان كسرى

وليس لدى سراج علاء

لآتيك بالشمس فوق إناء..

كما تتمنى.. جميع النساء..

***

(3) المراد : مصباح علاء الدين .

وبعد..

أيا شهرزاد النساء..

أنا عامل من دمشق.. فقير

رغيفي أغمسه بالدماء..

شعوري بسيط.. وأجرى بسيط

وأومن بالخبز والأولياء..

وأحلم بالحب كالآخرين..

وزوج تخيط ثقوب ردائي..

وطفل ينام على ركبتي

كعصفور حقل.. كزهرة ماء..

أفكر بالحب كالآخرين..

لأن المحبة مثل الهواء..

لأن المحبة شمس تضيء..

على الحالمين وراء القصور..

على الكادحين.. على الأشقياء..

ومن يملكون سرير حرير

ومن يملكون سرير بكاء..

***

تريدين مثل جميع النساء..

تريدين مثل جميع النساء..

تردين ثامنة المعجزات..

وليس لدي..

سوى كبريائي.. !!





خمس رسائل إلى أمي

-1-

صباح الخير.. يا حلوة..

صباح الخير.. يا قديسي الحلوة..

مضى عامان يا أمي

على الولد الذي أبحر

برحلته الخرافية..

وخبَّأ في حقائبه..

صباح بلاده الأخضر

وأنجمها.. وأنهرها.. وكل شقيقها الأحمر.. [1]

وخبأ في ملابسه

طرابينا من النعناع والزعتر.. [2]

وليلكة دمشقية..

(1) الشقيق أو الشقائق : نوع من الأزهار الحمراء ذات النقاط السوداء اشتهر النعمان بن المنذر أحد ملوك العرب باقتنائها .

(2) طرابيناً : المراد : أوعية أو عُلب أو مجموعات.

– 2 –

أنا وحدي..

دخان سجائري يضجر

ومني مقعدي يضجر

وأحزاني عصافير.. تفتش بعد عن بيدر

عرفت نساء أوروبا..

عرفت عواطف الأسمنت والخشب

عرفت حضارة التعب..

وطفت الهند.. طفت السند..

طفت العالم الأصفر..

ولم أعثر..

على امرأة تمشط شعري الأشقر

وتحمل في حقيبتها إلي عرائس السكر

وتكسوني إذا أعرى

وتنشلني إذا أعثر[1]

أيا أمي.. أنا الولد الذي أبحر..

(1) أعثر : أقع فى الخطأ.

ولا زالت بخاطره

تعيش عروسة السكر

فكيف.. فكيف.. يا أمي

غدوت أبا.. ولم أكبر؟![1]

-3-

صباح الخير من مدريد..

ما أخبارها الفلة؟

بها أوصيك يا أماه

تلك الطفلة الطفلة..

فقد كانت أحب حبيبة لأبى.

يدللها كطفلته..

ويدعوها إلى فنجان قهوته..

ويسقيها.. ويطعمها

ويغمرها برحمته..

ومات أبي..

ولا زالت تعيش بحلم عودته

وتبحث عنه في أرجاء غرفته..

(1) غدوت: أصبحت.

وتسأل عن عباءته..

وتسأل عن جريدته..

وتسأل حين يأتي الصيف عن فيروز عينيه

لتنثر فوق كفيه..

دنانيرا من الذهب..

– 4 –

سلامات.. سلامات..

إلى بيت سقانا الحب والرحمة..

إلى أزهارك البيضاء..

فرحة (ساحة النجمة)..

إلى تختي.. إلى كتبي[1]

إلى أطفال حارتنا..

وحيطان ملأناها بفوضى من كتابتنا..

(1) تختى : هو الوعاء الذى يحفظ فيه الثياب (الدولاب) .

إلى قطط كسولات

تنام على مشارقنا.. [2]

وليلكة معرشة على شباك جارتنا..

مضى عامان.. يا أمي

ووجه دمشق..

عصفور يخربش في جوانحنا..

يعض على ستائرنا..

وينقرنا.. برفق.. من أصابعنا..

مضى عامان يا أمي..

وليل دمشق.. فل دمشق..

دور دمشق.. [1]

تسكن في خواطرنا..

مآذنها.. تضيء على مراكبنا..

كأن مآذن الأموي قد زرعت بداخلنا

كأن مشاتل التفاح تعبق في ضمائرنا.

كأن الضوء والأحجار ..

جاءت كلها معنا..

(2) مشارفنا : المشارف هى أعالى الأرض ولكن المقصود : الشرفات (النوافذ) ؛فالوزن هو الذى غافل نزار قبانى.. ودفعه لاستخدام (المشارف) بدلاً من الشرفات .

(1) دور : بيوت . والمفرد : دار .

– 5 –

أتى أيلول أماه.. [2]

وجاء الحزن يحمل لي هداياه

ويترك عند نافذتي

مدامعه وشكواه

أتى أيلول أين دمشق؟

أين أبي وعيناه؟

وأين حرير نظرته.. وأين عبير قهوته

سقى الرحمن مثواه..

وأين رحاب منزلنا الكبير . وأين نعماه؟

وأين مدارج الشمشير.. تضحك في زواياه؟

وأين طفولتي فيه..

أجرجر ذيل قطته..

وآكل من عريشته

وأقطف من (بنفشاه)

(2) أيلول: أحد الشهور السريانية.

دمشق. دمشق.

يا شعرًا ..

على حدقات أعيننا كتبناه..

ويا طفلاً جميلاً

من ضفائره صلبناه

جثونا عند ركبته

وذبنا في محبته

إلى أن في محبتنا قتلناه..



يوميات امرأة لا مبالية

(1)

على دفتر

سأجمع كل تاريخي

على دفتر

سأرضع كل فاصلة

حليب الكلمة الأشقر

سأكتب. هذه الأسطر

فحسبي أن أبوح هنا[1]

لوجه البوح.. لا أكثر

حروف لا مبالية[2]

أبعثرها.. على دفتر.. [3]

---

(1) أبوح :أعترف وأفضي بسري.

(2) لا مبالية : غير مهتمة.

(3) أبعثرها : أنثرها.



بلا أمل بأن تبقى

بلا أمل بأن تنشر

لعلّ الريح تحملها

فتزرع في تنقلها

هنا جرجًا من الزعتر

هنا كرمًا.. هنا بيدر[1]

هنا شمسًا .. وصيفًا رائعًا أخضر

حروف سوف أفرطها كقلب الخوخة الأحمر

لكل سجينة.. تحيا

معي في سجني الأكبر

حروف سوف أغرزها بلحم حياتنا.. خنجر

لتكسر في تمردها

جليدًا كان لا يكسر..

لتخلع قفل تابوت

(1) البيدر : القمح.

أعد لنا لكي نقبر..

كتابات.. أقدمها لأية مهجة تشعر

سيسعدني.. إذا بقيت

غدًا.. مجهولة المصدر

(2)

أنا أنثى..

أنا أنثى

نهار أتيت للدنيا

وجدت قرار إعدامي

ولم أر باب محكمتي

ولم أر وجه حكامي.. !!

(3)

عقارب هذه الساعة

كحوت أسود الشفتين يبلعني..

عقاربها.. كثعبان على الحائط

كمقصلة كمشنقة [1]

كسكين تمزقني..

كلص مسرع الخطوات

يتبعني.. ويتبعني..

لماذا لا أحطمها

وكل دقيقة فيها تحطمني..

أنا امرأة.. بداخلها

توقف نابض الزمن

فلا نوار أعرفه

ولا نيسان يعرفني..

(1) المقصلة : إحدى أدوات الإعدام.



(4)

أنا بمحارتي السوداء..

ضوء الشمس يوجعني

وساعة بيتنا البلهاء

تعلكني.. وتبصقنى.. [1]

مجلاتي مبعثرة..

وموسيقاي تضجرني.

مع الموتى.. أعيش أنا

مع الأطلال والدمن[2]

جميع أقاربي موتى..

بلا قبر ولا كفن..

أبوح لمن؟ ولا أحد

من الأموات يفهمني

أثور أنا على قدري

على صدأي.. على عفني..

(1) العلكة : (اللبانة) التى تمضغها الفتاة غالباً . والمراد بقوله : «تعلكنى» : تمضغنى.

(2) الأطلال : آثار الديار؛ وهى رمز لبقايا الذكريات القديمة . أما الدمن فهى آثار الناس أنفسهم.

وبيت كل من فيه

يعاديني ويكرهني..

نوافذه

ستائره

تراب الأرض يكرهني

أدق بقبضتي الأبواب..

والأبواب ترفضني

بظفري.. أحفر الجدران

أجلدها وتجلدني..

أنا في منزل الموتى..

فمن من قبضة الموتى؟.

يحررني؟.

(5)

لمن صدري أنا يكبر؟

لمن.. تفاحة أزهر؟

لمن؟

صحنان صينيان.. من صدف ومن جوهر[1]

لمن؟ قدحان من ذهب..

وليس هناك من يسكر ؟

لمن شفة منادية؟

تجمَّد فوقها السكر

أللشيطان.. للديدان.. للجدران لا تقهر؟

أربيها.. وضوء الشمس أسقيها

سنابل شعري الأشقر..

(1) (تفاحة — صحنان صينيان — قدحان من ذهب) : أى : نهديها .

(6)

خلوت اليوم ساعات إلى جسدى..

أفكر في قضاياه

أليس له هو الثاني قضاياه؟

وجنته وحماه؟

لقد أهملته زمنًا

ولم أعبأ بشكواه

نظرت إليه في شغف[1]

نظرت إليه من أحلى زواياه

لمست قبابه البيضاء..

غابته.. ومرعاه

أنا لوني حليبي

كأن الفجر قطره وصفاه

أسفت لأنه جسدي

أسفت على ملاسته

وثرت على مصممه.. وعاجنه.. وناحته

(1) شغف : اهتمام وشوق وانشغال .

رثيت له..

لهذا الطفل ليس تنام عيناه

نزعت غلالتي عني

رأيت الظل يخرج من مراياه

رأيت النهد كالعصفور.. لم يتعب جناحاه

تحرر من قطيفته..

ومزق عنه « تفتاه»

حزنت أنا لمرآه..

لماذا الله كوَّره.. ودوَّره.. وسوَّاه؟

لماذا الله أشفاني بفتنته.. وأشقاه؟

وعلَّقه بأعلى الصدر

جرحًا.. لست أنساه

(7)

لماذا يستبد أبى؟

ويرهقني بسلطته..

وينظر لي كآنية

كسطر في جريدته

ويحرص أن أظل له

كأني بعض ثروته

وأن أبقى بجانبه

ككرسي بحجرته..

أيكفي أنني ابنته

وأني من سلالته

أيطعمني أبي خبزًا ؟

أيغمرني بنعمته؟

كفرت أنا.. بمال أبي

بلؤلؤه.. بفضته..

أبي.. لم ينتبه يوماً

إلى جسدي.. وثورته

أبى رجل أناني

مريض في محبته

مريض في تعصبه

مريض في تعنته..

يثور.. إذا رأى صدري

تمادى في استدارته

يثور.. إذا رأى رجلاً

يقرِّب من حديقته..

أبي لن يمنع التفاح عن إكمال دورته

سيأتي ألف عصفور

ليسرق من حديقته.. !!

(8)

على كراستي الزرقاء.. أستلقي بحرية

وأبسط فوقها ساقي في فرح وعفوية

أمشط فوقها شعري

وأرمي كل أثوابي الحريرية

أنام. أفيق عارية..

أسير.. أسير حافية

على صفحات أوراقي السماوية

على كراستي الزرقاء..

أسترخي على كيفي..

وأهرب من أفاعي الجنس

والإرهاب.. والخوف..

وأصرخ ملء حنجرتي

أنا امرأة.. أنا امرأة..

أنا إنسانة حية

أيا مدن التوابيت الرخامية[50]

على كراستي الزرقاء..

تسقط كل أقنعتي الحضارية..

ولا يبقى سوى نهدي

تكوم فوق أغطيتي كشمس استوائية..

ولا يبقى سوى جسدي

يعبر عن مشاعره بلهجته البدائية..

ولا يبقى.. ولا يبقى..

سوى الأنثى الحقيقية..

(50) أي : مدن الموتي الذين لا يشعرون بقضاياي .

(٩)

أحب طيور تشرين [51]

تسافر.. حيثما شاءت

وتأخذ في حقائبها

بقايا الحقل من لوز.. ومن تين

أنا أيضاً..

أحب أكون مثل طيور تشرين

أحب أضيع مثل طيور تشرين..

فحلو أن يضيع المرء..

بين الحين والحين..

أريد البحث عن وطن..

جديد.. غير مسكون

ورب لا يطاردني

وأرض لا تعاديني.

أريد أفر من جلدي..

(51) تشرين : أحد الشهور السريانية.

ومن صوتي.. ومن لغتي.وأشرد مثل رائحة البساتين

أريد أفر من ظلي

وأهرب من عناويني..

أريد أفر من شرق الخرافة والثعابين..

من الخلفاء.. والأمراء..

من كل السلاطين..

أريد أحب. مثل طيور تشرين..

أيا شرق المشانق والسكاكين..

(10)

صباح اليوم فاجأني..

دليل أنوثتي الأول[52]

كتمت تمزقي..

وأخذت أرقب روعة الجدول

وأتبع موجة الذهبي..

(52) المراد : أنها أصبحت أنثى.

أتبعه ولا أسأل

هنا.. أحجار ياقوت

وكنز لآلي مهمل

هنا.. نافورة جذلى[53]

هنا.. سفن من التوليب..

ترجو الأجمل الأجمل..

هنا.. جرح ولا مقتل

أأخجل منه ؟!

هل بحر بعزة موجة يخجل؟

أنا للخصب مصدره

أنا يده

أنا المغزل..

(53) جذلى : فرحانة.

(11)

أسائل دائما نفسي:

لماذا لا يكون الحب في الدنيا؟

لكل الناس.. كل الناس..

مثل أشعة الفجر..

لماذا لا يكون الحب مثل الخبز والخمر؟.

ومثل الماء في النهر..

ومثل الغيم.. والأمطار

والأعشاب.. والزهر..

أليس الحب للإنسان

عمرا داخل العمر؟..

لماذا لا يكون الحب في بلدي؟

طبيعيا..

كأية زهرة بيضاء..

طالعة من الصخر..

طبيعيا..

كلُقيا الثغر بالثغر..

ومنسابا كما شعري على ظهرى..

لماذا لا يحب الناس.. في لين وفي يسر؟.

كما الأسماك في البحر..

كما الأقمار في أفلاكها تجري..

لماذا لا يكون الحب في بلدي؟

ضروريًّا..

كديوان من الشعر..

(12)

أفكر: أينا أسعد؟

أنا.. أم قطنا الأسود؟

أنا؟

أم ذلك الممدود.. سلطانًا على المقعد؟

سعيداً تحت فروته..

كرب.. مطلق.. مفرد..

أفكر: أينا حر

ومن منا طليق اليد

أنا أم ذلك الحيوان

يلحس فروة الأجعد؟

أمامي كائن حر..

يكاد.. للطفه.. يُعبد

لهذا القط.. عالمه

لهُ طُرر.. له مسند[54]

له في السطح مملكة

ورايات له تُعقد..

له حرية.. وأنا

أعيش بقمقم موصد[55]..

(54) طُرر: جمع (طر) وهي المكان المخصص أو الشق المحدد.

(55) (القمقم): وعاء نحاسي ضيق الرأس. (وموصد): مقفول، والمراد بقوله: «أعيش بقمقم موصد»: أعيش سجيناً.

(13)

أنا نهداي في صدري

كعصفورين.. قد ماتا من الحر

كقديسين شرقيين متهمين بالكفر..

كم اضطهدا.. وكم جلدا

وكم رقدا على الجمر..

وكم رفضا مصيرهما

وكم ثارا على القهر..

وكم قطعا لجامهما

وكم هربا من القبر..

متى سيفك قيدهما.. ؟

متى؟ يا ليتني أدري..

(14)

نزلت إلى حديقتنا..

أزور ربيعها الراجع

عجنت ترابها بيدي..

حضنت حشيشها الطالع..

رأيت شجيرة الدراق..

تلبس ثوبها الفاقع

رأيت الطير محتفلا..

بعودة طيره الساجع[56]

رأيت المقعد الخشبى

مثل الناسك الراكع[57]

سقطت عليه باكية

كأني مركب ضائع..

أحتى الأرض يا ربي؟

تعبر عن مشاعرها

---

(56) طيره الساجع : المراد : طيره الذي يغني.

(57) الناسك الراكع : المراد : المتعبد.

بشكل بارع.. بارع

أحتى الأرض يا ربي؟

لها يوم.. تحب به..

تبوح به.. تضم حبيبها الراجع.. !!

***

رفوف العشب من حولي..

لها سبب.. لها دافع

فليس الزنبق [58] الفارع

وليس الحقل.. ليس النحل..

ليس الجدول النابع

سوى كلمات هذي الأرض..

غير حديثها الرائع..

أحس بداخلي بعثًا

يمزق قشرتي عني

ويسقي جذري الجائع

ويدفعني لأن أعدو..

(58) الزنبق : دهن الياسمين. والمراد بالزنبق الفارع : الياسمين الطالع.

مع الأطفال في الشارع

أريد.. أريد أن أعطي

كأية زهرة في الروض

تفتح جفنها الدامع

كأية نحلة في الحقل

تمنح شهدها النافع

أريد.. أريد أن أحيا

بكل خلية مني

مفاتن هذه الدنيا..

بمخمل ليلها الواسع

وبرد شتائها اللاذع

أريد.. أريد أن أحيا..

بكل حرارة الواقع..

بكل حماقة الواقع..

(15)

أبي. صنف من البشر..

مزيج من غباء الترك..

من عصبية التتر..

أبي.. أثر من الآثار..

تابوت من الحجر..

تهرأ كل ما فيه..

كبابِ كنيسة نخر..

كهارون الرشيد أبي..

جواريه.. مواليه..

تمطيه على تخت من الطرر

ونحن هنا..

سباياه.. ضحاياه

مماسح قصره القذر..

(16)

أغطُّ الحرف بالجرح [59]

وأكتب فوق جدران..

من الكبريت والملح..

وأبصق فوق أوثان..

عواطفها من الملح..

وأعينها

ومنطقها من الملح..

(17)

لماذا.. في مدينتنا؟

نعيش الحب تهريبًا .. وتزويرًا ؟

ونسرق من شقوق الباب موعدنا..

ونستعطي الرسائل..

والمشاويرا..

لماذا في مدينتنا؟

يصيدون العواطف والعصافيرا..

(59) أغط الحرف بالجرح : أغمس الحرف في جرحي.

لماذا نحن قصدير؟

وما يبقى من الإنسان ..

حين يصير قصديرا ؟

لماذا نحن مزدوجون

إحساسا.. وتفكيرا؟

لماذا نحن أرضيون..

تحتيون..

نخشى الشمس والنورا؟

لماذا أهل بلدتنا؟.

يمزقهم تناقضهم..

ففي ساعات يقظتهم

يسبون الضفائر والتنانيرا [60]..

وحين الليل يطويهم

يضمون التصاويرا.. !!

(60) التنانير : بلغة بلاد الشام : (الفساتين) ،ونحوها من ملابس المرأة .

(18)

يعود أخي من الماخور..

عند الفجر سكرانا..

يعود كأنه السلطان..

من سماه سلطانا؟..

ويبقى في عيون الأهل

أجملنا.. وأغلانا..

ويبقى في ثياب العهر

أطهرنا.. وأنقانا.

يعود أخي من الماخور..

مثل الديك.. نشوانا..

فسبحان الذي سواه من ضوء..

ومن فحم رخيص.. نحن سوانا..

وسبحان الذي يمحو خطاياه

ولا يمحو خطايانا..

***

(١٩)

خرجت اليوم للشرفة..

على الشباك.. جارتنا المسيحية

تحييني..

فرحت لأن إنسانا يحييني

لأن يدًا صباحية

يدًا كمياه تشرين[61]..

تلوِّح لي.. تناديني..

أيا ربي!

متى نشفى.. هنا..

من عقدة الدين.. ؟!

أليس الدين.. كل الدين..

إنسانًا يحييني..

ويفتح لي ذراعيه..

ويحمل غصن زيتون.. ؟!

(61) تشرين: أحد الشهور السريانية.

(20)

تخيف أبي مراهقتي..

يدق لها..

طبول الذعر والخطر..

يقاومها..

يقاوم رغوة الخلجان[62]

يلعن جرأة المطر..

يقاوم دونما جدوى..

مرور النسغ [63] في الزهر

أبى يشقى..

إذا سألت رياح الصيف عن شعري

ويشقى أن رأى نهدي

يرتفعان في كبر..

ويغتسلان كالأطفال ..

تحت أشعة القمر..

(62) المراد بكل من (رغوة الخلجان) و(جرأة المطر) — هنا — هو : تفجُّر أنوثتها.

(63) النسغ : الإثمار والنبات.

فما ذنبي وذنبهما ؟

هما مني.. هما قدري..

(21)

سماء مدينتي تمطر

ونفسي مثلها.. تمطر

وتاريخي معي.. طفل

نحيل الوجه.. لا يبصر

أنا حزني رمادي

كهذا الشارع المقفر

أنا نوع من الصبير[64]..

لا يعطى.. ولا يثمر

حياتى مركب ثَمِلُ [65]

تحطَّمَ قبل أن يبحر..

وأيامي مكررة

كصوت الساعة المضجر

(64) الصبير : السحابة البيضاء. وأوردها الشاعر بمعنى أقرب إلي النبات.

(65) ثمل : سكران.

وكيف أنوثتى ماتت

أنا ما عدت أستفكر

فلا صيفي أنا صيف

ولا زهري أنا يزهر

بمن أهتم.. هل شيء

بنفسي- بعد- ما دمر

أبالعفن الذي حولي..

أم القيم التي أنكر؟!

حياتي كلها عبث

فلا.. خبر.. أعيش له.. ولا مخبر

لا لأحد.. أعيش أنا..

ولا.. لا شيء أستنظر..

متى يأتي ترى بطلي؟

لقد خبَّأت في صدري

له.. زوجاً من الحجل [66]

---

(66) الحجل: القباب المستورة. والمراد — هنا — قبتا ثدييها.

وقد خبأت في ثغري

له.. كوزًا من العسل [67]..

متى يأتي على فرس

له.. مجدولة الخصل [68] ؟

ليخطفني..

ليكسر باب معتقلي

فمنذ طفولتي وأنا..

أمد على شبابيكي..

حبال الشوق والأمل..

وأجدل شعري الذهبي كي يصعد..

على خصلاته.. بطلي..

(67) الكوز: كلمة عربية فصيحة؛ بالمعنى المعروف (وعاء أو إناء) وكوز العسل : العسل المجمَّد على شكل الكوز والمراد — هنا — شدة حلاوة ثغرها (فمها).

(68) مجدولة الخُصل : مضفرة الشعر.

(23)

سأكتب عن صديقاتي..

فقصة كل واحدة

أرى فيها.. أرى ذاتي

ومأساة كمأساتي..

سأكتب عن صديقاتي..

عن السجن الذي يمتص أعمار السجينات..

عن الزمن الذي أكلته أعمدة المجلات..

عن الأبواب لا تفتح

عن الرغبات وهي بمهدها تذبح

عن الحلمات تحت حريرها تنبح[69]

عن الزنزانة الكبرى

وعن جدرانها السود..

وعن آلاف.. آلاف الشهيدات

دفن بغير أسماء بمقبرة التقاليد..

(69) المراد: الأنوثة المتفجرة الثائرة.

صديقاتي..

دُمىً ملفوفة بالقطن[70]

داخل متحف مغلق

نقود.. صكها التاريخ.. لا تهدى ولا تنفق

مجاميع من الأسماك في أحواضها تخنق

وأوعية من البللور مات فراشها الأزرق..

بلا خوف سأكتب عن صديقاتي..

عن الأغلال دامية بأقدام الجميلات[71]..

عن الهذيان.. والغثيان.. عن ليل الضراعات

عن الأشواق تدفن في المخدات..

عن الدوران في اللاشيء..

عن موت الهنيهات[72]..

صديقاتي..

---

(70) دمى : جمع دمية .. وهي اللعبة.

(71) الأغلال : القيود.

(72) إشارة لموت الوقت، وضياع العمر هباءً.

رهائن تشترى وتباع في سوق الخرافات..

سبايا في حريم الشرق[73].. موتى غير أموات..

يعشن.. يمتن.. مثل الفِطر في جوف الزجاجات

صديقاتي..

طيور في مغائرها [74] تموت بغير أصوات..

(24)

بلادي ترفض الحبا

تصادره كأي مخدر خطر

تسد أمامه الدربا..

تطارده..

تطارد ذلك الطفل الرقيق الحالم العذبا

تقص له جناحيه..

وتملأ قلبه رعبا..

بلادي تقتل الرب الذي أهدى لها الخصبا

(73) سبايا : أسيرات. والمفرد : (سبية).

(74) في مغائرها : في كهوفها.

وحوَّل صخرها ذهبا

وغطَّى أرضها عشبا..

وأعطاها كواكبها

وأجرى ماءها العذبا

بلادي . لم يزرها الرب

منذ اغتالت الربا..

(25)

كفى يا شمس تموز [75]

غبار الكِلْس يُعميننا

فمنذ البدء.. غير الكلس.. لم تشرب أراضينا

ومنذ البدء.. غير الدمع.. لم تسكب مآقينا [76]

كفانا نلعق الأحجار [77]

والأسفلت.. والطينا

كفانا.. يا سماوات

---

(75) تموز : أحد الشهور السريانية.

(76) مآقينا : عيوننا. جمع (مؤن).

(77) نلعق : نشرب.

من القصدير تكوينا[78]..

جلود وجوهنا يبست [79]

تشقق لحم أيدينا..

لماذا؟ ترفض الأمطار أن تسقي روابينا

لماذا؟

تنشف الأنهار إن مرت بوادينا [80]..

لماذا؟ تصبح الأزهار فحماً في أوانينا

لأنا قد قتلنا العطر..

واغتلنا الرياحينا [81]..

وأغمدنا بصدر الحب..

أغمدنا السكاكينا..

لأن الأرض تشبهنا

مناخات وتكوينا..

لأن العقم.. كل العقم

لا فى الأرض بل فينا.. !!

(78) القصدير : أحد أنواع المعادن.

(79) وجوهنا يبست : المراد : لا نضارة فيها ولا جمال.

(80) تنشف : عربية فصيحة بمعنى (تجف).

(81) اغتلنا الرياحينا : قتلنا كل الأزهار.

(26)

يروعني..

شحوب شقيقتي الكبرى

هي الأخرى

تعاني ما أعانيه

تعيش الساعة الصفرا..

تعاني عقدة سوداء

تعصر قلبها عصرا

قطار الحسن مر بها

ولم يترك سوى الذكرى

ولم يترك من النهدين

إلا الليف والقشرا

لقد بدأت سفينتها [82]

تغوص.. وتلمس القعرا..

أراقبها.. وقد جلست

بركن.. تصلح الشعرا

---

(82) المراد ـ هنا ـ: سفينة العمر الذي يسرع.

تصففه.. تخربه

وترسل زفرة حرَّى [83]

تلوب.. تلوب.. في الردهات [84]..

مثل ذبابة حيرى..

وتقبع في محارتها [85]

كنهر.. لم يجد مجرى..

(27)

فساتيني!

لماذا صرت أكرهها؟

لماذا لا أمزقها؟

أقلِّبُ فوقها طرفي

كأني لست أعرفها

كأني.. لم أكن فيها

أحركها وأملؤها..

(83) المراد : حرارة أنفاسها نتيجة الضيق والثورة.

(84) تلوب في الردهات : تتنقل بين الطرقات لشدة حيرتها وقلقها.

(85) وتقبع في محارتها : المراد : تستقر أخيراً في أعماق أحزانها.

لمن تتهدل الأثواب.. أحمرها وأزرقها

وواسعها.. وضيقها

وعاريها.. ومغلقها

لمن قصبي!..

لمن ذهبي؟

لمن عطر فرنسي؟

يقيم الأرض من حولي ويقعدها

فساتيني..

فراشات محنطة

على الجدران أصلبها

وفي قبر من الحرمان أدفنها..

مساحيقي.. وأقلامي

أخاف أخاف أقربها

وأمشاطي.. ومرآتي

أخاف أخاف ألمسها..

فما جدوى فراديسي[86] ؟.

ولا إنسان يدخلها..

(86) ما جدوى فراديسي ؟ ما قيمة جنات أنوثتي؟

(28)

مدينتنا..

تظل أثيرة[87] عندي.

برغم جميع ما فيها

أحب نداء باعتها

أزقتها.. أغانيها

مآذنها.. كنائسها

سكاراها.. مصليها..

تسامحها.. تعصبها

عبادتها لماضيها..

مدينتنا- بحمد الله-

راضية بما فيها..

ومن فيها..

بآلاف من الأموات تلعكهم مقاهيها..

لقد صاروا.. مع الأيام..

جزءًا من كراسيها..

(87) أثيرة: محبوبة ومفضلة.

صراصيرا محنطة.. خيوط الشمس تعميها

مدينتنا.. وراء النرد.. منفقة لياليها

وراء جريدة كسلى وعابرة تعريها..

فلا الأحداث تنفضها

ولا التاريخ يعنيها..

مدينتنا.. بلا حب

يرطب وجهها الكلسي..[88] أو يروي صحاريها

مدينتنا بلا امرأة..

تذيب صقيع عزلتها

وتمنحها معانيها..

(88) وجهها الكلسى : وجهها المطلى.

(29)

أقمنا نصف دنيانا على حكم وأمثال

وشيدنا مزارات[89].. لألف.. وألف دجال..

وكالببغاء.. رددنا مواعظ ألف محتال..

قصدنا شيخ حارتنا.. ليرزقنا بأطفال

فأدخلنا لحجرته

وقام بنزع جُبته [90]

وباركنا.. وضاجعنا

وعند الباب.. طالبنا

بدفع ثلاث ليرات لصنع حجابه البالي [91].. !!

وعدنا مثلما جئنا

بلا ولد.. ولا مال!!

---

(89) شيدنا : بنينا.

(90) جبته : عباءته.

(91) البالي : الممزق القديم الذي لاقيمة له.

(30)

يعيش بداخلي وحش

جميل. اسمه الرجل

له عينان دافئتان..

يقطر منهما العسل

ألامس صدره العاري

ألامسه. وأختجل [92]..

قروناً.. وهو مخبوء

بصدري.. ليس يرتحل

ينام وراء أثوابي..

ينام كأنه الأجل

أخاف. أخاف أوقظه

فيشعلني.. ويشتغل

كمخلوق خرافي يعيش بذهننا الرجل

تصورناه تنيناً.. له تسعون أصبعة

(92) أختجل : أدعي الحرج والخجل.

وشدق أحمر ثَمِلُ [93]..

تصورناه خفاشًا .. مع الظلمات ينتقل

تخيلناه قرصاناً.. تخيلناه ثعباناً

أمد يدي لأقتله

أمد يدى.. ولا أصل

إله في معابدنا.. نصليه[94] ونبتهل

يغازلنا.. وحين يجوع يأكلنا

ويملا الكأس من دمنا.. ويغتسل[95]..

إله لا نقاومه.. يعذبنا ونحتمل

ويجذبنا نعاجاً من ضفائرنا ونحتمل[96]..

ويلهو في مشاعرنا.. ويلهو في مصائرنا ونحتمل

ويدمينا.. ويؤذينا

ويقتلنا.. ويحيينا

ويأمرنا فنمتثل [97]

إله ماله عمر.. إله اسمه الرجل.

---

(93) وشدق أحمر ثمل : المراد : فم أحمر لا يميز بين فريساته كالسكران.

(94) نصليه : المراد : نصلي له. ونبتهل : نتقرّب.

(95) يملا : مخففة من الهمزة (يملأ)؛ لإقامة الوزن.

(96) يجذبنا نعاجاً : يجرنا كما تجر النعام.

(97) نمتثل : نخضع.

(31)

تلاحقنا الخرافة والأساطير

من القبر.. الخرافة والأساطير

ويحكمنا هنا الأموات.. والسياف مسرور [98]

ملايين من السنوات..

لا شمس ولا نور

بأيدينا مسامير

وفوق رقابنا سيف

رهيف الحد [99] مسعور

وفوق فراشنا عبد

قبيح الوجه مجدور [100]

من النهدين يصلبنا

وبالكرباج [101] يجلدنا..

ملايين من السنوات.. والسياف مسرور

(98) السياف مسرور : رمز للقهر الاجتماعي الذي تعانيه المرأة.

(99) رهيف الحد : المراد : أنه سيف حاد قاطع.

(100) مجدور : المراد أنه وجه صامت لا إحساس فيه كالجدار.

(101) الكرباج : السوط المعروف، وهي كلمة تركية (قرباج) عن أصل مَجَرى بمعنى (الصوت).

يفتش في خزائننا

يفتش في ملابسنا..

عن الأحلام نحلمها

عن الأسرار تكتمها الجوارير [102]

عن الأشواق تحملها التحارير..

ملايين من السنوات.. والسياف مسرور

مقيم في مدينتنا

أراه في ثياب أبي

أراه في ثياب أخي

أراه.. هاهنا.. وهنا

فكل رجال بلدتنا..

هم السياف مسرور..

---

(102) الجوارير : من الآواني الخزفية (كالفخار).

(32)

ثقافتنا..

فقاقيع من الصابون والوحل..

فما زالت بداخلنا

رواسب من (أبي جهل) [103]..

وما زلنا

نعيش بمنطق المفتاح والقفل..

نلف نساءنا.. ندفنهن في الرمل..

ونملكهن كالسجاد..

كالأبقار في الحقل

ونهزأ من قوارير

بلا دين ولا عقل..

ونرجع آخر الليل..

نمارس حقنا الزوجي كالثيران والخيل..

(103) أبو جهل : رمز للتسلط والقمع والجهل.

نمارسه خلال دقائق خمس

بلا شوق.. ولا ذوق..

ولا ميل..

نمارسه.. كآلات

تؤدي الفعل للفعل..

ونرقد بعدها موتى..

ونتركهن وسط النار [104]..

وسط الطين والوحل

قتيلات بلا قتل

بنصف الدرب نتركهن..

يا لفظاظة الخيل.. !!

(33)

قضينا العمر في المخدع [105]

وجيش حريمنا معنا

وصك زواجنا معنا

(104) إشارة إلى أنانية الرجل الشرقي الذي يكتفي بإرضاء رغبته والسلام ..!!!

(105) المخدع : غرفة النوم.

وصك طلاقنا [106] معنا..

وقلنا: الله قد شرع ليالينا موزعة

على زوجاتنا الأربع..

هنا شفة.. هنا ساق..

هنا ظفر.. هنا إصبع

كأن الدين حانوت [107]

فتحناه لكي نشبع..

تمتعنا « بما أيماننا ملكت»

وعشنا في غرائزنا بمستنقع

وزوَّرنا كلام الله بالشكل الذي ينفع

ولم نخجل بما نصنع

عبثنا [108] في قداسته

نسينا نبل غايته..

ولم نذكر سوى المضجع [109]

---

(106) صك طلاقنا : المراد: ورقة الطلاق ؛ فالصك هو كل ما يُكتب للعهدة. وهو معرَّب، أصله : (جك).

(107) حانوت : محل تجارة.

(108) عبثنا : لهونا ولعبنا.

(109) المضجع : مكان النوم، والمراد : ممارسة الحب.

ولم نأخذ

سوى زوجاتنا الأربع..

(34)

أنا طروادة أخرى أقاوم كل أسواري..

وأرفض كل ما حولي.. ومن حولي.. بإصرار..

أقاوم واقعي المصنوع..

من قش وفخار..

أقاوم كل أهل الكهف.. والتنجيم.. والزار..

تواكلهم.. تأكلهم.. تناسلهم كأبقار..

أمامي ألف سياف وسياف

وخلفي ألف جزار وجزار..

فيا ربي!

أليس هناك من عار سوى عاري؟

ويا ربي..

أليس هناك من شغل

لهذا الشرق.. غير حدود زناري [110]؟؟..

(110) حدود زناري : حدود خصري أو وسطي، والمراد : حدود جسمي وأنوثتي؛ لأن (الزنار) ما يشده النصراني على وسطه.

(35)

تظل بكارة الأنثى

بهذا الشرق عقدتنا وهاجسنا

فعند جدارها الموهوم قدمنا ذبائحنا..

وأولمنا ولائمنا..

نحرنا [111] عند هيكلها شقائقنا

قرابينًا وصحنا«واكرامتنا» [112].

صداع الجنس.. مفترس جماجمنا

صداع مزمن بشع من الصحراء رافقنا

فأنسانا بصيرتنا.. وأنسانا ضمائرنا

وأطلقنا..

قطيعا من كلاب الصيد.. نستوحي غرائزنا..

أكلنا لحم من نهوى ومسَّحنا خناجرنا..

وعند منصة القاضي صرخنا « واكرامتنا ».

وبرَّمنا كعنترة بن شداد شواربنا..

---

(111) نحرنا : ذبحنا.

(112) القرابين : جمع (قربان)؛ وهو ما كان يقدم من ولائم وغيرها؛ تقربا للآلهة في الأساطير القديمة.

واكر امتنا : صرخة على ضياع الكرامة.

(36)

وداعا.. أيها الدفتر

وداعاً يا صديق العمر.. يا مصباحي الأخضر

ويا صدراً بكيت عليه.. أعوامًا.. ولم يضجر.

ويا رفضي.. ويا سخطي..

ويا رعدي.. ويا برقي..

ويا ألما تحوَّل في يدي خنجر..

تركتك في أمان الله

يا جرحي الذي أزهر [113]

فإن سرقوك من درجي [114]

وفضوا ختمك الأحمر

فلن يجدوا سوى امراة

مبعثرة على دفتر..



(113) أزهر: لمع وظهر.

(114) درج: كلمة فصيحة؛ لأن الدُّرج هو: ما تضع فيه المرأة عطرها وأدواتها.

إيضاح إلى قُرّاء شعري

.. ويقول عني الأغبياء:

إني دخلت إلى مقاصير[1] النساء.. وما خرجت

ويطالبون بنصب مشنقتي..

لأني عن شؤون حبيبتي.. شعرا كتبت

أنا لم أتاجر – مثل غيري – بالحشيش..

ولا سرقت..

ولا قتلت..

لكنني.. أحببت في وضح النهار..

فهل تراني قد كفرت؟؟

***

(1) المقاصير: النواصي.. والمراد: بيوت النساء.

ويقول عني الأغبياء:

إني بأشعاري.. خرجت على تعاليم السماء

من قال إن الحب عدوان على شرف السماء؟

إن السماء صديقتي..

تبكي إذا أبكي..

وتضحك إن ضحكت..

وتزيد أنجمها بريقا..

إن أنا يوماً عشقت..

ماذا.. إذا غنيت باسم حبيبتي؟

وزرعتها في كل عاصمة

كغابة كستناء [1]..

***

(1) الكستناء : نوع من الأزهار .



سأظل أحترف المحبة

مثل كل الأنبياء

أظل أحترف الطفولة.. والبراءة

والنقاء..

وأظل أكتب عن شؤون حبيبتي

حتى أذوِّب شعرها الذهبي في ذهب المساء

وأنا- وأرجو أن أظل كما أنا-

طفلا يخربش فوق حيطان النجوم كما يشاء[2]

حتى يصير الحب في وطني بمرتبة الهواء

وأصير قاموسا لطلاب الهوى

وأصير فوق شفاههم

ألفا وباء.. !!

(2) يخربش : كلمة فصيحة من (الخرْش) وهو الخدْش.

نزار فيلسوفاً







ما أروع الشاعر حينما يكون فيلسوفاً في رؤيته وفي معانيه وفي صوره ولن أتحدث كثيرا.. فقط تأمل هذا التصوير التالي :

على أذني هذه الغانية

تأرجح قرط رفيع

كما يضحك الضوء في الآنية

يمد يديه ولا يستطيع

وصولاً إلى الكتف العارية.. !!

الغانية هي المرأة التي استغنت بجمالها عن الزينة.. وقد وقعت عينا الشاعر عليها.. وعلى قرط (حلق) يتدلى من أذنيها.. ويلمع ويبرق كالضوء المنتشر فوق الأواني اللامعة.. وكأنه يريد أن يصل إلى كتفي هذه الغانية.. ليشرب من ماء جمالها فلا يستطيع !!

فهل لاحظنا روعة التصوير دون تكلّف.. وعمقه دون تعقّد من السطر الأول إلى السطر الأخير دون انقطاع أو ملل ؟ تصوير رائع ومبتكر وعميق وممتد لا يأتي به إلا شاعر يدرك فلسفة التصوير بالقلم .

أما فلسفة الرؤية أو الفلسفة الفكرية داخل القصيدة النزارية والتي تمثل أساس هذا الباب فهي التي تعنّ[1] للرائي الذي لا يكتفي بقراءة شعر نزار قراء ة يستجلب بها النوم ويدعو بها باعة النعاس.. وإنما هي مجموعة من الرؤى الفلسفية التي أرى أن القارئ العربي يعوزه شيء من التأمل والتفكير عند المرور بإحداها.. يقول نزار قباني :

(1) تعن : تظهر.. وتبدو عن بُعد .

برغم النزيف الذي يعتريه

برغم السهام الدفينة فيه

يظل القتيل على ما به

أجلّ وأكبر من قاتليه.. !!

فمن الفلسفة الرؤيوية فعلا أن يرصد الشاعر ذلك الملمح الخطير.. فيرى القوة التي يراها الكثيرون كامنة وراء القاتل يراها هو وراء القتيل.. ويرى الضعف الذي يراه الآخرون من سمات القتيل – يراه هو من سمات القاتل .ولو دققنا النظر قليلاً لعرفنا أن القاتل حينما يكون ظالما أو متجبرا أو مستعمرا أو متسلطا فإن قدرته على القتل مستمدة من منصبه أو موقفه أو مركزه.. أما هو نفسه فلا يمكن له أن يقتل فراشة .!

ومن هنا فقد أصاب نزار حينما رأى أمثال هؤلاء القتلة ضعفاء.. وعلى المقابل فإن المقتول في سبيل دينه أو وطنه أو ماله أو عرضه هو ليس ضعيفا.. بل وصلت به قوته لحد اجترائه على الموت فلم يحفل بحياته نفسها.. تماماً كالرجل الذي يصرخ في وجه الحاكم الظالم على الرغم من أنه يعي جيداً أنها قد تكون صرخته الأخيرة! فهل نجرؤ أن نصفه بالضعف أو الجبن ؟

بالطبع لا.. ذلك أنه سيظل كما قال نزار في السطر الأخير : سيظل أجل وأكبر من قاتليه.. !

وفي المقطع السادس من رائعة نزار قباني (هوامش على دفتر النكسة) يختصر الشاعر بقدرته الفلسفية التي تنضح بها قصائده كل مأساة العرب في ثلاثة أسطر لم أرها ثلاثة أسطر.. ولكني رأيتها قصيدة مكتملة على مستويي المبنى والمعنى.. يقول شاعرنا:

السر في مأساتنا..

صراخنا أضخم من أصواتنا !!

وسيفنا أطول من قاماتنا !!

فتصوروا معي رجلا يريد أن يصرخ صرخة باتساع السماء.. بينما صوته لا يتعدى أمتارا أمامه فهل يقوى على الصراخ ؟!

فالرجل الذي يمسك خنجرا في مواجهة جيوش مسلحة بالديناميت والنابلم إما أنه رجل ترك رأسه في بيته.. وخرج ليحارب.. أو أنه مبهور بتجربة الانتحار !!

وتخيلوا أيضاً أن رجلا يمسك سيفا أطول من قامته وأثقل من جسمه.. فهل يستطيع مجرد حمله ؟ وما بالكم لو اجترئ على أن يطمح في أن يحارب به ؟ !

صدق نزار في فلسفته الشعرية التي كثفها ببراعة فائقة في هذه السطور الثلاثة .

فإن مشكلة العربي الرئيسة هي فقده التناسب بين طموحاته وإمكاناته.. فمثلاً على مستوى العشق تجد الأعور يصر على أن يلفت نظر حبيبته بجمال عينيه وصفائهما وروعتهما.. !

وقد تجد الضعيف الهزيل لا يحلو له أن يتقرّب لمن يحبها إلا بقوته الشمشونية الوهمية.!

وعلى المستوى الاجتماعي مثلاً يطمع العروسان في شِقة على النيل على الرغم من أن جيوبهما صفر.. !

وعلى المستوى السياسي مثلاً تدخل شعوب النمل المعارك ضد شعوب قمم الإفرست.. !!

وهذا لا يعيب الأعور- مثلاً أو الضعيف وغيرهما.. وإنما الذي يعيبهما وأمثالهما أنهما لم يكلفا أنفسهما عناء البحث داخل نفس كل منهما عما يملكانه من أسلحة حقيقية أخرى .

ولكنه الكسل والعجز والجهل حتى بما تملكه أنت من ثروة في داخلك وأنت غافل عنها.

والقصيدة النزارية التي تتلون بالرؤية الفلسفية ليست أحادية المنطلق.. لأنها متعددة المنطلقات عاطفيا وسياسيا واجتماعيا .

وقد نلمح أحياناً ذلك التفلسُف النزاري في عناوين القصائد.. مثل :

(هل تكتبين معي القصيدة ؟) .

(أيتها السيدة التي استقالت من أنوثتها) .

(تناقضات ن.ق الرائعة) .

(خبز وحشيش وقمر) .

(من بلاد قمعستان) .

(مع الوطن في زجاجة براندي) .

(وطن بالإيجار) .

(وجهك مثل مطلع القصيدة) .

(في أدب الكتابة النفطية) .

(التصوير في الزمن الرمادي) .

وغيرها من العناوين التي تدهشك بما فيها من علاقات تتطلب التوقف أمامها والتفكر فيها.. أو ما فيها من ابتكار على المستوى التركيبي.. أو إبهار على المستوى التصويري .

وقد يعتمد التشكيل الفلسفي للقصيدة عند نزار على اللا مباشرة التي تفجّر طاقات التأمل عند القارئ.. وتشركه مع الشاعر .

فمثلاً.. يقول نزار قباني :

إذا كان نهداك مثقفين ثقافة عالية

- كما تقولين -

فلماذا لم يعترفا حتى الآن

بقانون الجاذبية الأرضية ؟!

فمن المؤكد أن عدم اعتراف نهديها بالجاذبية الأرضية يدعونا للبحث عن علاقة نهديها بقانون الجاذبية الأرضية من جانب ولتذكر مفهوم ذلك القانون من جانب ثان ومحاولة فهم المراد من عدم اعتراف نهديها به من جانب ثالث حتى نصل - في النهاية - إلى أنهما نهدان ما زالا في عنفوانهما لا يعرفان السقوط !!

وليس من الخطأ أن نقول أن النزعة الفلسفية في شعر نزار قباني تتناثر في كثير من بقاع شعره الغزير.. فعلى المستوى السياسي أيضاً نراه فى مطولته الرائعة (بلقيس) يقول :

حتى النجوم تخاف من وطني

ولا أدري السبب

حتى الطيور تفر من وطني

ولا أدري السبب

حتى الكواكب والمراكب والسحب

حتى الدفاتر والكتب

وجميع أشياء الجمال

جميعها ضد العرب.. !!

وعود على بدء فإن فلسفة التصوير عند نزار قباني فلسفة خاصة للغاية.. فتمكنه من إيجاد علاقات نادرة لم يحصل عليها شعراء العرب برغم تاريخهم الممتد عبر القرون.. فلا غرابة أن يشعرك نزار في تصويره أن هناك علاقة مثلاً بين سمكة القرش وسطح القمر.. أو بين رحاب الطبيعة والرجل الأعمى.. !!

يقول نزار تحت عنوان (رائحة الكتابة) بالجزء الرابع من أعماله الكاملة :

للمرأة التي أحبها

قدمان صغيرتان جداً

تشبهان كلام الأطفال

ولجسدها رائحة سرية جدًّا

كرائحة الكتابة الممنوعة !!

لست تشعر – إن صح التعبير – بفلسفة الغرابة التصويرية التي تبرهن على أن نزار قباني كما استطاع أن يخترع لنفسه مفردات خاصة به فقد استطاع أيضاً أن يكوِّن له معملاً تصويريا خاصا بقصائده دون غيره ؟

وفيما يلي مجموعة قصائد من المختارات الشعرية التي رأيت أنها تنبني في معظمها على النزعة الفلسفية خاصة إذا كانت قصيدة قصيرة.. أو مجرد مقطع منفرد.. وتنبني على تلك النزعة في بعضها أو معظمها أحياناً أخرى خاصة إذا كانت قصيدة مكتملة آملا أن نضع أيادينا على مواطن فلسفته الشعرية.. أو شعره الفلسفي الذى أكرر أنه متناثر فى جسد القصيدة النزارية عموما عاطفية كانت أو سياسية أو اجتماعية كما سنرى – معاً – فى الجزء التالى.. فمع نزار الشاعر فيلسوفا.. ونزار الفيلسوف شاعرا .



هذا أنا ...

(1)

أدمنتُ أحزاني

فصرتُ أخافُ أن لا أحزنا

وطُعنتُ آلافا من المَّراتِ

حتَّى صار يوجعني.. بأن لا أطعنا

ولُعنتُ في كلِّ اللغاتِ..

وصارَ يقلقني بأن لا أُلْعنَا..

ولقد شُنقتُ على جدارِ قصائدي

ووصيتي كانتْ..

بأن لا أدفنا.. !!

وتشابهتْ كلُّ البلادِ..

فلا أرى نفسي هناكَ

ولا أرى نفسي هُنا..

وتشابهتْ كلُّ النساءِ

فجسمُ مريمَ في الظلامِ.. كما مُنى..

ما كانَ شعري لعبةً عبثيةً

أو نزهةً قمريةً

إني أقول الشعرَ- سيدتي-

لأعرفَ مَنْ أنا.. !!

(2)

يا سادتي

إني أسافرُ في قطار مَدامعي

هلْ يركبُ الشعراءُ إلا في قطارات الضنى؟

إني أفكر باختراعِ الماء..

إنَّ الشعرَ يجعلُ كلَّ حلمٍ ممكنَا

وأنا أفكر باختراع النهِد..

حتّى تُطلعَ الصحراءُ.. بعدي.. سوسنا [1]

وأنا أفكر باختراع النايِ..

حتى يأكلَ الفقراءُ.. بعدي.. (الميْجنَا).

إنْ صادروا وَطَنَ الطفولة من يدِي

فلقد جَعلتُ من القصيدة موطنًا..

(1) السوسن : نوع من الأزهار.

(3)

يا سَادَتي

إنَّ السماءَ رحيبةٌ جدا..

ولكنَّ الصَيارفة الذين تقاسموا ميراثنا..

وتقاسموا أوطانَنَا..

وتقاسموا أجسَادَنا..

لم يتركوا شِبرا لنا..

يا سادَتي

قاتلتُ عصرا لا مثيلَ لقبحِهِ

وفتحتُ جرحَ قبيلتي المُتعفّنَا..

أنا لستُ مكترثا [1]

بكل الباعةِ المتجولينَ.. [2]

وكلِّ كتابِ البَلاطِ..

وكُلِّ من جعلوا الكتابةَ حرفةً

مثلَ الزنى..

(1) لست مكترثا : لست مهتما .

(2) الصواب أن نقول : « الباعة الجائلون » لا « الباعة المتجولون».

(4)

يا سادتي

عَفوا إذا أقلقتكمْ

أنا لستُ مضطَّرا لأعلنَ توبتي

هذا أنا.. هذا أنا.. هذا أنا..





الديك

(1)

في حارتنا

ديك سادي سفاح . [1]

ينتف ريش دجاج الحارة..

كل صباح .

ينقرهن .

يطاردهن .

يضاجعهن .

ويهجرهن .

ولا يتذكر أسماء الصيصان!! [2]

(1) السادية : مرض التسلط.

(2) صيصية الديك : حوافره.

(2)

في حارتنا..

ديك يصرخ عند الفجر

كشمشون الجبار .

يطلق لحيته الحمراء

ويقمعنا ليلا ونهارًا .

يخطب فينا..

ينشد فينا..

يزني فينا..

فهو الواحد . وهو الخالد

وهو المقتدر الجبار .!!

(3)

في حارتنا..

ثمة ديك عدواني.. فاشيستي.. [1]

نازي الأفكار.

سرق السلطة بالدبابة..

ألقى القبض على الحرية والأحرار .

ألغى وطنا.

ألغى شعبا .

ألغى لغة .

ألغى أحداث التاريخ..

وألغى ميلاد الأطفال ..

وألغى أسماء الأزهار..

في حارتنا..

ديك يلبس في العيد القومي

(1) ثمة : يوجد.. أو (هناك).

لباس الجنرالات..

يأكل جنسا..

يشرب جنسا..

يسكر جنسا..

يركب سفنا من أجساد

يهزم جيشا من حلمات !!..

(5)

في حارتنا..

ديك من أصل عربي

فتح الكون بآلاف الزوجات !!

(6)

في حارتنا..

ثمة ديك أمي

يرأس إحدى الميليشيات..

لم يتعلم..

إلا الغزو.. وإلا الفتك..

وإلا زرع حشيش الكيف..

وتزوير العملات .

كان يبيع ثياب أبيه..

ويرهن خاتمه الزوجي..

ويسرق حتى أسنان الأموات..

(7)

في حارتنا..

ديك . كل مواهبه

أن يطلق نار مسدسه الحربي

على رأس الكلمات..

(٨)

في حارتنا..

ديك عصبي مجنون .

يخطب يوماً كالحجاج..

ويمشي زهوا كالمأمون..

ويصرخ من مئذنة الجامع :

« يا سبحاني.. يا سبحاني.. »

« فأنا الدولة.. والقانون !!. »

(٩)

كيف سيأتي الغيث إلينا ؟ [1]

كيف سينمو القمح ؟

وكيف يفيض علينا الخير.. وتغمرنا البركة ؟

هذا وطن لا يحكمه الله..

ولكن.. تحكمه الديكة !!

(1) الغيث : المطر.

(10)

في بلدتنا..

يذهب ديك.. يأتي ديك..

والطغيان هو الطغيان .

يسقط حكم لينيني.. [1]

يهجم حكم أمريكي..

والمسحوق هو الإنسان ..

(11)

حين يمر الديك بسوق القرية

مزهوا.. منفوش الريش..

وعلى كتفيه تضيء نياشين التحرير

يصرخ كل دجاج القرية في إعجاب :

«يا سيدنا الديك »

«يا مولانا الديك»

« يا جنرال الجنس.. ويا فحل الميدان.. »

(1) نسبة إلى (لينين) مؤسس الشيوعية مع (ماركس).

« أنت حبيب ملايين النسوان »[1]

« هل تحتاج إلى جارية ؟ »

« هل تحتاج إلى خادمة ؟ »

« هل تحتاج إلى تدليك ؟ »

(12)

حين الحاكم سمع القصة..

أصدر أمرا للسياف بذبح الديك.

قال بصوت الغاضب :

« كيف تجرأ ديك من أولاد الحارة »

أن ينتزع السلطة مني..

كيف تجرأ هذا الديك ؟؟

« وأنا الواحد دون شريك.!! »



(1) سبقت الإشارة إلى أن كلمة النسوان جمع صحيح كالنساء.

التعاريف

أنا ضد كل التعاريف في الحب

فهي جميعا قوالب

وضد جميع الوصايا القديمة

ضد جميع النصوص.. وضد جميع المذاهب

فلا يصنع الحب إلا التجارب

ولا يصنع البحر إلا الرياح وإلا المراكب

ولا يستطيع الحديث عن الحرب إلا المحارب

أنا أفعل الحب لكن إذا سألوني عنه..

فإني أفضل أن لا أجاوب.. !!



الوردة والفنجان..!

دخلت اليوم للمقهى

وقد صممت أن أنسي علاقتنا

وأدفن كل أحزاني

وحين طلبت فنجانا من القهوة

خرجتِ كوردة بيضاء

من أعماق فنجاني !!



هل تكتبين معي القصيدة؟

فكرت أن الشعر يهبط كالمفاجأة السعيدة

ويجيء مثل الطائر الليلي من جزر بعيدة

فكرت أن الشعر يحمل كيسه

ويوزع الألعاب.. والحلوى على الأطفال في السنة الجديدة

حتى وجدتك بين أقلامي وبين دفاتري

فعرفت أنك تكتبين معي القصيدة.. !!



لا أرى أحدًا سواكِ

أنا لا أفكر ..

أن أقاومَ.. أو أثُورَ على هواكِ..

فأنا وكلُّ قصائدي..

من بعض ما صنعتْ يداكِ..

أن الغرابةَ كلها..

أني محاطٌ بالنساءِ..

ولا أرى أحدًا سواكِ.. !!



ليست ثُقَال

حاولتُ أسألُ: ما الأنوثةُ ؟

ثمّ عدتُ عن السؤالْ

فأهمُّ شيءٍ في الأنوثةِ

أنها.. ليست ثُقَالْ..



بيانٌ من الشِّعْر

إذا كانَ عصريَ ليس جميلا..

فكيف تُريدينني أن أجمل عصري ؟

وإن كنتُ أجلس فوق الخرابِ..

وأكتبُ فوق الخرابِ..

وأعشقَ فوق الخرابِ..

فكيف سأهديكِ باقةَ زهرِ ؟[1]

***

(1) الصواب أن نقول : « طاقة ورد» لا «باقة ورد» .

وكيف أحبكِ ؟

حينَ تكونُ الكتابةُ رقصا..

على طبقٍ من نُحاسٍ وجَمْرِ..

وإن كانتِ الأرض مسرحَ قهرٍ

فكيفَ تُريدينني أن أصالحَ قهري ؟

يُريدُ المماليكُ أن يملِكُوني..

وأن يشربُوا من دمائي وحِبري [1]

يُريدونَ رأسَ القصيدةِ كي يستريحُوا..

وللشِّعْرِ.. والحُبِ.. فوَّضتُ أمري..

***

(1) حبرى : المراد : كلامى وقصائدى .

أحبكِ.. برقا يُضيءُ حياتي

وقنديلَ زيتٍ.. بداخلِ صدري

فكوني صديقة حُريتي..

وكوني ورائي بكل حُرُوبي

وسيري معي.. تحتَ أقواسِ نصري..

إذا كان شِعريَ لا يتصدى

لمنْ يسلخُونَ جُلُودَ الشُّعُوبِ

فلا كان شعْري..



الثقْب

(1)

لقد مرَّ عشْرونَ عاما علينا

لقد مرَّ عشْرونَ عامْ

ولا نَجمَ يسطَعُ..

لا أرض تَحبلُ..

لا قَمحَ يطلعُ من تحت هذا الرُّكامْ

ولا غيمةٌ ماطرةْ

فهل نسيَ الشارعُ العربيُ الكلامْ؟

وصرنا شُعوبا بلا ذاكرةْ..

(2)

لماذا الجماهيرُ..

بين المحيطِ.. وبين الخليجِ..

تجوبُ الأزقةَ كالقططِ الخائفةْ [1]

وأين هو الشارعُ العربيُّ

الذي كان يمضغُ لحمَ الطغاةِ

ويخترعُ العاصفةْ؟

وكيف خرجنا من الحُلُم الوحدويِّ الكبيرِ

لندخلَ ثقبا صغيرا..

يسمُّونهُ الطائفةْ؟؟؟

(3)

لقد مرَّ عشرونَ عاما علينا

لقد مرَّ عشرونَ عامْ

ونحن وقوفُ كأعمدةِ الكهرباءْ

نحدقُ مثلَ البهاليلِ صوب السماءْ [1]

تمرُّ القطاراتُ من قربنا..

تمرُّ الحضاراتُ من فوقِنا..

(1) الأزقة : الحارات الضيقة.

(1) البهاليل : كلمة عربية فصيحة ؛ فهى جمع (بهلول).. والبهلول معناها : الرجل المرح البشوش.

تمرُّ الزلازلُ من تحتنا..

فلا نتأملُ شيئا..

ولا نتعلَّمُ شيئا..

ولا نتذكَّرُ شيئا..

ولا نتحمَّسُ حينَ مجيءِ الربيعْ

ولا نتأثر حينَ رحيل الشتاءْ

فلا اللهُ يرضى المكوثَ لدينَا [2]

ولا الأنبياء .. !!

(4)

لقد مرَّ عشرونَ عاما علينا

لقد مرَّ عشرونَ عامْ

وليسَ هنالِك مَنْ يطرحُ الأسئلةْ

وليس هناكَ مسيحُ.. ولا جلجُلَةْ [1]

ونحنُ هنا..

نتناسلُ مثلَ الزواحفِ في الغرَف المقفَلةْ

---

(2) المكوث : البقاء والاستقرار.

(1) الجلجلة : كلمة فصيحة.. ومعناها : الحركة مع الصوت .

فأينَ هو الشارعُ العربيُّ

الذي كان يبصقُ نارا؟

ولا يعرفُ الفرقَ بين القصيدةِ والقنبلةْ..

لقد مرَّ عشرونَ عاما علينا

لقد مرَّ عشرونَ عام

ونحنُ توابيتُ مصنوعةٌ من رُخامْ

نبايعُ أي عقيدٍ يجيءُ..

ونلعقُ جزمة أي نظامْ..

ونلبسُ جلدَ النمورِ

ونحنُ حمام.

ونزعمُ أنا جبالٌ

ونحنُ نطيرُ بكلِّ اتجاهٍ

كريشِ النعامِ..

كريشِ النعامْ..

(5)

لقد مرَّ عشرونَ عاما علينا

لقد مرَّ عشرونَ عامْ

يحاصرنا الرومُ من كلِّ صوبٍ

وليس هنالكَ ثأرُ..

وليس هنالكَ من يثأرونْ..

ويسقطُ نخلُ العراق جريحا

ولا صوت يثقبُ أعماق هذا الظلامْ

ولا شيءَ يطلعُ من هذه الأرض

إلا الطباقُ.. وإلا الجناسُ..

وإلا ألاعيب علم الكلامْ..

ويأكلُ سكانُ بيروتَ فئرانَهُمْ

وليسَ هنالكَ حزنُ

وليسَ هنالكَ منْ يحزنُونْ

فأهلُ الملايينِ فوق ملايينهمْ نائمونْ

وأهلُ الخيول الأصيلةِ

فوقَ جواريهمُ يرْكُبونْ..

وأهلُ السياسة لا يقرأونَ.. ولا يكتبونْ..

وأهل الثقافةِ يلتقطونَ ذبابّ المقاهي

وفي موج قهوتهمْ يبحرونْ

وليسَ لدينا قصيدةُ شعرٍ

تريدُ احترافَ الجنونْ..

(6)

لقد مرَّ عشرونَ عاما علينا

لقد مرَّ عشرونَ عامْ

ونحنُ نؤسسُ حُكم القبيلةْ

ونلغي حدود الوطنْ

ونرفع صورةَ شيخ القبيلةْ

ونعبدُ في كلِّ يومٍ وثن. [1]

لقد مرَّ عشرونَ عاما علينا

لقد مرَّ عشرونَ عامْ

نسينا بها عبقَ الياسمينِ.. [2]

---

(1) الوثن : الصنم الصغير.

(2) عبق الياسمين : المراد : رائحة الياسمين .

وصوتَ المطرْ.

تخافُ العصافيرُ منّا..

ويضجَرُ منَّا الضجَرْ

إلى أن أخذنا

مع الوقتِ- شكلَ الحجرْ.. !!

جرائدُنا..

تتغرغرُ كلَّ صباحٍ بذات الخبرْ

شوارعنُا..

تتقيُ كلَّ مساءٍ ألوف الصورْ

وليس هنالكَ

ما يبهج القلبَ من كلِّ أخبارنا

سوى نبأ..

عن دخول الميليشياتِ..

أرض القمرْ.

لقد مرَّ عشرونَ..

خمسونَ..

تسعُونَ..

مليونُ عامْ

وما زلتُ أغمدُ سيفي

بلحم الظلام

وما زلتُ أحرقُ كل الطبولِ..

وكلَّ الحواةِ.. [1]

وكلَّ الخيام..

وأشهدُ أنّي..

قرأتُ السلامَ على كلِّ أهلي

ولكنهمْ لم يردوا السلامْ.. !!

فهلْ كنتُ أقرأ شعري

على كومة من عظامْ؟؟ !! [1]



(1) الحواة : جمع (الحاوى)؛ وهو الرجل الذي يُستدعى لاستخراج (الحيات) من الأماكن المهجورة.. ولكنها — هنا — بالمعنى المعروف (رجل يقوم بألعاب غريبة تقوم على خفة اليد وخداع البصر).

(1) كوَّمة : مجموعة من المتشابهات المرتفعة.. والكوم : من الارتفاع والعلو.

مدخل ..

أحاول منذ البداياتِ..

أنْ لا أكون شبيها بأي أحدْ..

رفضتُ الكلامَ المعلَّبَ دوما

رفضتُ عبادةَ أي وثنْ..

أحاول إحراق كلِّ النصوصِ التي أرتديها

فبعض القصائد قبرُ

وبعض اللغات كفنْ..



استراتيجية

سأبقى أغنِّي..

سأبقى أغني..

إلى أن أحطِّم من يعبدونَ الفروجَ.. [1]

ومَنْ يشترونَ بشيكاتهِمْ

بناتِ الهوى..

ورجالَ القَلمْ..

سأبقى أغّني

برغمِ عويلِ الرياحِ.. وعصف المطر [2]

وهم يركضونَ وراءَ القصيدةِ..

مثلَ كلابِ الأثر.. !! [3]



(1) الفروج : جمع (فرْج) ؛ وهو : العضو التناسلى عند المرأة .

(2) عويل : صراخ .

(3) كلاب الأثر : الكلاب البوليسية التى تتبع الآثار .



فوق ..

أنا رجلُ لا يريحُ.. ولا يستريحْ

فلا تصحبيني على الطرقِ المعتِمَةْ

فشعري مُدانُ.

ونثري مُدانُ.

ودربي الطبيعيُّ بين القصيدةِ.. والمحكمةْ..

يشرفنِي أنني ما قبلتُ وساما

فإني الذى يمنحُ الأوسمةْ..

ولم أكُ بوقا لأىِّ نظامٍ [1]

فشعريَ فوق الممالكِ والأنظمةْ..



(1) لم أكُ بوقا لأى نظام : المراد : لم أكن واحداً ممن يصفِّقون للنظام؛ خوفاً وطمعا.ً

آخر عصفور يخرج من غرناطة

(1)

عَيْنَاكِ.. آخِرُ مركبيْن يُسافرانِ

فهل هنالكَ من مكانْ؟

إنّي تعبتُ من التسكّعِ في محطّاتِ الجنونِ[115]

وما وصلتُ إلى مكانْ..

عَيْنَاكِ آخرُ فرصتين مُتاحَتَيْنِ

لِمَنْ يفكّرُ بالهروب..

وأنا.. أفكر بالهروبْ..

عَيْنَاكِ آخرُ ما تبقَّى من عصافير الجنوبْ

عيناكِ آخر ما تبقى من نجوم الصيف..

عَيْنَاكِ آخرُ ما تبقّى من حشيش البحرِ..

آخرُ ما تبقّى من حُقُول التَبْغِ..

آخرُ ما تبقّى من دُمُوع الأقحوانْ[116]

عيناكِ.. آخرُ زَفَّةٍ شعبيّةٍ تجري

وآخر مهرجانْ..

---

(115) التسكّع : السير على غير هدى.

(116) الأقحوان : نبات ربيعي دقيق الأعواد يصدر عنه ما يشبه النور الأبيض.

(2)

عيناكِ آخر ما تبقي من تراث العشق

آخرُ ما تبقّى من مكاتيب الغَرَامْ

ويَدَاكِ.. آخرُ دفترَيْنِ من الحرير..

عليهما..

سَجَّلتُ أحلى ما لديَّ من الكلامْ

العِشْقُ يكويني.. كلوح التُوتياءِ..

ولا أذُوبْ..

والشعرُ يطعنُني بخنجرِهِ..

وأرفضُ أن أتُوبْ..

إنّي أحبكِ..

يا التي اخترت بعينيها بحيرات الجنوب

ظلّي معي..

حتى يظل البحر محتفظاً بزرقته.. ويبقي الخوخ

محتفظًا بنكهته

ويبقى وجهُ فاطمةٍ

يُحلّق كالحمامةِ تحت أضواء الغروبْ

ظلّي معي.. فلربّما يأتي الحسينُ

وفي عباءته الحمائمُ.. والمباخرُ.. والطيوبْ

ووراءَهُ تمشي المآذنُ.. والرُّبى

وجميعُ ثوّار الجنوبْ..

(3)

عَيْنَاكِ آخرُ ساحليْنِ من البَنَفْسَجِ

والعواصف مزقتني

فكرتُ أن الشعرَ يُنْقذُني..

ولكنَّ القصائدَ أغْرَقَتْني..

فكرت أن الحب يمكن أن يلملمني

ولكنَّ النساءَ تقاسَمَتْني..

أحبيبتي :

أعجوبةٌ أن ألتقي امرأة بهذا الليلِ..

ترضى أن تُرافِقَني..

وتغسلني بأمطار الحنان

أعجوبةٌ أن يكتبَ الشعراءُ في هذا الزمانْ.

أعجوبةٌ أن القصيدةَ لا تزالُ

تمرُّ من بين الحَرَائقِ والدُخَانْ

أعجوبة أن القصيدة لا تزال

تنطُّ من فوق الحواجزِ.. والمخافرِ.. والهزائمِ..

كالحصانْ

أعجوبةٌ.. أن الكتابة لا تزالُ..

برغم شَمْشَمَة الكلابِ..

ورغْمَ أقبية المباحثِ.. [117]

مصدرًا للعُنْفُوانْ..

(4)

الماءُ في عينيْكِ زيتيٌّ..

رَمَاديٌّ..

نبيذيٌّ..

وأنا على سطح السفينةِ..

مثلَ عُصْفُورٍ يتيمٍ

لا يفكّرُ بالرجوع..

بيروتُ أرملة العروبةِ

والطَوَائِفِ..

والجريمةِ.. والجُنُونْ..

بيروتَ تُذْبَحُ في سرير زفافها..

والناسُ حول سريرها متفرّجونْ

(1) أقبية: المراد: سجون.

بيروتُ..

تَنْزِفُ كالدَّجَاجَة في الطريقِ..

فأينَ فرَّ العاشقونْ؟!

بيروتُ تبحثُ عن حقيقتِها..

وتبحثُ عن قبيلتِها..

وتبحثُ عن أقاربها..

ولكنَّ الجميعَ منافقُونْ.. !!

***

(5)

عَيْنَاكِ.. آخرُ رحلةٍ ليليّةٍ

وحقائبي في الأرض تنتظرُ الهبوبْ

تَتَوسَّلُ الأشجار باكيةً لآخذَها معي

أرأيتمُ شجرا يفكّرُ بالهروبْ؟

هذا هو الزمن المضّرج بالبشاعة.. والفضائح.. [118]

والخيانةِ.. والذنوبْ..

هذا هو الزمنُ الذي فيه الثقافةُ..

والكتابةُ..

والكرامةُ..

والرُجُولةُ في غُروبْ

كيف الدخول إلى قصيدة يا ترى ؟

ودَفَاتري ملأى بآلاف الثُّقُوبْ..

وقميص العربي مملوء بآلاف الثقوب

النَّفْطُ يستلقي سعيدا تحت أشجار النُعَاسِ..

(118) المضرج بالبشاعة : المغطّى بها.

وبين أثداء الحريمْ..

هذا الذي قد جاءنا

بثيابِ شَيْطَانٍ رجيمْ..

النَّفْطُ هذا السائلُ المَنَويُّ.. [119]

لا القوميُّ..

لا العربي

لا الشعبيُّ

هذا الأرنبُ المهزومُ في كلِّ الحروبْ

النَفْطُ مَشْروبُ الأبَاطِرة الكبارِ..

وليسَ مَشْروبَ الشعوب..

كيف الدخولُ إلى القصيدة يا تُرى؟

(119) السائل المنوي : ما يقذفه الرجل من (أيره) عند الجماع.

والنَّفْطُ يَشْري

ألفَ مُنْتَجعٍ (بماربيَّا)..

ويَشْري نصفَ باريسٍ..

ويَشْري نصفَ ما في (نيسَ) من شمسٍ وأجسادٍ..

ويَشْري ألفَ يَخْتٍ في بحار اللهِ..

يَشْري ألفَ امرأة بإذْنِ اللهِ..

يَشْري ألف غانية لعوب..

لكنه..

لا يشتري سَيْفا لتحرير الجنوبْ..



(7)

عَيْنَاكِ.. آخرُ ما تبقَّى من شُتُول النَخْلِ[120]

في وطَني الحزينْ.

وهواكِ أجمل ثورةٍ بَيْضَاءَ..

تُعْلَنُ من ملايين السنينْ

كُوني معي امرأةً..

يغطى وجهها وجه الصباح

(120) شتول : لفظ غير موجود في العربية، وهو من أصل سرياني (شتلا) ؛بمعنى (غرس)، وهي تستخدم – هنا – بمعنى : مجموعة من الزروع، أو فسيل الزروع.

كُوني معي شَعْرا

يُسافرُ دائما عكْسَ الرياحْ..

كونى معى غجريةً.. بدويةً.. وحشيةً

كُوني معي جِنّيةً

لا يبلغُ العشّاقُ ذَروَةَ عِشقهمْ

إلا إذا التحقوا بصفّ الغاضبينْ..

أحبيبتي :

إنّي لأعلنُ أن ما في الأرض من عِنَبٍ وتينْ

حقٌّ لكلِّ المُعْدَمينْ

وبأنَّ كلَّ الشِعْرِ.. كلَّ النثرِ..

كلَّ الكُحْلِ في العينيْنِ..

كلَّ اللؤلؤِ المخبوءِ في النهدينِ..

كل العشب.. كل الياسمين

حقٌّ لكل الحالمينْ..

كُوني معي..

ولسوفَ أعلنُ أن شمسَ اللهِ..

تشبه في استدارتها رغيف الجائعين

ولسوفَ أعلنُ دونما حَرَجٍ

بأنَّ الشِعْرَ أقوى من جميع الحاكمينْ..



الطابور

طَالبتُ ببعضِ الشمسِ..

فقالَ رجالُ الشُرْطةِ:

قِفْ يا سيِّدُ في الطابورْ

طَالبتُ ببعض الحِبرِ.. لأكتُبَ اسمِي..

قالوا: إن الحِبْرَ قليلٌ..

فالزَم دَوْرَكَ في الطابورْ

طالبتُ بأيِّ كتابٍ أقرأ فيه..

فصَاحَ قميصٌ كاكيٌّ:

مَنْ كانَ يريدُ العِلْمَ..

فإن عليه.. قراءةَ منشورات الحزْبِ..

وأحكامِ الدُستورْ..

طالبتُ بإذنٍ حتى ألقى امْراتي

فأجابوني: إن لقاء المرأة صَعْبٌ..

وعلى العاشقِ..

أنْ لا ييأسَ من طُولِ الطابُورْ

طالبتُ بإذنٍ..

حتى أنْجِبَ ولدا..

قال نقيبٌ.. وهو يُقَهْقِهُ:

إنَّ النَسْلَ مُهِمٌّ جدا..

فَلْتَنْتظِرْ.. سنةً أخرى .. في الطابُورْ

طالبتُ برؤية وجهِ اللهِ..

فصاحَ وكيلٌ من وُكلاءِ اللهِ..

لماذا ؟

قلتُ: لأني إنسان مَقْهُورْ..

فأشارَ إليّ بإصْبعهِ

وفهمتُ بأن المقهورينَ

لهم أيضاً طابُورْ..

أرجو أن ألقاكَ.. ولكنْ لا تترُكني

مثلَ كلاب الشارعِ.. في الطابورْ

من يوم أتيتُ إلى الدنيا

وأنا مزروعٌ في الطابورْ

ساقاي تجمَّدَتَا في الثلجِ..

ونَفْسِي كالورقِ المنثورْ [1]

منتظرٌ وطنا.. لا يأتي

وشواطئَ دافئةً.. وطُيُورْ..

لا أدري.. كيف أقول الشعرَ

فحيثُ ذهبتُ يُلاحقني السَّاطورْ..

كلُّ الأوراق مُفخَّخَةٌ.. [121]

كلُّ الأقلام مُفَخَّخَةٌ..

كلُّ الأثداء مُفَخَّخَةٌ..

وسريرُ الحُبِّ..

يريدُ جوازَ مُرورْ..

---

(1) الورق المنثور : الورق المبعثر هنا وهناك.

(121) مفخخة : من الفخ الذي يهلك من وقع فيه.

يا ربي:

وهذا الوطنُ القابعُ بين الماءِ.. وبين الماءِ..

حزينٌ كالسيف المكْسورْ..

فإذا ودَّعْنا كافُورا..

يأتينا.. أكثر من كافُورْ..

يا ربي:

إنَّ الأفقَ رماديٌّ

إنْ كُنْتَ تُريدُ مساعدَتي

يا ربي.. فاجعَلْني عُصْفُور..

وأنا أشتاقُ لقَطْرةِ نُورْ

إنْ كُنْتَ تُريدُ مساعدَتي

يا ربي.. فاجعَلْني عُصْفُور..

التصويرُ في الزّمن الرماديّ

(1)

أحاول منذُ الطفولةِ

أن أتصوَّر شَكْلَ الوطَنْ .

رَسَمْتُ بيوتا..

رَسَمْتُ سُقُوفا..

رَسَمْتُ وُجُوها..

رَسمتُ مآذنَ مطليَّةً بالذَهَبْ

رَسمتُ شوارعَ مهجورةً

يُقَرْفِصُ فيها.. لكيْ يستريحَ التَعَبْ [1]

رَسَمْتُ بلادا.. تُسمَّى مجَازا..

بلادَ العَرَبْ..

أحاول منذُ الطفولة رَسْمَ بلادٍ

(1) سبقت الإشارة إلى (القرفصاء) .

تسامِحُني..

إن كَسَرْتُ زُجاجَ القمرْ

وتشكرني.. إن كتبتُ قصيدةَ حُبٍّ

وتسمح لي أن أمارس فعل الهوى

ككل العصافير.. فوقَ الشجرْ..

(2)

أحاول رسمَ بلادٍ..

بها بَشَرٌ يضحكون.. ويبكونَ مثلَ البَشَرْ

أحاول أن أتبرَّأ من مُفرداتي

ومن لعنةِ المُبْتَدا.. والخَبَرْ..

وأنفضُ عني غُباري

وأغسِلَ وجهي بماء المطرْ..

أحاول من سلطةِ الرمل أن أستقيلَ..

وداعا قريشٌ..

وداعا كليبٌ..

وداعا مُضَرْ.. [1]

(1) قريش.. كليب.. مضر: أسماء قبائل عربية.

(3)

لها بَرْلَمَانٌ من الياسمين..

وشَعْبٌ رقيقٌ من الياسمينِ..

تنامُ حمائمُها فوق رأسي..

وتبكي مآذِنُها في عُيُوني .

أحاول رَسْمَ بلادٍ..

تكونُ صديقةَ شعري

ولا تتدخلُ بيني.. وبينَ ظنوني

ولا يتجوَّلُ فيها العساكرُ

فوقَ جبيني..

أحاول رَسمَ بلادٍ

تُكافِئُني.. إن حَرَقْتُ ثيابي

وتصفحُ عني.. [1]

إذا فاضَ نهرُ جُنوني..

(1) تصفح عنى : تسامحنى .

(4)

أحاول رَسْمَ مدينة حُبٍّ

فلا يذْبحونَ الأنوثةَ فيها..

ولا يقمعونَ الجَسَدْ..

رحلتُ جنوبا..

رحلتُ شمالا..

ولا فائِدَةْ..

فقهوةُ كلِّ المقاهي.. لها نكْهَةٌ واحِدَةْ

وكُلُّ النساءِ لُهنَّ.. إذا ما تعرَّيْنَ..

رائحةٌ واحدَةْ..

وكلُّ رجالِ القبيلةِ.. لا يمضغونَ الطعامَ.

ويلتهمونَ النساءَ..

بثانيةٍ واحدَةْ..

(5)

أحاول منذُ البداياتِ..

أن لا أكون شبيها بأيِّ أحد

فضتُ عبادةَ أي وَثَنْ

أحاول إحراقَ كُلَّ النصوص التي أرتديها

فبعضُ القصائد قَبْرٌ

وبعضُ اللُّغاتِ كَفَنْ .

رسمتُ نزيفَ المقاهي

رسمتُ سُعَالَ المُدُنْ [1]

وواعدتُ آخِرَ أنثى

ولكنني.. جئتُ بَعْدَ مُرورِ الزَمَنْ..

(6)

أحاول رسمَ بلادٍ

رأسي بها ثابتٌ

ولكنهمْ.. أخذوا عُلْبَةَ الرسمِ منّي

(1) السعال : الإصابة (بالكحَّة) .

ولم يسمحوا لي..

بتصوير وَجْهِ الوَطَنْ..

ورأسي بها ثابتٌ

لكيْ أعرفَ الفرقَ بين البلادِ.. وبين السُّفُنْ..

ولكنهمْ.. أخذوا عُلْبَةَ الرسمِ منّي

ولم يسمحوا لي..

بتصوير وَجْهِ الوَطَنْ..



أنا والنساء

أريد الذهابَ..

إلى زمنٍ سابقٍ لمجيء النساءْ..

إلى زمنٍ سابقٍ لقدوم البكاءْ..

فلا فيهِ ألمحُ وجهَ امرأةْ..

ولا فيه أسمعُ صوتَ امرأةْ..

ولا فيه أشنقُ نفسي بثدي امرأة..

ولا فيه ألعقُ - كالهر - رُكبة أي امرأة.. [1]

***

أريد الخروجَ من البئر حيا..

لكي لا أموتَ بضربة نهدٍ..

وأهرَسَ تحت الكُعُوب الرفيعة..

تحت العيون الكبيرةِ..

تحت الشفاه الغليظةِ..

(1) كالهرّ: كالقط.

تحتَ رنين الحِلَى.. وجُلود الفِراءْ

أريد الخروجَ من الثقبِ

كي أتنفسَ بعضَ الهواءْ..

***

أريد الخروجَ من القِنِّ.. [1]

حيثُ الدَجاجاتُ..

ليس يفرقنَ بين الصباح وبين المساءْ

أريد الخروجَ من القِن..

إن الدَجاجات مزقنَ ثوبي..

وحللنَ لحمي..

وسمَّينني شاعرَ الشُّعَراءْ..

***

(1) المراد: التخلُّص من ضعفى.

كرهتُ الإقامة في جوف هذي الزُّجاجةْ..

كرهتُ الإقامةْ

أيمكنُ أن أتولى

حِراسةَ نهدينِ..

حتى تقومَ القيامة ؟؟

أيمكنُ أن يصبح الجنسُ سجنا

أعيشُ به ألف عامٍ وعامْ ؟!

أريد الذهابَ..

إلى حيث يمكنني أن أنامْ..

***

فإني مللتُ النبيذَ القديمَ..

الفِراشَ القديمَ..

البيانو القديمَ.. [1]

الحوارَ القديمَ..

وأشعار رامبو..

ولوحات دالي..

وأعين (إلزَا)

وعُقدةَ كافكَا.. [2]

وما قال مجنونُ ليلي

لشرحِ الغرامْ..

متى كانَ هذا المُخبلُ مجنونُ ليلى..

خبيرا بفنٌ الغرامْ ؟

أريد الذهابَ إلى زمن البحرِ..

كي أتخلصَ من كل هذي الكوابيسِ..

(1) البيانو : كلمة إيطالية من أصل عربى.. ومعناها : (صندوق البيان).

(2) رامبو و دالى و كافكا : مفكرون غربيون.

من كل هذا الفَصامْ

فهل ممكنٌ ؟

بعد خمسين عاما من الحُبِّ

أن أستعيدَ السلامْ ؟؟؟

***

أريد الذهابَ..

لما قبلَ عصر الضفائرْ

وما قبل عصر عُيون المَهَا.. [1]

وما قبل عصر رنين الأساور

وما قبل هندٍ.. [2]

ودعدٍ.. [3]

ولُبنى.. [4]

وما قبل هز القُدودِ..

وشد النهودِ..

وربط الزنانير حول الخواصرْ..

***

(1) المها : البقر الوحشى المعروف باتساع العيون.

(2) من نساء العرب.

(3) من نساء العرب .

(4) من نساء العرب.

أريد الرحيل بأي قطارٍ مُسافرْ

فإن حروبَ النساءْ

بدائيةٌ كحروب العشائرْ

فقبلَ المعاركِ بالسيفِ..

كانت هناك الأظافر !!!

***

كرهتُ كتابةَ شعري على جسد الغانياتْ

كرهتُ التسلقُ كل صباحٍ.. وكل مساءٍ

إلى قمة الحَلماتْ..

أريد انتشالَ القصيدة من تحت أحذية العابراتْ

أريد الدخولَ إلى لغةٍ لا تجيد اللغاتْ

أريد عناقا بلا مفرداتْ

وجنسا بلا مفرداتْ

وموتا بلا مفرداتْ

أريد استعادة وجهي البريءِ كوجه الصلاةْ

أريد الرجوع إلى صدر أمي

أريد الحياةْ..



حبٌّ .. تحت الصفرْ

هو البحرُ.. يفصل بيني وبينكِ..

والموجُ.. والريحُ.. والزمهريرْ .

هو الشعرُ.. يفصل بيني وبينكِ..

فانتبهي للسقوط الكبيرْ..

هو القهرُ يفصل بيني وبينكِ..

فالحبُّ يرفضُ هذي العلاقةَ

بين المرابي.. وبين الأجيرْ.. [1]

***

أحبكِ..

هذا احتمالٌ ضعيفٌ.. ضعيفٌ

فكل الكلام به مثلُ هذا الكلام السخيفْ

أحبكِ.. كنتُ أحبكِ.. ثم كرهتُكِ..

ثم عبدتُكِ.. ثم لعنتُكِ..

ثم كتبتُكِ.. ثم محوتُكِ..

ثم لصقتُكِ.. ثم كسرتُكِ..

(1) المرابي : الذي يُقرض الناس ماله بالربا.

ثم صنعتُكِ.. ثم هدمتُكِ..

ثم اعتبرتُكِ شمسَ الشموس.. وغيرتُ رأيي.. !!

فلا تعجبي لاختلاف فصولي..

فكل الحدائقِ.. فيها الربيعُ.. وفيها الخريفْ..

***

هو الثلجُ يفصل بيني وبينكِ..

ماذا سنفعلُ ؟

إن الشتاءَ طويلٌ طويلْ

هو الشكُّ يقطعُ كل الجسُورِ

ويقفلُ كل الدروب..

ويُغرقُ كل النخيلْ

أحبكِ !

يا ليتني أستطيعُ استعادةَ

هذا الكلام الجميلْ .

***



أحبكِ..

أين تُرى تذهبُ الكلماتْ !!

وكيف تجف المشاعرُ والقُبلاتْ !!

فما كان يمكنُني قبل عامَيْنِ

أصبح ضربا من المستحيلْ

وما كنتُ أكتُبه – تحت وهج الحرائقِ –

أصبحَ ضربا من المستحيل..

***

هو الطقسُ يفصلُ بيني وبينكِ..

إن الضبابَ كثيفٌ

وأنتِ أمامي.. ولستِ أمامي

ففي أي زاويةٍ يا تُرى تجلسينْ؟

أحاول لمسك من دون جدوى

فلا شفتاكِ يقينٌ.. ولا شفتايَ يقينْ

يداكِ جليديتانِ.. زجاجيتان.. محنطتانِ..

وأوراق أيلولَ تسقُط ذاتَ الشمال وذاتَ اليمينْ [1]

ووجهكِ يسقُط في البحر شيئاً فشيئا

كنصف هلالٍ حزينْ..

***

(1) أيلول : شهر من الشهور اليهودية .

تموتُ القصيدةُ من شدة البردِ..

من قلة الحُب..

من قِلة الفحم والزيت..

تيبسُ في القلب كل زهور الحنينْ

فكيف سأقرأ شعري عليك؟

وأنتِ تنامينَ تحت غطاءٍ من الثلجِ..

لا تقرأينَ.. ولا تسمعينْ . !!

وكيف سأتلو صلاتي؟

إذا كتِب بالشعر لا تؤمنينْ .

وكيف أقدمُ للكلمات اعتذاري ؟

وكيف أدافعُ عن زمن الياسمينْ ؟

***

جبالٌ من الملح.. تفصل بيني وبينكِ..

كيف سأكسر هذا الجليدْ ؟

وكيف سأقطعُ هذي المسافةَ بين شفاهْ تريدُ اغتيالي..

وبين سريرٍ يريدُ اعتقالي..

وبين ضفيرة شعرٍ تكبِّلني بالحديدْ ؟ [1]

***

أحبكِ.. كنت أحبكِ حتى التناثر.. حتى التبعثُر..

حتى التبخر.. حتى اقتحامِ الكواكبِ.. حتى ارتكاب القصيدة..

حتى ادعاء النبوةِ.. حتى انقطاع الوريدْ

أحبكِ.. كنتُ قديما أحبكِ..

لكن عينيكِ لا تأتيانِ بأي كلامٍ جديدْ

أحبكِ.. يا ليتني أستطيع الدخولَ لوقت البنفسج..

لكن فصلَ الربيع بعيدٌ..

ويا ليتني أستطيع الدخولَ لوقت القصيدة..

لكن فصلَ الجنون انتهى من زمانْ بعيد.



(1) تكبِّلني : تقيّدني.



فهرس الديوان



الفهرس

